





وزارة الثقافة

الحضارة النبطية

أ. د زيدون حسن المحيسن

طبع بدعم من:
أمانة عمان الكبرى


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الحضـــــــارة النبطيـــــة

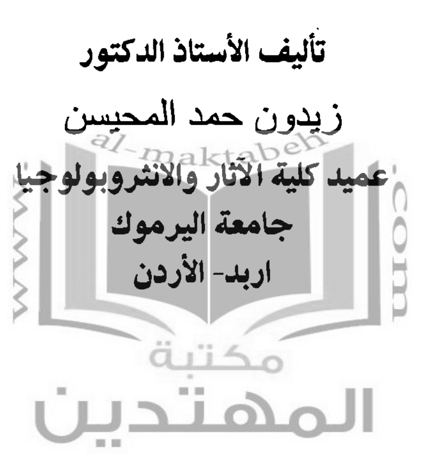
تأليف الأستاذ الدكتور

زيدون حمد المحيسن

عميد كلية الآثار والانثروبولوجيا

جامعة اليرموك

اربد- الأردن



مشروع مكتبة الأسرة ومهرجان القراءة للجميع بمبادرة وزارة الثقافة وبرعاية جلالة الملكة رانيا العبدالله المعظمة (حفظها الله).

• الحضارة النبطية
• المؤلف :أ.د. زيدون المحيسن
• الناشر: وزارة الثقافة
عمان - الأردن
شارع وصفي التل
ص. ب ٦١٤٠ - عمان
تلفون: ٥٦٩٦٢١٨/ ٥٦٩٩٠٥٤
فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨
Email: info@culture.gov.jo

• الطباعة: مطبعة السفير ٤٦٥٧٠١٥
• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٩/٩/٤١٧٨)

المحتويات

قائمة الصور واللوحات والمخططات

الإهداء

إلى عصمت ومعتز وعرين وسوزان وسيرين وسبل - وأسرتي الكريمة - وإلى أرض آدوم - وإلى الرقيم - والذريح - وسلع - ورم - والحِجر - وحوران .



تقديـم

تبـذل المجتمعـات المتقدمـة، جهـوداً مـضنية في سـبيل تقـدمها الحـضاري، والاجتمـاعي، والثقـافي، والـسياسي، والاقتـصادي، في البحـث عـن شـتى الطـرق والإمـكانيات لاستغلال ممتلكاتها وقدراتها في الأرث الحـضاري والثقـافي إلى المواد الأوليـة والثـروات. كمـا تـسعى هـذه المجتمعـات إلى تحقيـق الأفـضل القـادر علـى التنـافس، ممـا أدى إلى الاهتمـام بالعديـد مـن المجـالات ومنهـا الـسياحة الـتي لا تعـد مقوماً ورافـداً اقتـصادياً أساسـياً للدولـة وإنمـا الطريـق الـتي مـن خلالهـا تقـوم الدولـة بإبراز ثقافتها وحضارتها وتراثها القومي، وهذا ما يدعو إلى الأهتمام بشـكل كـبير في الـسياحة، وعلـى رأسـها المواقـع الأثريـة والتراثيـة، أضـف إليهـا المواقـع الطبيعيـة والـسياحية الأخـرى، الفريـدة مـن نوعهـا في العـالم، الموجـودة علـى الأرض الأردنيـة، كمحميـة ضـانا، ووادي رم، والعقبـة والأغـوار. كمـا والبحـث عـن الطـرق الناجعـة لتطوير هذه المواقع الفريدة، واستغلالها وتنميتهـا بالـشكل الأمثـل، لنـكـون قـادرين على فهم معنى الحضارة، والثقافة، لجـذب الـسياحة العالميـة، وتطـوير وتفعيـل الـدور الاقتـصادي، بواسـطة التـسويق الـسياحي، الـذي يعـد عنـصراً اساسـياً في صـناعة السياحة.

ويأتي كتاب "الحضارة النبطية" ليعطي صورة واقعية مقنعـة لحـضارة راقيـة. نـشأت في الأردن، وانطلقـت منـه إلى المنـاطق المجـاورة، وأثـرت وتـأثرت حـضارتها في المجتمعـات القديمـة المعاصـرة لهـا. وقـد اسـتمدت الحـضارة النبطيـة، جـذورها مـن حـضارة محليـة أردنيـة، مغرقـة في القـدم، انتـشرت منـذ مـا قبـل التـاريخ في سـهل الـصوان، وبطـن الغـول، والحمـة، كمـا كـان للحـضارات المحليـة الـتي نـشأت في الأردن، قبـل الأنبـاط كـالادوميون، والمؤابيـون، والعمونييـون، دوراً هامـاً في تعزيـز ورفد الأرث الحضاري والثقافي في الأردن.

يُعد كتاب "الحضارة النبطية" رائداً ورافداً جديداً للمكتبة العربية، يضاف إلى الدراسات الأخرى، التي كُتبت باللغة العربية عن الأنباط، وخاصة الدراسات المتعلقة بالفنون، والعمارة، والحياة الدينية عند الأنباط، وعند العرب قبل الإسلام. وقد أعتمدت الدراسة على نتائج التنقيبات الأثرية، في المواقع النبطية المختلفة، بالتركيز على ما تم منها في العاصمة النبطية البتراء، وموقع خربة الذريح الذي قدم معلومات هائلة عن العمارة، والفنون النبطية، وجاء بمعلومات هامة وجديدة عن الديانة النبطية، وارتباط الطقوس الدينية النبطية بالنجوم والكواكب، وهذا ما أكدته المكانة التي احتلتها الأبراج الإثنا عشر في المعبد النبطي في خربة الذريح.

آملاً أن يكون هذا الكتاب مرجعاً عربياً، يطرح قضايا ومفاهيم جديدة، عن الأنباط العرب يستحق الدراسة والأهتمام.

والله ولي التوفيق

المؤلف

الأستاذ الدكتور زيدون حمد المحيسن

مقدمـــة

ازدهـرت مملكـة الأنبـاط في الفـترة مـن نهايـة القـرن الرابـع قبـل المـيلاد ، وكانـت تعتمـد بـشكل رئـيس علـى التجـارة ، وتحتـل مركـزاً مرموقـاً علـى طريـق القوافل التجارية ، التي كانت تجتاز المنطقة قادمة من الجزيرة العربية إلى سـواحل البحـر الأبـيض المتوسـط والبحـر الأحمـر. وقـد شـهدت منطقـة الأردن أيـام المملكـة العربية النبطية ازدهـاراً سياسـياً واجتماعيـاً واقتصادياً وزراعيـاً ، نافست فيـه الـدول الكبرى التي كانت قائمة آنذاك ، وتوسعت حدود المملكة النبطية ، لتشمل منـاطق شمال الجزيرة العربية جنوبـاً ، وحتـى منـاطق دمشق شمـالاً ، ومـن الـصحراء الـشرقية شـرقاً ، إلى البحر المتوسط غرباً.

وفيما يتعلق بالمصادر الأثرية فقد أمدتنا الحفريات الأثرية في المواقع النبطيـة (خارطـة رقـم 1)، بمعلومـات هامـة عـن الحـضارة النبطيـة ، خـصوصاً فيمـا يتعلـق بالناحيـة المعماريـة ، ونَحْـتِ الواجهـات الـصخرية ، ونُظَـمِ الـري، والزراعـة ، ودراسـة الفخـار ، والمـسكوكات ، والمنحوتـات وغيرهـا ، ممـا سـاعد في التعـرف علـى الحيـاة الإجتماعية والدينية لمقارنتها بما ذكر عنها في المصادر التاريخية.

امتدت الحـضارة النبطيـة لتشمل منطقـة وادي عربـة مـن جنـوب البحـر الميت وحتى خليج العقبة ، بطول 180 كيلو متر، وتم العثور في هذه المنطقـة الواسـعة علـى العديد من المنشآت النبطية التي تدل على نـشاط الأنبـاط التجـاري ، وعلـى سـيطرتهم علـى المنـاطق وتنظيمهـا ، وذلـك بإنـشاء مراكـز دفاعيـة اسـتخدمت لحمايـة الطـرق التجارية ، ومراكز لاستراحة القوافل، حيث اعتبرت المنطقـة بمثابـة حلقـة وصـل بـين شبه الجزيـرة العربيـة وخليـج غـزة وعـسقلان. وقـد احتـوت منطقـة وادي عربـه علـى مساحات واسعة من الأراضي التي استطاع الأنبـاط اسـتغلالها زراعيـاً ، وكـان لـوفرة مصادر المياه الطبيعية مثل الينابيع والعيون دوراً مهمـاً ممـا شـجع الأنبـاط علـى زراعـة هذه المناطق وإنشاء البرك والسدود والقنوات فيها ، ويرى الزائر للمنطقة آثاراً عديدة

مثل الأسيجة الحجرية والجدران الاستنادية، التي كان الأنباط يضعونها لتحديد الأراضي الزراعية ومنع انجراف تربتها. ومن أهم المحاصيل التي كانت تزرع الكرمة والزيتون والحبوب.

ولما أنشأ القائد الروماني بومبي عام 64 قبل الميلاد، الولاية السورية في ما سمي لاحقاً ببلاد الشام، حاول هذا القائد الاستيلاء على المملكة النبطية وضمها إلى هذه الولاية عام 62 قبل الميلاد، ولكن باءت محاولاته هذه بالفشل واستطاعت المملكة النبطية أن تحافظ على استقلالها.

وفيما بعد انضمت الدولة النبطية إلى الدولة الرومانية عام 106 ميلادي، وتحولت البلاد إلى ما يسمى بالولاية العربية.

ومن المواقع النبطية الرئيسة التي تمت دراستها من خلال نتائج التنقيبات الأثرية، البتراء وخربة الذريح، وخربة التنور، وام الجمال، وبصرى، وقنوات، وسيع.

وبالرغم من الدراسات والبحوث الكثيرة، المتعلقة بالحضارة النبطية وبتاريخ الأنباط والتي تدور حول نتائج التنقيبات الأثرية، في المواقع النبطية المختلفة وخاصة العاصمة البتراء، التي جاءت بمعلومات قيمة تحليلية ووصفية للنحت والعمارة النبطية، ودراسة نظم الري، والزراعة، وطرق المواصلات، والتجارة، ودراسة الفخار النبطي ...الخ، إلا أن هذه الدراسات، لم تعن بأصول هؤلاء الأنباط العرب، وكذلك بأصول حضارتهم العربية المحلية، التي أسستها وبنتها عقولهم الذكية وسواعدهم الماهرة.

ولن نلقي كل اللوم على العلماء الغربيين، الذين درسوا الحضارة العربية النبطية منذ القرن التاسع عشر ولغاية اليوم، لا بل إننا نقدر لبعضهم عظيم الاحترام والإجلال منهم، من أمثال العالم جان ستاركي (Jean Starcky). كما نجد إن المكتبات ودور الكتب، تزخر بالمؤلفات والأبحاث المتعلقة بالأنباط، ولكنها تغمز وتُرجِعُ أصول وازدهار هذه الحضارة، إلى الحضارة الغربية وخاصة الرومانية، دون إي تمحيص أو تدقيق في جذور وأصالة هذه الحضارة العظيمة. ويقع التقصير واللوم

علينا نحن فقط، ذلك لأننا لم نعط أهمية واقعية علمية تستند إلى الحقيقة المجردة، عن أصول هذه الحضارة المحلية، وأصول الحضارات الأخرى، التي عاشت في الأردن وارتبطت بأرضه، وبشعبه، وبتاريخه ولغاية اليوم. فهذه الشعوب هي إما أجداد للأنباط كالآدوميين، أو إخوة للأنباط كالثموديين والصفويين والتدمريين والغساسنة والمناذرة، الذين هم بالتالي أجدادنا الأوائل الذين بنوا الحضارات العظيمة، التي تركت بصماتها واضحة جلية. وللأسف اعتدنا القول جرش الرومانية، أو طبقة فحل الرومانية...الخ، كما نركز على أن الموقع كذا هلنستي، أو بيزنطي، وتناسينا إن هذه المدن وهذه المواقع ايضاً قد بناها إخوة وأحفاد الأنباط، والذين هم في الحقيقة أبناء هذا البلد الطيب، فهل يصعب على من أسس وبنى مدينة البتراء، ونحت الخزنة والدير آن يبني مدينة كجرش أو عمان أو يبني معبداً أو مدرجاً، وتناسينا النقوش والكتابات المختلفة، التي تتكلم عن مهندسين وفنانين محليين بنوا وأسسوا هذه المدن كجرش وغيرها، وتناسينا ايضاً مدارس الفسيفساء التي كانت منتشرة في مناطق الأردن، وخاصة في مدينة مادبا والتي خرجت مهندسي وفناني الفسيفساء المحليين أمثال (سليمانوس صانع الفسيفساء العظيم) من مادبا وعلي (عليوس) وغيرهم الكثير.

أصل وتاريخ الأنباط:

كان الشعب الأدومي يسكن منطقة جنوب الأردن، وبالتحديد المنطقة الواقعة ما بين وادي الحسا شمالاً، وخليج العقبة جنوباً، والبحر المتوسط غرباً، والصحراء الشرقية شرقاً. الأدوميون قبائل سامية هاجرت من اليمن وجنوب الجزيرة العربية، وسكنت الأردن منذ حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حتى أواخر القرن السادس قبل الميلاد وهي فترة ما سمي بالعصور الحديدية.

أحاط الآدميون اراضيهم بسلسلة من القلاع المبنية من الحجارة القوية، وبنوا عاصمتهم "بصيرة" الواقعة جنوب مدينة الطفيلة، ومن مواقعهم سلع "سالع" التي

ذكرتها التوراة وتيماء كانت مقاطعة رئيسة لهم(1).

ومن مواقعهم الأخرى خربة الذريح وطويلان، ام البيارة وتل الخليفة، وقد جاءت تسميتهم بالآدوميين من اسم المنطقة التي يعيشون فيها وهي أرض آدوم، ويذكر بطرس البستاني، أن آدوم اسم يدل على اللون الأحمر الذي تشتهر به هذه المناطق وخاصة مناظرها الطبيعية، وقد يكون الاسم أخذ أيضاً من لون العدس المشابه للون هذه الأرض(2).

ويبدو أن التسمية الصحيحة، جاءت بسبب المنظر الطبيعي لهذه المناطق، والضارب إلى الحمرة، وخاصة المناطق الغربية من المواقع الآدومية، إلى الغرب من الطفيلة وبصيرا وسلع والشوبك ووادي موسى والبتراء والطيبة والراجف حتى خليج العقبة. واشتهر الآدوميون بالزراعة والتجارة، وصنعوا النحاس والحديد ويعتقد الكثير من الدارسين أن لغة الآدوميين هي العربية(3). أما كتاباتهم فقد كانت بالآرامية، كغيرهم من الشعوب الأخرى التي سكنت شمال الجزيرة العربية، وقد استدل على استخدامهم لهذه الكتابة، العثور على وعاء في منطقة تل المسخوطة مكتوب عليه بالآرامية، وقد أرخت لحوالي عام أربعمائة قبل الميلاد(4).

وما تزال المعلومات عن الآدوميين يحيطها الكثير من الغموض، بسبب قلة المصادر التاريخية وندرتها احياناً، وقد حاولت استعراض هذه المقدمة البسيطة لما لهذا الموضوع من أهمية، وارتباط بأصل وتاريخ الأنباط، فقد أثبتت الحفريات الأثرية في السنوات الأخيرة، وخاصة الحفريات في مناطق طويلان، والبتراء، وتل الخليفة، وبصيرا، وخربة الذريح، إن الأنباط سكنوا هذه المواقع التي كان في

---

(1) Glueck, N., The Other Side of Jordan, Cambridge - Massassuchets, 1970, p. 32.

(2) البستاني، بطرس، قاموس عام لكل فن ومطلب، ج2، دائرة المعارف، بيروت، ص 707.

(3) Dictionary of Bible (The Interpreters), 1962, pp. 26-27.

(4) Bartlett, J.R., The Rise and Fall of the Kingdom of Edom, PEQ, 107, 1972, pp. 26-27.

الأصل يقطنها الآدوميين، وهذا يدل على الإرتباط الحضاري واللغوي بين الأنباط والآدوميين وكيف أن الآدوميين، قد تقبلوا بصدر رحب وصول واستقرار الأنباط في مواقعهم، المختلفة، واستذكر هنا المستشار انتيباتر (Antipater) الذكي، الآدومي الأصل، الذي كان مساعداً ومستشاراً للملك اليهودي الكسندر جانيوس (Alexander Janneus)، وكيف إن انتيباتر كان معروفاً بميوله إلى الأنباط، بسبب أصله العربي الآدومي، وسنأتي إلى ذكر ذلك حين استعراض قائمة ملوك الأنباط.

وتبقى المعلومات المتعلقة بعلاقة الأنباط بالآدوميين غير معروفة، وتكاد تكون معدومة، وخاصة المعلومات عن الفترة الواقعة ما بين القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع قبل الميلاد.

وقد زودتنا بعض الكتابات السبئية والحميرية عن العلاقة الطيبة، والتبادل التجاري والحضاري بين عرب الشمال الذين يسمون بالعدنانيين، وإخوانهم عرب الجنوب الذين يسمون بالقحطانيين[1] (خارطة رقم 2).

والأنباط إحدى القبائل العربية الشمالية، التي هاجرت على ما يبدو من مناطق اليمن، طلباً للرزق والزراعة ورعاية الماشية، وخاصة بعد خراب سد مأرب، ويؤكد هذه الحقيقة انتهاج الأنباط لطرق ري وزراعة ونحت، على غرار العديد من المنشآت المائية الموجودة في اليمن، كما أن عادة الطواف حول منطقة قدس الأقداس داخل المعبد النبطي، كما هو موجود في معبد الأسود المجنحة في البتراء، ومعبد خربة الذريح في الطفيلة، ومعبد خربة التنور في وادي الحسا، ومعبد اللات في وادي رم، حيث كان الأنباط يطوفون حول هذه المنصات المربعة الشكل أثناء التعبد والصلاة، وقد وجدت العديد من هذه المنصات المربعة أو "المعليات" في اليمن، وتجد الإشارة إلى أن الكعبة المشرفة، كانت أيضاً مكاناً هاماً للطواف قبل الإسلام بمدة طويلة، كل ذلك يؤكد على وصول الأنباط من اليمن، ومن جنوب

---

(1) بافقيه، محمد، في العربية السعيدة، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1987، ص13.

الجزيرة العربية، وبالتالي استقرارهم في المناطق الشمالية في الحجاز، والحجر، والبتراء، وفي مناطق حوران في سوريا، وتشير بعض الروايات إلى توجه بعضهم، إلى مناطق الإحساء وفي وادي الدواسر، وفي دومة الجندل، وتيماء. ونأمل إن تزودنا الحفريات التي تقوم بها جامعة الملك عبد العزيز، في مناطق الفاو، بمعلومات جديدة حول الأنباط، وعلاقتهم بإخوانهم من القبائل العربية الأخرى[1]. وقد كان المؤرخون اليونان والرومان يدعون الأنباط بالعرب، كما أن الرومان بعد وصولهم إلى المنطقة في عام 106 ميلادي، أطلقوا عليها اسم المقاطعة العربية.

نعود للتأكيد على حقيقة أن الشعب الآدومي قد رحب بالأنباط، وعمل الشعبان جنباً إلى جنب، وتزاوجا فيما بينهما، وبقيت حضارتهما هذه قائمة، أي أن هناك استمرارية للعصر الحديدي، والعصر الفارسي، وكذلك في الفترة الهلنستية الأولى، ويؤكد ذلك بارتلت (Bartlett)، وكذلك الدراسات والأبحاث التي أجريت في مناطق حسبان[2].

هاجم أشور بانيبال (أشور بان أف لِ) مناطق البادية الكائنة شرق أدوم ومؤآب وعمون والشعوب الساكنة فيها وهي: قِدْرِي (قيدار)، وأرِبِ ى (العرب). ونَ بَ تَ يِ (الأنباط)، والتي كان بعضها يدفع الإتاوة للملك الأشوري، ثم توقفوا عن دفعها، وهاجموا المناطق الحضرية المجاورة، وسلبوها، وقام بعضها بإسناد ش م شُ أُكِنِ في بابل في ثورته ضد أشور بانيبال بإرسال قوات لمساعدته في الثورة.

قام الملك الأشوري المذكور أعلاه بإخضاع هذه الشعوب أول مرة سنة 648 ق.م، وبعد ذلك بعدة سنين مرة أخرى[3].

وبين سنة 641ق.م و638 ق.م حارب العرب أشور بانيبال مرة أخرى بقيادة أ

---

(1) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض،1986 ، ص274-217

(2) Geraty, L.T. and Labianca O., The Environment and Human -Food Producing Strategies in Jordan. The Case of Tell Hesban and its Surrounding Region, SHAJ II, Amman, 1985, pp. 315-323.

(3) Reallexivion der Assysiologie, Berlin, Leipxig, 1932, 1981, vol. 1, p. 204.

ب ي ي آ تِ ء، وأُ و ي ت أ، وابن يِ رْ دَ دًّ، وانضم إلى هؤلاء الملوك، الملك النبطي نَ تْ نُ، وهاجموا بلاد أمورُّ وسلبوها. فهاجمهم الجيش الأشوري وهــزم إ سَ مًّ أ، ون بَ ي تِ (الأنباط) في معركة فاصلة قــرب جبل خُ كُّ رِ ي نَ ا[1].

وعلى ما يبدو أنه منذ بداية الفترة الفارسية، كان هناك تقدم واضح للأنباط في مجال التجارة، والري، والزراعة، وبالتالي السيطرة السياسية على الممرات والطرق الهامة. صحيح أن الحفريات الأثرية والنقوش، لم تكشف لغاية اليوم عن طبيعة هذه الفترة، وأهميتها في حياة الأنباط وحضارتهم. وإننا لم نأت بهذا الطرح جزافاً، في إشارتنا إلى السيطرة النبطية السياسية، وتحكمهم في طرق التجارة، منذ الفترة الفارسية ولغاية القرن الرابع قبل الميلاد، حيث نجد أن المعلومات التاريخية، وخاصة المصادر الكلاسيكية، التي من أقدمها كتابات المؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي (Diodorus of Sicily)، التي حدثتنا عن تجهيز حملة يونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، لإخضاع الأنباط العرب، وهذا يعني أن الأنباط كانوا في تلك الفترة، قوة لها وزنها الدولي ولها كيانها وسيطرتها على طرق التجارة الدولية، آنذاك، هذه السيطرة جعلت دولة عظمى كاليونان في ذلك الوقت تُجهز حملة عسكرية لإخضاع الأنباط، لتسهيل وصولهم وسيطرتهم على القوافل التجارية، القادمة من البحر الأحمر والخليج العربي، وكذلك الطرق البرية، القادمة من الجزيرة العربية ومن سيناء عن طريق صحراء النقب، التي كانت البتراء تُعتَبر مركزها الرئيس، ومحطة بارزة للقوافل التجارية. وكما ذكرت سابقاً لا نستطيع لغاية اليوم تحديد تاريخ لبداية الأنباط، وظهورهم في التاريخ، إلا إننا نستطيع القول أنهم كانوا قوة لا يستهان بها في فترة ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد.

نعتمد في دراستنا لتاريخ الأنباط، على بعض المصادر الكلاسيكية القديمة والتي من أشهرها كتابات المؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي، الذي كان ينقل معلوماته عن الرحالة اليوناني هيرونيمس (Hieronymus)، والتي يذكر فيها تجهيز أول حملة عسكرية يونانية، لإخضاع الأنباط في عام 312 قبل الميلاد. زمن القائد

---

(1) Ibid, p. 126.

اليونـاني انتيقـونس (Antigonos)، الـذي جهـز هـذه الحملـة وأرسـلها بقيـادة احـد ضباطه، وصديقه المدعو اثينوس (Athanaeus)، وكانت الحملة مزودة بحوالي ستة آلاف من الخيالة وحوالي أربعة آلاف من المشاة، وقد هاجمت الحملة مدينـة البتراء عاصمة الأنباط في الليل، مستغلين عامل المفاجأة وكذلك خلو البتراء من الرجال (حيث يعتقد إن الأنباط كانوا متوجهين لإستقبال إحدى القوافل التجارية)، وقام رجال الحملة العسكرية بنهب الفضة والأموال والمر والبخور، وعندما علم الأنباط بذلك استطاعوا اللحاق بالحملة العسكرية اليونانية، التي كانت مخيمة في مناطق بعيدة عن البتراء، وانتصر الأنباط، ولم يبق من الحملة العسكرية اليونانية، إلا خمسين خيالاً يونانياً، استطاعوا الهرب والنجاة وهم مثخنون بالجراح، وبذلك فشلت الحملة اليونانية.

وقد بعث الأنباط برسالة إلى القائد اليوناني انتيقونس، تتعلق بهذه الحملة العسكرية وأسبابها، وظن الأنباط أن الحملة قد تمت دون علمه، أما الحملة اليونانية الثانية، فقد كان الأنباط بعد الحملة الأولى حذرين ومحتاطين لأعمال عدوانية أخرى، وعندما جهزت الحمله العسكرية الثانية، بقيادة دمتريوس (Demetrius) ابن القائد انتيقوس، وكان قوامها أربعة آلاف من المشاة، ومثلهم من الخيالة، ولما عرف الأنباط بقدوم هذا الجيش سارعوا إلى إرسال مواشيهم إلى الصحراء واستحكموا داخل مدينة البتراء، وعندما وصل دمتريوس إمام الصخرة الشاهقة، التي يعتقد أنها أم البيارة، لم يستطع أن يهاجم الأنباط المتمترسين داخل هذا الجبل الشاهق، والذي لا يوجد له إلا ممر واحد، لا يستطيع أن يعبره إلا رجل واحد مشياً على الأقدام. وعندما حاول اليونان القتال، واجهوا مجموعة من الصعاب في إختراق ام البيارة، ففضلوا الإنسحاب ويقال أنهم قبلوا ببعض الهدايا وبالتالي فشلت هذه الحملة[1].

ويذكر ثيودور الصقلي، أن الأنباط في القرن الرابع قبل الميلاد، كانوا عبارة عن مجموعة من البدو، عددهم عشرة آلاف ويسكنون الصحراء، ولا يبنون

(1) Diodorus Siculus, The Library of History, 19, 89.

منازل، ولا يزرعون الأرض، ولا يشربون الخمر (وهذا كلام مناقض لواقع حال الأنباط)، وإنهم يعيشون على رعاية الأغنام، والإشتغال بالتجارة، ولم يحكمهم ملك وإنما كانوا تحت قيادة شيوخ عشائرهم. وقد كانوا بارعين في حماية أنفسهم وخاصة في المناطق الصحراوية حيث يصعب مطاردتهم(1).

وورد ذكر للأنباط، في كتابات المؤرخ اليوناني زينون (Zenon)، منذ القرن الثالث قبل الميلاد (حوالي عام 259 قبل الميلاد) حيث كانت التجارة مزدهرة ورائجة على طول الساحل الفلسطيني، وعبر وادي الأردن، وشمالاً إلى مناطق حوران، ووردت أشارات للأنباط وتواجدهم في تلك المناطق(2).

وورد ذكر للأنباط في كتابات الجغرافي اليوناني سترابو (Strabo)، الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وقد كان سترابو ينقل معلوماته عن شخص يوناني ضرير اسمه اثينادور الطرسوسي (Athenodorus of Tarsus)، وذكر سترابو أن الأنباط يبنون بيوتهم من الحجارة، ويحبون السلام، وكانت منطقتهم مليئة بالحدائق والينابيع، وعاصمتهم البتراء، وكانوا يعملون بالتجارة والزراعة، ولا يهتمون بموتاهم ويضعونهم مع أكوام القمامة (وهذا كلام مناقض للواقع) (3).

لتوضيح حقيقة اهتمام الأنباط بعادات الدفن وبموتاهم، تكفي زيارة واحدة لمدينة البتراء أو مدائن صالح أو خربة الذريح، لتتضح الحقيقة بفخامة وعظمة مدافن الأنباط، وان جميع ما ذكره سترابو فيما يتعلق بالأنباط صحيح، إلا قضية عدم اهتمامهم بالموتى فهي غير صحيحة، وذلك إما بسبب نقل المعلومات عن اثينادور الضرير، الذي كان يشعر بالسرعة في عملية دفن الأنباط لموتاهم، حيث كان الأنباط وخاصة الموسرين منهم، يجهزون مدافنهم وهم أحياء، وبالتالي تصبح

---

(1) Ibid, pp. 87-91.
(2) Graf, D., The Origins of the Nabataeans, ARAM, 2, 1990, pp. 53-54.
(3) Strabo, Geography, XVI, 4, 26.
Tarrier, D., Les triclinia nabatéenns dans la perspective des installations de banquet du Proche -Orient, Thése de Doctorat, Paris I- Panthéon -Sorbonne, 1988, pp. 168-169.

عملية الدفن ميسرة وتتم بالسرعة، وهذا ما جعل أثينادور ينقل هذه المعلومة الخاطئة، ظناً منه أن المتوفى يرمى مع أكوام الزبالة. أو أن سترابو قد وقع في الخطأ عندما نقل المعلومة عن اثينادور، عندما ذكر كلمة (قبر) النبطية واعتبرها سترابو مشابهة للكلمة اليونانية التي تعني كومة القمامة (Kopron)[1].

وذُكر الأنباط في كتابين للمؤرخ يوسيفيوس (Josephus) * كان الكتاب الأول بعنوان حروب اليهود (The Jewish wars) والكتاب الثاني آثار اليهود (Antiquities of the Jews)، وقد وردت في الكتابين معلومات كثيرة عن الأنباط، وخاصة ما ورد في كتابه الأول من أخبار عن الأنباط، وتاريخهم السياسي، وعلاقاتهم الخارجية، وحروبهم مع اليهود، وقد كانت العديد من كتاباته غير محايدة بسبب ميوله المتطرفة لليهود.

ملوك الأنباط:

أختلف المؤرخون في تحديد قائمة واضحة ومحددة لتاريخ حكم الأنباط العرب، ويبدو أن الأقرب إلى الدقة بين هذه القوائم قائمة الملوك التي اعتمدها العالم جان ستاركي (Starcky) حيث يذكر أن لفظة نبطو (Nbtw) هي أسم

---

(1) Starcky, J., Petra et la Nabaténe, Supplément au dictionnaire de La Bible, Vol. VII ,1966 ,p. 939.

* يوسيفوس فلافيوس **Josephus Flavius** (38 ق . م - 100 م) : تذكر موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية أن اسمه العبري هو يوسف بن متاتياهو هاكوهين ، وهو مؤرخ يهودي وقائد عسكري وصف بأنه كان شخصاً شديد الطموح ولا ضمير له ، كان واسع الاطلاع على الاحداث والاضطربات السياسية في المنطقة وخارجها ، وقد سافر إلى روما وتعرف على مدى قوة الامة الرومانية وأستنج عدم الجدوى من الوقوف أمام عظمة أمبراطوريتها ، وحينما قامت الثورة اليهودية عينت الحكومة الجديدة يوسيفوس قائداً عسكرياً لمنطقة الجليل عام 66 ميلادي ، وحينما وصلت الجيوش الرومانية سرعان ما تساقطت التحصينات والمدن اليهودية ، فحاول يوسف هاكوهين الهرب ، ولكنه لم يفلح إذ ابقاه جنوده على الرغم منه ، وبعد ذلك تمكن الجنود والقائد من الفرار الى احدى الكهوف ، حيث قرر الجنود الانتحار بطريقة جماعية . فقام يوسيفوس بعمل القرعة بنفسه بطريقة كفلت له ان يكون آخر المنتحرين، ثم أشرف على عملية الانتحار وحينما لم يتبق إلا اثنان وهو وشخص آخر ، اقنعه يوسيفوس بالاستسلام للرومان ، وحينما مثل يوسيفوس بين يدين القائد الروماني فلافيوس فسبسيان ادعى العرافة وتنبأ للقائد الروماني بأن له مستقبلاً باهراً وانه سيتبوأ عرش روما ، وبعد هذا روج الى نبؤته وغير اسمه من يوسف الى يوسيفوس واتخذ اسم القائد الروماني اسما ثانياً له واصبح يعرف بهذا الاسم فيما بعد .

للأنباط ودلالة على شعب الأنباط وملوكهم[1].

وتضم هذه القائمة ما يلي:

1- الملك الحارث الأول ملك الأنباط: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 168 قبل الميلاد

2- الملك رب آيل الأول: يعود تاريخ حكمه إلى ما قبل عام 100 قبل الميلاد.

3- الملك الحارث الثاني: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 100 قبل الميلاد.

4- الملك عباده الأول: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 96/ 95 قبل الميلاد ولغاية 84/85 قبل الميلاد.

5- الملك الحارث الثالث: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 85/ 84 قبل الميلاد. ولغاية 58 قبل الميلاد.

6- الملك مالك الأول: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 58 قبل الميلاد. ولغاية 30 قبل الميلاد.

7- الملك عباده الثاني: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 30 قبل الميلاد. ولغاية 8/9 قبل الميلاد.

8- الملك الحارث الرابع: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 8/9 قبل الميلاد ولغاية 41/40 ميلادي.

9- الملك مالك الثاني: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 41/40 ميلادي ولغاية 71/70 ميلادي.

10- الملك رب آيل الثاني: يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 71/70 ميلادي ولغاية 106 ميلادي[2].

وفيما يلي ملخص للأحداث السياسية زمن ملوك الأنباط مع إشارة إلى تاريخ صك النقود النبطية.

---

(1) Starcky, J., Petra et la Nabaténe, Supplément au dictionnaire de La Bible, Vol. VII, 1966, p. 900.

(2) Ibid, pp. 904-920.

الحارث الأول ملك الأنباط (Aretas I)

يعد نقش الخلصة وهي المنطقة الواقعة ما بين مدينة عبده، الواقعة في صحراء النقب، وبين مدينة غزة الميناء النبطي على ساحل المتوسط من أقدم النقوش النبطية، ويعود تاريخ هذا النقش إلى فترة حكم الملك النبطي الحارث الأول، ويظهر أن هذا النقش أول إشارة معروفة إلى ملك الأنباط. أن وجود هذا النقش في هذه المنطقة البعيدة عن العاصمة النبطية، يوضح اتساع رقعة المملكة النبطية إبان هذه الفترة، كما ترد إشارات لذلك في سفر المكابيين الثاني[1]. وهناك أشارة ايضاً إلى أن جاسون (Jason) اليهودي الذي تولى منصب الكهنوت الأعظم عند اليهود[2]، في فلسطين قد وصل عن طريق المال إلى السلطة، وانه نتيجة لتلاعبه وفجوره، طرد إلى ارض الحارث ملك الأنباط وزعيمهم، إلا أن ملك الأنباط طرده من بلاده، وتوجه جاسون بعد ذلك إلى أرض العمونيين، وطرده العمونيون بدورهم، حتى التجأ أخيراً إلى مصر[3]، أما بالنسبة لقطع النقود فلم ترد أي إشارة إلى صك العملة في زمن هذا الملك.

رب أيل الأول (Rabbel I)

المعلومات عن هذا الملك النبطي قليلة ومتضاربة، وأغلب الظن إن فترة حكمه كانت قصيرة، تعود إلى ما قبل عام 100 قبل الميلاد، ويؤكد الأب ستاركي أن حكم هذا الملك، جاء بعد حكم الملك الحارث الأول ملك الأنباط، وقبل الملك الحارث الثاني[4]. وقد ورد ذكر لهذا الملك بإسم رب أيل العربي، أثناء المعركة التي قتل فيها انطيوخس الثاني عشر (Antiochus)، عندما قاد الجيش

---

(1) Maccabees, II, 5,8.
(2) Ibid, 4, 7.
(3) Ibid, 5,8.
(4) Starcky, J., The Nabataeans, a historical sketch, BA, XVIII, 1955, pp. 84-106.

اليوناني قرب موقع قانا، وحاول مقاتلة الأنباط ولكن انطيوخس قتل في هذه المعركة. أما بالنسبة لقطع النقود فلم يعثر على نقود نبطية تعود إلى فترة حكم هذا الملك[1].

الحارث الثاني (Aretas II)

أول إشارة لهذا الملك وردت، عندما طلب أهالي مدينة غزة المساعدة من الحارث الثاني ملك الأنباط، للحد من محاولة السيطرة التي قام بها ملك اليهود الكسندر جانيوس (Alexander Janneus)[2]. ويبدو أن فترة حكم هذا الملك كانت حوالي 100 قبل الميلاد[3]، ويعتقد إن الملك الحارث الثاني، أول ملك نبطي أمر بصك النقود، وقد حملت قطع النقود الحرف الأول من اسمه (ح) أو (A)[4]. إن المضافة النبطية أو ما يعرف تريكلينيوم (Triclinium) أصلح، الواقعة إمام منطقة باب السيق التي يوجد بداخلها نقش نبطي، تعود في تاريخها إلى نهاية حكم الملك الحارث الثاني وبداية حكم الملك عبادة الأول في عام 95/96 قبل الميلاد[5].

عبادة الأول (Obodas I)

يعتقد بأنه أبن الملك الحارث الثاني، وقد حكم بعد موت والده في عام 95/96 قبل الميلاد، واستمر حكمه لعام 84/85 قبل الميلاد.

وترد بعض الإشارات لهذا الملك، عندما قام ملك اليهود الكسندر جانيوس بمحاولة ضم مناطق جلعاد وعمون ومؤآب، ولكن الجيش النبطي استطاع بقيادة

---

(1) Ibid, pp. 90-91.
(2) Josephus, Flavius, Antiquities of the Jews, XIII, 360.
(3) Starcky, J., Op. Cit, 1966, p. 904.
(4) Meshorer, Y., Nabataean Coins, Jerusalem, 1975, pp. 11-12.
(5) Dalman, G., Neue Petra Forschungen, Leipzing, 1912, p. 40, No. 90.
Tarrier, D., Les triclinia nabatéenns dans la perspective des installations de banquet du Proche -Orient, Thése de Doctorat, Paris I -Panthéon -Sorbonne, pp. 168-169.

الملك عبادة الأول من الإنتصار على اليهود ودحرهم إلى القدس[1].

وبعد هذا الانتصار أعاد الملك عبادة الأول سيطرته على مناطق جلعاد وعمون ومؤآب، وامتدت سيطرته على مناطق الجولان وحوران.

الحارث الثالث (Aretas III) Philhellenos

يعود تاريخ حكم هذا الملك، إلى الفترة الممتدة ما بين عام 84/85 قبل الميلاد، ولغاية حوالي عام 58 قبل الميلاد، اتسعت حدود الأنباط زمن هذا الملك، واستطاع أن يحكم مدينة دمشق، وقد ضرب هذا الملك نقوده الخاصة به في مدينة دمشق، والتي كانت تشابه النقود السلوقية[2]، وقد جهز الحارث الثالث حملة ضد اليهود، وانتصر على ملكهم الكسندر جانيوس قرب قلعة الحديثة في فلسطين[3].

كما حاول ارسطوبولس (Aristobulus) احد أبناء الكسندر جانيوس، طلب المساعدة من الحارث الثالث ضد أخيه هيركانوس (Hyrcanus)، وقد حاول الملك الحارث الثالث استقبال هيركانوس في البتراء بعد أن وعده الأخير برد المدن الإثنتي عشر التي كان يسيطر عليها الأنباط، والتي أحتلها أبيه الكسندر جانيوس من الأنباط[4].

وبعد ذلك جهز الملك الحارث الثالث جيشاً قوياً، انتصر على جيش ارسطو بولس الذي فر بعد هذه الهزيمة إلى مدينة القدس.

وقد حاول الرومان محاربة الملك الحارث الثالث، ولكن واجهوا الكثير من الصعوبات، إما بسبب الأمراض التي حلت بالجيش الروماني، أو بسبب صعوبة وطبيعة المناطق النبطية، وفشلت محاولتهم فرض السيطرة على الأنباط، ويقال بأن الأنباط دفعوا جزية مقدارها 330 وحدة نقدية وهذا مشكوك فيه[5].

(1) Josephus, F., Op. Cit. XIII, 15, 2-3.
(2) Meshorer, Y., Op. Cit. 1975, p. 14.
(3) Josephus, F., Op. Cit. XIII, 375.
(4) Josephus, F., Wars of the jews, 453-459.
(5) Josephus, Op. Cit. XIV, 489-491.

وقد ظهرت زمن هذا الملك، قطع النقود الفضية، والبرونزية، وكانت تحمل هذه القطع النقدية، اسم الملك النبطي وصورته، وكان الملك يلقب بالمحب لليونانية.

مالك الأول (Malichus I)

يعود تاريخ هذا الملك إلى الفترة الممتدة ما بين عام 58 قبل الميلاد، ولغاية 30 قبل الميلاد، ويبدو أن العلاقات النبطية مع اليهود كانت علاقات ودية وصداقة، في بداية حكم الملك مالك الأول، وتذكر الروايات أن أحد زعماء اليهود ذي الأصل الأدومي، والمدعو انتيباتر (Antipater)، قد تزوج من امرأة من أصول عربية نبطية اسمها سيبروس (Cypros)، ويذكرها بعض المؤرخين باسم كفرة، والتي أنجبت مجموعة من الأولاد، منهم الملك اليهودي هيرود (Herod) الكبير، الذي حكم الدولة اليهودية فيما بعد، وابنة تدعى سالومي (Salome)[1].

وبعد مقتل القائد الروماني الشهير يوليوس قيصر في روما، من قبل بعض أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، لخوفهم من تقلد يوليوس قيصر حكم الإمبراطورية، وكان يوليوس قيصر على علاقة حب قوية مع ملكة مصر كليوبترا، وبعد مقتله تسلم القيادة صديقه القائد الروماني انطوان (انطونيوس)، الذي غادر إلى مصر وقابل كليو بترا، وأوقعته هو أيضاً بحبالها، لدرجة إن انطونيوس طلب من هيرود الكبير ملك اليهود، أن يعطي كليوبترا جميع الأموال العائدة من تجارة مدينة أريحا، التي كانت مشهورة بأشجار البلسم، وكانت تجارة البلسم رائجة في ذلك الوقت، بسبب تصنيع الطيوب والعطور منها، وكان يستعملها الناس لأغراضهم الشخصية أو لاستعمالها بمعابدهم، وفي طقوس وعادات الدفن، وكانوا يصدرونها إلى المناطق البعيدة والخارجية. ويبدو أن أموال هذه التجارة القادمة من أريحا، لم تكن بكافية لترضي طمع الملكة العاشقة كليوبترا، مما

---

(1) Josephus, F., Op. Cit. I, 85.

دفع انطونيوس إلى طلب ريع الأموال من المناطق الشرقية للبحر الميت، وكانت هذه المناطق تابعة لمالك الأول ملك الأنباط، وقد اشتهرت مناطقهم تلك بتصنيع البلسم والمتاجرة به، وكانوا يستخرجون أيضاً القار (الإسفلت) من البحر الميت ويتاجرون به، حيث كان يستعمل في عمليات تحنيط الموتى. لبى مالك الأول طلب انطونيوس، وقدم للملكة كليوبترا الأموال المطلوبة بكفالة هيرود ملك اليهود، وتقدر هذه الأموال بحوالي مائتي مثقال فضة، وبعد مدة قصيرة رفض الأنباط دفع هذه الأموال، وعلى إثر ذلك أمر انطونيوس الملك هيرود بمهاجمة الأنباط، وقام بتنفيذ الأوامر، وهاجم الأنباط قرب عمان، وأظهر فيها تفوقاً على الأنباط[1].

وبعد ذلك حدثت المعركة البحرية الشهيرة المسماة أكتيوم (Actium) في مصر، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين القائد الروماني انطونيوس وحليفته كليوبترا من جهة، وبين أكتافيوس (Octavius) القائد الروماني، الذي أصبح فيما بعد الإمبراطور الروماني أغسطس (Augustus) من جهة أخرى، وجرت أحداث هذه المعركة في الثاني من أيلول عام 31 قبل الميلاد، وقتل فيها القائد الروماني أنطونيوس، وعندما عرفت كليوبترا استحالة وجود سبيل أو طريقة لإجتذاب ومصادقة القائد الروماني الجديد أكتافيوس، كما فعلت من قبل مع سابقيه من القادة الرومان، وذلك في محاولاتها لإنقاذ مصر من السيطرة الرومانية، باستعمال شتى الوسائل والأساليب، ماتت منتحرة في نهاية شهر آب من عام 30 قبل الميلاد[2] وبموت الملكة كليوبترا ينتهي الحكم الهلنستي في مصر حيث ضُمت إلى الإمبراطورية الرومانية.

حاول مالك الأول ملك الأنباط، قبل معركة أكتيوم بمدة قصيرة، مساعدة القائد انطونيوس وحليفته كليوبترا، ولكن عندما حصلت المعركة وتبين أن النصر لصالح أكتافيوس، انقلب الأنباط لمساعدته، وقاموا بإحراق بعض السفن التابعة لعدوه انطونيوس، وبالرغم من ذلك لم يُظهر أكتافيوس أي إهتمام

---

(1) Josephus, F., Op. Cit. XV, 107-160.
(2) Plutarch, Lives, LXIX, 2, Sq

لمساعدة الأنباط له، ولم يكتف بذلك بل كافأ هيرود الكبير ملك اليهود، بإعطائهم بعض المناطق التابعة لمملكة الأنباط، كمدينة غزة إحدى الموانئ النبطية على ساحل المتوسط، إضافة إلى مدينتين من مدن الديكابولس (من حلف المدن العشر) مدينة جدارا (Gadara) ام قيس الحالية، ومدينة الحصن (Hippos) الواقعة إلى الشمال من مدينة جدارا والى الشرق من بحيرة طبريا[1] وقد استعاد الأنباط هذه المناطق المحتلة في زمن الملك النبطي الحارث الرابع وسنتطرق إلى ذلك في حينه.

وهناك العديد من قطع النقود البرونزية التي تعود إلى فترة حكم الملك النبطي مالك الأول وتحمل أسمه وسنة حكمه.

عبادة الثاني (Obodas II)

يعود تاريخ حكم هذا الملك إلى الفترة الممتدة ما بين عام 30 قبل الميلاد ولغاية عام 8/9 قبل الميلاد. وفي زمنه كانت العلاقات الخارجية جيدة مع الإمبراطور الروماني أغسطس (القائد أكتافيوس سابقاً) وقد حاول هذا الإمبراطور ضم اليمن المسماة بالعربية السعيدة، إلى الإمبراطورية الرومانية وذلك في عام 24/25 قبل الميلاد، طمعاً في ثرواتها الغنية وفي السيطرة على طرقها التجارية. وقد جهز أغسطس حملته العسكرية بقيادة اليوس جالوس (Aelius Gallus) حاكمه في مصر، وظهرت العلاقة الرومانية مع الأنباط، في زمن عبادة الثاني، عندما طلب منه الإمبراطور أغسطس أن يساهم في هذه الحملة ببعض رجاله ولكي يرشدهم إلى الطريق الموصل لليمن - نظراً لمعرفة الأنباط بمسالك هذه الطرق - فأوعز الملك عبادة الثاني إلى وزيره القوي سلي أو سيلايوس (Syllaios) الذي كان يلقب بأخ الملك، لمرافقة الحملة العسكرية الرومانية المتوجهة إلى اليمن، وسارت الحملة حتى وصلت إلى مملكة سبأ، وحاصرت مدينة مأرب، ولكن الجنود عانوا من كثرة التعب والعطش الشديد بسبب شح المياه، وفشلت الحملة الرومانية على اليمن

(1) Josephus, F., Op. Cit. I, 396.

وعادت أدراجها إلى مصر[1].

كانت علاقات الأنباط باليهود في زمن الملك عبادة الثاني، علاقات عدائية، حيث جهز هيرود الكبير ملك اليهود حملة ضد الأنباط عام 12 قبل الميلاد، وتصدى لهم الأنباط بقيادة نيكابوس (Nakebos)، والتقى الجيشين في موقع يعرف بـ رفتا (Rhepta)، وقتل قائد الأنباط نيكابوس[2]. وقد أصدر الملك مجموعة من النقود النبطية والتي حملت الأعوام العاشرة والسنة العشرين من حكمه وكتب على نقوده عبادة الملك، ملك الأنباط.

الحارث الرابع (Aretas IV) Lover of his people

يعود تاريخ حكم هذا الملك إلى الفترة الممتدة ما بين عام 8/9 قبل الميلاد، ولغاية عام 40- 41 ميلادي.

ويعد حكم الملك الحارث الرابع، من أطول وأزهى الفترات في تاريخ الأنباط، واستطاع هذا الملك، الحفاظ على استقلال بلاده الواسعة، دون أن يحتك بالرومان وقد اتسعت العلاقات التجارية في عهده، ووصل الأنباط إلى ميناء اوستيا (Ostia)، المرفأ الروماني المشهور في ايطاليا الواقع قرب روما، وحدثت أزمة بين الملك الحارث الرابع والملك اليهودي انتيباس ابن هيرود الكبير، الذي كان متزوجاً من ابنة أخيه سالومي، وبالتالي رغب في تطليق زوجته النبطية، وطلبت فصائل ابنة الحارث من زوجها انتيباس أرسالها إلى مكاور قرب مادبا في حوالي عام 27 ميلادي، بعد أن شعرت بما سيحل بها، ومن موقع مكاور غادرت إلى مدينة مادبا، الخاضعة لحكم أبيها ومنها إلى البتراء، ولم يستطع الحارث الرابع تقبل ذلك، وما لحق من ذل بابنته فصائل، فجهز جيشاً لينتقم لها، وهاجم جيش اليهود بقيادة انتيباس عام 34 ميلادي، وانتصر عليه قرب منطقة جمالا (Gamala)[3]، شمال

---

(1) Strabo, Op. Cit. XVI, 4, 23-24.

(2) Josephus, F., Op. Cit. XVI, 273-285.

(3) يرجح أن تاريخ معركة جمالا Gamala التي انتصر فيها الأنباط على اليهود تعود الى ما قبل عام 34 ميلادي وليس 37 ميلادي كما تذكر المصادر القديمة، وذلك انه ليس من المعقول ان ينتظر الملك النبطي مدة عشر سنوات حتى ينتقم لإبنته، وكذلك نعرف من المصادر

نهر اليرموك إلى الشرق من بحيرة طبريا، وقد طلب انتيباس العون والمساعدة من الإمبراطور الروماني طيباريوس (Tiberius) لصد الملك النبطي الحارث الرابع، وقد استجاب طيباريوس لطلب انتيباس، واوعز إلى القائد الروماني فيتليوس (Vitellius) بتجهيز حملة، وأن يُحضر ملك الأنباط حياً أو ميتاً، ولكن الإمبراطور الروماني توفي وتراجع القائد عن حملته[1].

وانتهز هذه المناسبة لأشير إلى النقش الصفوي الذي عثر عليه خالد الجبور مفتش آثار المفرق، في الصحراء الشمالية الشرقية، قرب منطقة وادي سلمى، على بعد حوالي 45 كليو متر شمال شرق بلدة الصفاوي، وقام صبري العبادي بدراسة وتحليل هذا النقش، ويرد فيه (لاوس الله بن سعد الله بن جدي وعلف سنة حرب الأنباط واليهود) وخلُص العبادي في تأريخه لهذا النقش للفترة الممتدة ما بين عام 96 قبل الميلاد ولغاية عام 40 ميلادي[2].

صحيح أن العبادي أرخ هذا النقش، الذي يتحدث عن حرب الأنباط واليهود، إلى تلك الفترة (من عام 96 قبل الميلاد ولغاية 40 ميلادي) بالرغم من طول هذه الفترة التي تقدر بحوالي قرن ونصف من الزمن، وهي فترة طويلة جداً تاريخياً، تعاقب عليها مجموعة من ملوك الأنباط، وحدثت فيها تطورات سياسية وعسكرية هامة، كما أن العبادي أصاب في تأريخه لهذا النقش بين هاتين الفترتين الزمنيتين، وصحيح أيضاً أسلفنا عندما تحدثنا عن تاريخ الملك النبطي الحارث الثاني، واستمرت هذه الحروب إلى ما قبل نهاية حكم الملك النبطي الحارث الرابع.

ونستطيع القول أن التاريخ الذي تحدث عنه النقش الصفوي المذكور بالتحديد، هو الفترة الواقعة ما بين عام 27 ميلادي وحتى 34 ميلادي، أي بحدود

التاريخية الأخرى ان الرومان سيطروا على المناطق الشمالية من الأردن وخاصة منـاطق أم قيس وحوران في عام 34 ميلادي، فلا يعقل ان يهاجم الملك الحارث الرابع هذه المناطق في عام 37 ميلادي لأنها كانت خالية من اليهود وتابعة للسيطرة الرومانية

(1) Ibid, XVIII, 113-125

(2) عبادي، صبري، ذكر حروب الأنباط واليهود في النقوش الصفوية، مؤته للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية،11،2، الكـرك،1996 ، ص-253 239

سبعة سنوات وهي الفترة التي توترت فيها العلاقات بين الأنباط واليهود زمن الملك الحارث الرابع، كما أسلفنا عندما تحدثنا عن هذا الملك، إي منذ التاريخ الذي طُلقت فيه ابنة الحارث الرابع من قبل زوجها الملك اليهودي انتيباس في حوالي عام 27 ميلادي، إلى أن انتهت هذه التوترات بالمعركة الشهيرة (جمالا) شمال نهر اليرموك، والتي انتصر فيها الأنباط على اليهود عام 34 ميلادي (وقد سبق وأوضحنا لماذا اختير هذا التاريخ) ويبدو أن الملك الحارث الرابع قد عبر من المناطق الشمالية الشرقية من الأردن (منطقة النقش الصفوي) بعد هذه المعركة، وأصبحت هذه المناطق، ومناطق حوران حتى دمشق، تابعة لملكته الواسعة.

وهناك اهتمام ملحوظ بمناطق مدائن صالح، جنوب المملكة النبطية في زمن الحارث الرابع، وتؤكد ذلك مجموعة من النقوش المؤرخة التي تعود إلى فترة حكم هذا الملك[1]، كما تعتبر معظم المباني المبنية والمنحوتة في البتراء، قد تم تدشينها في زمن الملك الحارث الرابع وزمن أسلافه. ويعتقد إن الخزنة، ومعبد قصر البنت الذي وجد به نقش يحمل اسم هذا الملك وانه دشن في زمنه، وهذا من أهم الأدلة التي تؤكد أن جميع المباني ومنحوتات مدينة البتراء، وغيرها من المواقع النبطية، كانت قائمة قبل وصول الرومان إلى البتراء في عام 106 ميلادي، ولا بد في ظل هذا الإزدهار، أن يصك في عهد الملك النبطي الحارث الرابع، مجموعة من قطع النقود الفضية والبرونزية، وكانت هذه النقود تحمل عبارة (حارثة ملك الأنباط المحب لشعبه)، كما أصدر نقداً تذكارياً لزواجه من شقيله (شقيلات) التي أصبحت ملكة بعد وفاة زوجته السابقة والمدعوة خلدو.

مالك الثاني (Malichus II)

يعود تاريخ حكم هذا الملك إلى الفترة الممتدة ما بين عام 41/40 ميلادي ولغاية عام 71/70 ميلادي.

خلف هذا الملك أبيه الحارث الرابع، وقد تميز عهده بفترة ركود سياسي،

---

(1) Khairy, N., An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Medain Salah, ZDPV, 96, 1980, pp. 163-173.

واقتصادي، بعكس فترات الازدهار التي اتسمت بها فترة حكم والده.

ومن أهم الأحداث السياسية والعسكرية، التي حدثت في عهد الملك النبطي مالك الثاني، القيام بمساعدة القائد الروماني تيطس (Titus)، قبل أن يصبح امبراطوراً فيما بعد، أثناء تجهيز تيطس لحملة عسكرية لمهاجمة اليهود في عام 67 ميلادي، عندما زوده الملك النبطي مالك الثاني بحوالي ألف من الخيالة وخمسة آلاف من المحاربين المشاه ومنهم رماة السهام[1].

وقد سار مالك الثاني، على نهج أسلافه في صك قطع النقود النبطية المختلفة وكانت بعض قطع النقود تحمل صورة زوجته.

رب آيل الثاني (Rabbel II)

يعود تاريخ حكم هذا الملك الى الفترة الممتدة ما بين عام 71/70 ميلادي، ولغاية عام 106 ميلادي، حكمت والدته شقيلات بسبب صغر سنه، عند وفاة والده الملك مالك الثاني، حتى تاريخ وفاتها في عام 76 ميلادي، وبعدها تقلد ابنها الملك رابيل الثاني الحكم[2].

ويبدو أن أهمية البتراء كعاصمة قد تأثرت سلبياً، بسبب انتقال مراكز التجارة الى المناطق الشمالية من مملكة الأنباط، وبداية ظهور مملكة تدمر في سوريا، مما دفع الملك رابيل الثاني، الى نقل العاصمة النبطية من البتراء الى مدينة بصرى في حوران، احدى المدن النبطية الهامة، وذلك لقربها من الطرق التجارية، وكذلك نتيجة لأهتمام ملوك الأنباط، وخاصة منذ تاريخ الملك الحارث الرابع بمناطق حوران، ولا غرابة ان نجد أن مناطق حوران عبدت الآله السامي الشمالي سيد السموات (بعل شمين)، الذي دعي بإله مالك ملك الأنباط، وفي نهاية حكم الملك رب آيل الثاني عام 106 ميلادي، ضمُت مدينة البتراء والمملكة النبطية الى الإمبراطورية الرومانية، وعرفت بإسم المقاطعة العربية وعاصمتها بصرى.

---

(1) Josephus, F., Op, Cit. III, 68.
(2) Meshorer, Y., Op. Cit. 1975, p. 72.

وهناك بعض الإشارات التي تذكر أن البتراء، بقي معترفاً بها كعاصمة للأنباط من قبل الرومان حتى عام 132 ميلادي[1]، وتم تسليم البتراء سلماً للإمبراطور الروماني تراجان، وقام الإمبراطور الروماني هدريان، بزيارة البتراء. وبقي الأنباط في مناطقهم المختلفة كالبتراء وغيرها في ظل الولاية العربية، وبقيت آثارهم التي تعود الى هذه الفترة وما بعدها ماثلة للعيان لغاية اليوم، كما تميزت بطابعها النبطي الشرقي، حتى أننا نجد ان حاكم المقاطعة العربية، سكتيوس فلورنتينوس (Sextius Florentinus)، الذي وجدت عنه كتابة يونانية، على ورق البردى في منطقة عين جدي، الواقعة على الجانب الغربي للبحر الميت، تشير الى أن سكتيوس كان حاكماً للمقاطعة العربية في عام 127 ميلادي[2]، ونجده قد فضل ان ينحت مدفنه قبل وفاته، على غرار نحت المدافن النبطية الأخرى الموجودة في البتراء، وهذا دليل واضح على تأثر الرومان وحكامهم، بالحضارة النبطية التي بقيت لها تأثيرها الكبير، حتى بعد انتهاء سيطرتهم السياسية، وهذا يذكرنا كيف تأثرت الحضارة البطلمية بشكل مباشر، بالحضارة المصرية في الفترات السابقة، وقد أظهرت الحفريات الأثرية الحديثة، في مناطق خربة الذريح قرب الطفيلة، والحفريات في وادي صحراء النقب، استمرارية البناء والعمارة النبطية، وازدهار صناعة الفخار النبطي، وخاصة الفخار المدهون، والذي تميز بأشكاله وزخارفه المشابهه للفخار النبطي الملون، الذي يعود الى فترة ازدهار مملكة الأنباط، والذي تميز على الفخار النبطي اللاحق بالدقة والرقة وعجينته الناعمة[3]، وفي

(1) Yadin, Y., Expedition D -The Cave of Letters, IEJ, 12, 1962, pp. 227-260.
(2) Ibid, pp. 259-260.
(3) Horsfield, G. and A., Sela -Petra, the Rock of Edom and Nabatene, QDAP, VII (1938), pp. 1-42; VIII, 1938, pp ;115-87 .IX, 1941, pp. 105-204.
Khairy, N., The Panited Nabataean Pottery from the 1981 Petra Excavations, Levant, XIX, 1987, pp. 167-181

القرن الرابع الميلادي اعتنق الأنباط الدين المسيحي، وأصبحت البتراء متروبولية (Metropolis)، في عهد الإمبراطور قسطنطين الثاني عام 358 ميلادي[1] وفي عام 446 ميلادي كان البطريرك جازون (Jason) في البتراء، وفي عهده تم تحويل المدفن النبطي المعروف (بضريح الجره) الى كنيسة، وتم تحويل خزائن الدفن، وعمل الحنيات في صدر البناء الداخلي، لتتناسب مع مخطط الكنيسة، كما وجدت كتابة يونانية مكتوبة باللون الأحمر داخل هذا المدفن توضح استعماله ككنيسة في عام 446 ميلادي في عهد جازون[2]. كما دلت الحفريات في السنوات الأخيرة في مدينة البتراء، على أهمية المدينة في العصور اللاحقة، نهاية القرن الخامس والقرن السادس الميلاديين، والذي تمثل بالعثور على كنيسة بازليكية الشكل، ذات أرضيات فسيفسائية جميلة، تحمل العديد من الزخارف والتصاوير، ويعود تاريخ هذه الكنيسة الى أواخر القرن الخامس ميلادي وبداية القرن السادس ميلادي، تم العثور في قبو الكنيسة على لفائف مكتوبة من ورق البردي والتي تعرضت للدمار والحريق[3]. وكما في البتراء استمرت النهضة المعمارية في باقي مدن وقرى الأنباط في وادي موسى وخربة الذريح وام الجمال ووادي عربة وصحراء النقب وحوران، وفيما بعد اهتم الصليبيون بمدينة البتراء التي أطلقوا عليها اسم وادي موسى، بسبب قربها من طرق القوافل القادمة من صحراء سيناء ومصر، وقد بنى الصليبيون مجموعة من القلاع والحصون، على الخط الدفاعي الذي امتد من العقبة وحتى الكرك، وبنوا قلعتين في منطقة البتراء، الأولى تسمى قلعة الحبيس بنيت فوق جبل الحبيس داخل البتراء، والثانية قلعة الوعيره قرب منطقة

Villeneuve, F., The Pottery from the Oil -Factory at Khibet adh Dharih (2nd Century A.D.) A Contribution to the Study of the Material Cultrre of the Nabataeans, ARAM, 2, 1990, pp. 367-384

(1) Le Quien M., Oriens Christianus, Vol. 3 Paris, 1740, pp. 723-726.

(2) Brünnow, R.E. and von Domasweski, A., Die Provincia Arabia, Strasbourg, 1904, p. 393.

(3) Frosen, J., and Fiema Zbiegniew T., The Petra Papyrii, ACOR Newsletter, Vol. 6-2, 1994, pp.3-1 .

الرمله خارج المدينة.

يقول أحد الحجاج المسيحيين المدعو تتمار (Thetmar) في القرن الثالث عشر عام 1217 ميلادي، بأنه قد مر الى اليمين من منطقة الرقيم (اسم البتراء الآرامي ويقصد البتراء)، التي كانت عاصمة العرب الرئيسة[1] وهذا يدل على أن السكان المحليين في البتراء ووادي موسى وحتى ذلك التاريخ، لا زالوا محافظين على اسم عاصمة أجدادهم الأنباط والتي كانت تدعى الرقيم.

كما يذكر المؤرخ النويري ان السلطان بيبرس قد زار قلعة الحبيس في البتراء عندما كان متوجهاً من مصر الى مدينة الكرك في الأعوام 1277/1260 ميلادي، كما لا زال الأجداد يذكرون ولغاية اليوم، بعض العائلات المنحدرة من أصول عربية قديمة، والتي كانت تسكن مناطق البتراء، ومناطق دبدبة في الشوبك في القرن السابع عشر الميلادي، حيث ان المحفل الكنيسي الذي عقد في بيت لحم في فلسطين يذكر أن أحد هؤلاء الكهنة كان يمثل مدينة البتراء وما حولها، والذي وقع اسمه في هذا المحفل باسم عطية الله (وهب الله بالنبطية) (Dorotheos) من البتراء، وكان أيضاً من الموقعين في هذا المحفل كاهن مؤاب الكرك[2].

كما تذكر الروايات ان العائلات المسيحية، التي كانت تقطن مناطق البتراء ووادي موسى، قد هاجرت الى الكرك في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

---

(1) Peregrinatio, XV, 10.

(2) Le Quien, M., Op. Cit., p. 727.

وهناك قائمة متداولة لملوك الأنباط وهي كما يلي:

1- الملك الحارث الأول ملك الأنباط — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 168 قبل الميلاد.

2- الملك الحارث الثاني — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 120- 110 قبل الميلاد.

3- الملك عباده الأول — . يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 96 قبل الميلاد ولغاية 84 قبل الميلاد.

4- الملك رآبيل الأول — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 85- 84 قبل الميلاد. .

5- الملك الحارث الثالث المحب للهلينية — . يعود تاريخ حكمه الى حوالي عام 84 – 62ب/61 ق ل الميلاد. .

6- الملك عباده الثاني — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 62/61- 59 قبل الميلاد.

7- الملك مالك الأول — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 59 - 30قبل الميلاد..

8- الملك عباده الثالث — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 30 - 9 قبل الميلاد.

8- الملك الحارث الرابع المحب لشعبه — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 9 قبل الميلاد ولغاية 40 ميلادي.

9- الملك مالك الثاني — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 40 - 70 ميلادي.

10- الملك رب آيل الثاني الحامي والمعيش — يعود تاريخ حكمه إلى حوالي عام 70 - 106 ميلادي.

لشعبه.همه الملكة شقيلات
حكمت منذ عام 70-
75 ميلادي.

اللغة و الكتابات

تحدث الأنباط اللغة العربية، وكتبوا بالأحرف النبطية ذات الأصل الآرامي، وكان بعضهم يجيد اللغة اليونانية، وتم العثور على عدد من النقوش المحفورة في المواقع النبطية، والتي كتبت بالأحرف العربية النبطية.

كما أن الكتابة العربية قد تحدرت عن الكتابة النبطية، ومن المثير للجدل ان البتراء عاصمة الأنباط، كانت قليلة الكتابات والنقوش، كما أن العديد من معالمها المعمارية المنحوتة والمبنية من الحجارة، قد اكتنفها الغموض، بسبب عدم وجود أدلة كتابية كافية تدل على هذه المعالم، أو على من سكنها أو دفن فيها، ما عدا بعض الإشارات الكتابية في مدفن التركمانية، أو في مدفن قبر المسلات، حيث تم العثور على نقش نبطي، في الجهة المقابلة لهذا المدفن، تتكلم عن صاحب هذا المدفن المسمى (عبد منكو)، وقد وجدت كتابة يونانية بجانب الكتابة النبطية، تتضمن نفس ما ورد في النبطية، وهذا أحد الدلائل التي تشير الى معرفة الأنباط اللغة اليونانية، إضافة إلى استعمالهم لهذه اللغة على مسكوكاتهم، كما أنها كانت لغة التخاطب ولغة التجارة الخارجية للأنباط خارج حدود مملكتهم، كما تم العثور على بعض المقابر، التي احتوت على كتابات تذكر أسماء الأشخاص المدفونين، وتم التعرف على بعض الآلهة التي عبدت، وأسماء الملوك والملكات وبعض عاداتهم وتقاليدهم، وبعض الإشارات الدينية في داخل السيق، كما أن المعلومات التي جاءت بها نقوش التركمانية، أو نقوش قبر المسلات تضمنت فقط إشارات عن اسم صاحب المدفن، وربما وظيفته وجنسه، واتضح ان المدفن

كان يستعمل لدفن الأجداد والأقارب.

وهذا لا يعني ان الأنباط كانوا في غالبيتهم لا يعرفون الكتابة، ولكن على ما يبدو ان معظم المعالم الهامة في البتراء كالخزنة أو الدير أو ضريح الجرة، أو غيرها من المعالم المبنية من الحجارة، كانت تحوي كتابات منقوشة على لوحات حجرية، أو رخامية تعلق على واجهات هذه المعالم أو في داخلها، وانه نتيجة للخراب وعامل الزمن قد ضاعت ولم يبق منها شيئاً، أو ان الأنباط لم يكونوا بحاجة الى الكتابة، للتعريف بهذه المعالم التي كانت معروفة ومشهورة للجميع في عصرهم، وبالتالي فإنهم ليسوا بحاجة الى التعريف بها أو الكتابة عليها، أو أنهم كتبوا على مواد أخرى كورق البردى، أو الجلود التي تتأثر بسهولة بالعوامل الطبيعية، وقد تم العثور على ورقة بردى ضمن لفائف كهوف قمران مكتوبة بالنبطية، تتحدث عن عقد بيع أرض.

كما كشفت التنقيبات الأخيرة في منطقة الكنيسة في مدينة البتراء عن مجموعة كبيرة من لفائف ورق البردى مكتوبة باليونانية، وصحيح أن هذه اللفائف تعود لفترة متأخرة عن الفترة النبطية، ولكن هذا لا يمنع ان يكون أجدادهم الأنباط، قد كتبوا بنفس الطريقة والأسلوب وبالنبطية، في معابدهم، ومنازلهم، ومقابرهم، كما أننا نجد قلة الكتابات في بعض المناطق النبطية البعيدة عن البتراء كخربة الذريح، ووادي عربة، ومدن النقب، ونجد بالمقابل كثرة النقوش والكتابات في مناطقهم الأخرى كمدائن صالح وأم الجمال. قبل وصول الأنباط الى المناطق الشمالية من الجزيرة العربية، وربما قبل القرن السادس قبل الميلاد، عند وصولهم الى المناطق الشمالية، واحتكاكهم ومعيشتهم جنباً الى جنب مع أخوانهم الآدومين، والشعوب الأخرى التي تتكلم اللغة الآرامية لغة الشماليين، تعلم الأنباط هذه اللغة والكتابة ومن ثم طوروها الى الكتابة النبطية.

سمى الأنباط أنفسهم بالكلمة (Nbtw)، ووردت هذه الكلمة في عدة نقوش، كما تم الاستدلال عليهم حين يرد ذكرهم في الكتابات اليونانية القديمة، التي ذكرتهم بإسم شالمو أو شلمو (Shalamu)، كما وردت كلمة نبايات (Nabayat)، للدلالة على الأنباط في نقوش جبل غنيم، ووردت كلمة (Nbtw) باسم علم.

ومن النصوص الهامة التي تتكلم عن الأنباط، النص البيزنطي القديم الذي يتكلم عن قرية موتو العربية (Motho)، حيث قتل الأنباط القائد اليوناني، الذي قاد الحملة العسكرية اليونانية، التي جهزها انتقونس لإخضاع البتراء في القرن الرابع قبل الميلاد، وكان الأنباط بقيادة أحد ملوكهم والذي يدعى بـ رابيل (رب آيل) (Rabilos) ملك العرب[1]، ومن المحتمل ان تكون قرية موتو العربية التي يقصدها هذا النص هي بلدة مؤتة الحالية، وقد جاءت تسميتها تلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بسبب هذه المعركة الهامة، والتي قتل فيها القائد اليوناني، وانتصر فيها الجيش النبطي، كما أن كلمة موتو تعني الموت عند الأنباط.

استعمل الأنباط نظامهم الخاص بهم في التأريخ، وقد استخدموا نظام التأريخ حسب تسلسل ملوكهم[2].

كما أنهم عرفوا استخدام الأشهر[3]، ومن المؤكد أنهم أخذوا هذا النظام الشهري وتقسيماته عن البابليين[4]، وقد أشار نلسن جلوك (Glueck)، الى معرفة الأنباط ببعض الإحتفالات الدينية، وخاصة في إشارته أثناء حفرياته في موقع خربة التنور، الى وجود احتفالين في وقت الربيع والأخر في الخريف[5].

---

(1) Pritchard, J.R, Ancient Near Eastern Texts, 1950, pp. 289-300.
Al -Theeb, S., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North - West Saudi Arabia, Riyadh, 1993, p. 137.

(2) Starcky, J., Petra et la Nabaténe, Supplement au dictionnaire de La Bible, Vol. VII, 1966, pp. 903-404.

(3) Pritchard, J., Ancient Near Eastern texts relating to the old testament, princeton, 1969, p. 219.

(4) Cantineau, J., Le Nabateen, 2Vol., Paris, 1930-1932, pp. 170-171.

(5) Glueck, N., Deities and Dolphins, The Story of the Nabataeans, London, 1965, pp. 415-416.

قائمة الأحرف النبطية

العربية الالفابئية	الاسم	النبطية
أ	Aleph	𐢀 𐢁
ب	Bet	𐢂 𐢃
ج	Gimel	𐢄
د	Dal	𐢅
هـ	Ha	𐢆 𐢇
و	Waw	𐢈
ز	Zayn	𐢉
ح	Ħa	𐢊
ط	Ṭaa	𐢋
ي	Yaa	𐢌 𐢍
ك	Kaf	𐢎 𐢏
ل	Lam	𐢐
م	Meem	𐢑 𐢒
ن	Noon	𐢓 𐢔
س	Samech	𐢕
ع	'in	𐢖
ف	Fa	𐢗
ص	Ṣad	𐢘
ق	Qaf	𐢙
ر	Ra	𐢚
ش	Shin	𐢛 𐢜
ت	Ta	𐢝

الديانة والآلهة النبطية:

تعتبر المعلومات قليلة عن ديانة وآلهة الأنباط، حيث جاءت الإشارات مقتضبة خلال الكتابات والنقوش المتعلقة بهذا الموضوع، واقتصرت هذه الإشارات على ذكر أسماء بعض الآلهة، دون الإشارة الى التقاليد، والعادات، والمعتقدات الدينية، إلا إنه تم معرفة بعض الآلهة، عن طريق تحليل وقراءة النقوش النبطية[1].

كما جاءت معرفة بعض هذه الآلهة، خلال الكشف عنها أثناء التنقيبات الأثرية، في حفريات خربة التنور في وادي الحسا في الطفيلة حيث تم الكشف عن بعض الآلهة النبطية والتي أهمها الآلهة اتارقتس (Atargatis)[2]، كما كشفت حفريات خربة الذريح، القريبة من موقع خربة التنور في وادي اللعبان، عن مجموعة كبيرة من الآلهة النبطية (صورة رقم 1)، ومنها الآله هرمس ميركوري (- Hermes Mercury)، ويقابل هذا الإله الإله النبطي الكتبا (Al -Kutba)، وتم الكشف في موقع خربة الذريح عن عدد كبير من الآلهة التي تمثل الأبراج، والآلهة السماوية كما كشف عن عدد من الأنصاب في منطقة المعبد[3].

لقد حمل الأنباط معهم آلهتهم، ومعتقداتهم الدينية، التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، وبقوا محافظين عليها حتى بعد إستقرارهم في المناطق الشمالية، وقد ذكر سترابو الجغرافي اليوناني، بعض المجالس أو المضافات التي كان يجتمع فيها الأنباط، حيث يذكر ان الأنباط يجتمعون في حلقات مؤلفة من 13 شخصاً،

---

(1) Cantineau, J., Le Nabatéen, 2Vol., Paris, 1930-1932, pp. 17-19؛
المحيسن، زيدون، ڤيل نيف، فرانسوا، جانيف، مولاي، خربة الذريح إضاءات جديدة على ديانة الانباط ومعتقداتهم، أدوماتو، ٩، الرياض، ص43-58

(2) Glueck, N., Deities and Dolphins, The Story of the Nabataeans, London, 1965, pp. 143-144

(3) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbet edh - Dharih, Liber Annuus, XLIII, Jerusalem, 1993, pp. 486-489.
Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Jordanie: Dharih, Le Monde de la Bible, No. 89, Paris, 1994, pp. 41-45.
Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F ,.Khirbet edh -Dharih, AJA, 1994, pp. 521-522.

ويوجد في كل حلقة موسيقيان، وللملك قاعة ضخمة يقيم فيها مآدبه، وفي هذه المآدب لا يشرب كل مدعو أكثر من 11 كأساً من النبيذ، وكان الملك يشارك الناس والعامة حياتهم، وانه يخدم نفسه بنفسه، ويقوم على خدمة الآخرين من شعبه، وهذه من العادات السامية المعرفة والتي اشتهر بها الأنباط[1]، ولا نزال نذكر لغاية اليوم المثل القائل (كبير القوم خادمهم)، وقد شكلت حول عبادة الإله، جماعات لأغراض دينية، أو جنائزية، وقد سميت (المرزاح) (Marzeha) بالآرامية، ووردت هذه الكلمة في منطقة الدير، حيث أشار أحد النقوش الى مرزاح عبادة الرب، ويعتقد انه الملك النبطي عبادة الأول الذي أُلِّهه بعد وفاته[2]، كما وجدت كتابة نبطية في منطقة السيق البارد (البيضا) في أحد المضافات ذكرت سيد المرزاح (رب مرزحا) بالنبطية[3].

وقد كان الأنباط يحجون الى معابدهم، المتواجدة في المناطق المرتفعة، وابرز هذه المناطق موقع خربة الذريح وخربة التنور، وكان الأنباط أثناء طقوسهم الدينية يطوفون حول المنطقة المركزية داخل المعبد.

وكما ذكرت في البداية عن قلة المعلومات الخاصة بهذا الموضوع من ناحية النقوش النبطية نفسها، نجد أن المؤرخين اليونان القدماء، أمثال ثيودور الصقلي، وسترابو، قد جاءوا ايضاً بمعلومات غير دقيقة، وبعضها خاطئة، خاصة فيما يتعلق بالديانة النبطية، وذلك بسبب عدم معرفتهم بالعادات، والتقاليد، وحتى اللغات السامية من ناحية، كما أن تلقيهم للمعلومات عن الأنباط من أشخاص آخرين، ساهمت في عدم دقة، ووضوح هذه المعلومات من ناحية أخرى.

---

(1) Strabo, Geography, XIV, 4, 26.
Tarrier, D., Les triclinia nabatéenns dans la perspective des installations de banquet du Proche -Orient, These de Doctorat, Paris I -Panthéon -Sorbonne, 1988

(2) Dalman, G., Neue Petra Forschungen, Leipzing, 1912, p. 57 and 92, No. 73.

(3) Zayadine, F., A Nabataean Inscription from Beida, ADAJ, XXI, 1976, pp. 139-142

وتعتبر دراسة المصادر العربية القديمة التي تحدثت عن آلهة الجزيرة العربية وأماكن العبادة فيها، من أوثق وأدق المصادر، بالرغم من تحاشي المؤرخون العرب في فجر الإسلام، الحديث عن الشعائر الدينية والآلهة، وكل ما يتعلق بقبل الإسلام، حتى يتخلصوا من عقدة الجاهلية، ومن أشهر من كتب في موضوع آلهة العرب قبل الإسلام الكاتب محمد بن المحق، وللأسف لم يعثر على كتابه لغاية اليوم، أما أبرز ما بقي من هذه المؤلفات، والمصادر المتعلقة بديانة العرب في الجاهلية هو (كتاب الأصنام)، لهشام بن محمد الكلبي، المتوفي سنة 819 ميلادي، وقد تحدث هذا الكتاب عن الديانة، والآلهة، وأماكن العبادة قبل الإسلام، ونظراً لإرتباط ديانة الأنباط وآلهتهم بديانة العرب قبل الإسلام، فإن كتاب الأصنام يعتبر مصدراً موثوقاً، وصادقاً في نقل المعلومات حول هذا الموضوع، وفيما يلي بعض التعريفات للآلهة التي كانت موجودة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وسأحاول التعليق على علاقة هذه الآلهة بالأنباط وأماكن تواجدها في المناطق النبطية المختلفة.

الآله ذو الشرى

ورد في كتاب الأصنام، ان الإله ذو الشرى، هو صنم بني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[1] وقد جلب الأنباط معهم هذا الإله من الجزيرة العربية ويقابل الإله ذو الشرى الإله اليوناني زيوس (Zeus)[2]، كما يقابل الإله بعل شمين والإله بعل وحدد في الديانات السامية[3].

ويركز العديد من الدارسين على أن هذا الإله، قد ارتبط باسم جبال الشراه، ظناً منهم ان اسم هذه الآله قد جاء منها، حيث أن منطقة الشراه، تشمل

---

(1) الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد، كتاب الأصنام، تحقيق احمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1924، ص37

(2) Starcky, J., Petra et la Nabatène, Supplément au dictionnaire de La Bible, Vol. Vll, 1966, p. 913.

(3) Hammond, P.C., The Nabataeans,Gothenburg,1973, pp. 95-96.

المناطق الواقعة بين الحجاز واليمن، وقد استوطنت في هذه المنطقة قبائل الأوس، والأزد، والحارث، التي كانت تتخذ الاله ذو الشرى صنماً لها، وقد هاجرت هذه القبائل من اليمن الى منطقة السراه، بعد إنهيار سد مأرب كما ذكرنا سابقاً، وإذا كان هناك ارتباط بين السراه وجبال الشراه، فلا يعتقد ان تكون هناك علاقة بين الجبال والإله ذو الشرى، ونجد في المعاجم ان كلمة الشرى، تعني المنطقة المليئة بالأشجار، أو الغابة التي تأوي إليها الأسود، فيقال (أسد الشرى)، وقد ورد في قاموس اسطفانوس البيزنطي ان ذو الشرى، مكان مرتفع في الجزيرة العربية، وقد أخذ منه اسم الإله ذو الشرى اله العرب الدوشريين[1] وربما حصل خلط بين الدارسين، عند ذكر اسطفانوس للمنطقة أو الجبل المرتفع، لذا حصل الخلط بين ذو الشرى ومنطقة السراة (سراة الأزد).

يقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، ان جبل الشراه، جبل مرتفع تسكنه القرود، وهذا جبل لبني ليث ولبني ضفر، ويقع على يسار عسفان وهو قريب من الحجاز، كما أن الشراه تطلق على المنطقة الواقعة ما بين دمشق ومدينة الرسول عليه السلام، ومن مناطقها الحميمة التي سكنها ولد علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في زمن بني مروان، كما يذكر ياقوت ان الشرى مكان قرب الحرم، وان ذو الشرى كان صنماً لأوس (وكانوا قد حموا له حمى)، ويقال أن الطُفيل بن عمرو لما دخل الإسلام وعاد الى أهله، اقتربت منه زوجته، فقال لها: إذهبي عني فقد فرق دين الإسلام بيننا، فقالت زوجته (دين دينك)، فأشار عليها زوجها ان تذهب الى حمى ذي الشرى لتتطهر منه، فقامت واغتسلت عند ذي الشرى ولما عادت الى بيتها طلب منها زوجها ان تسلم فأسلمت[2].

وقد تميز الإله ذو الشرى في البتراء، بوجوده بالقرب من المياه، أو نحتت بالقرب منه حفر لوضع الماء في داخلها، للتطهر عند زيارة هذا الإله، وهذه العادة

---

(1) stephano Byzantinos Ethnika: dousares

(2) الحموي، الإمام شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، ج3، بيروت، 1979 ، ص320-333

(عادة التطهير) معروفة لدى الساميين، عند مرورهم أو دخولهم الأماكن المقدسة، وقد وجدت أماكن لهذا الإله في وادي فرسا، وسد المعاجيل، ومناطق المذبح، وكلها مناطق مقدسة يوجد فيها خزانات للمياه، أو حفر صغيرة تعبأ بالماء قريبة من منحوتات هذا الإله، كما وجدت العديد من الإشارات الدينية النبطية، التي ذكرت الإله ذو الشرى مثل (ذو الشرى إله مالك) الموجودة في منطقة باب السيق ويقصد بمالك احد ملوك الأنباط، وكذلك (ذو الشرى إله المدرس)، وقد وجد هذا النقش في أحد المضافات (التريكلينيوم)، في منطقة المدرس قرب منطقة باب السيق، ويقصد بإله المدرس، إله هذه المنطقة (المدرس)، الحالية الموجودة في البتراء، والتي كانت لها صبغة دينية ومقدسة، وسمي بإله الجي (مدينة وادي موسى)، وإله رابيل، وملك الأنباط[1]، كما وجد هذا الإله على أحجار شكلها مستطيل، ووردت بعض الإشارات، الى أن الإله(ذو الشرى) كانت تقدم له الذبائح وتصب دمائها عليه.

اللات:

وهي اسم مؤنث، وكانت صنماً ومعبوداً على شكل صخرة مربعة الشكل، توجد في الطائف، وقد كانت قريش تعظم بيتها كما يفعل جميع العرب، ويقال ان قبيلة ثقيف تعظمها دون غيرها من الأصنام، وتزورها وتقدم لها الهدايا، وقد أشرفت قبيلة ثقيف على سدنتها وبنت لها بيتاً، ويذكر ابن الكلبي في كتابه الأصنام ان يهودياً كان (يلت) عندها السويق، أي كان يعجن خبز الشعير بالقرب من صنم الآلهة اللات واقترنت بعض أسماء الأعلام عند العرب في الجاهلية باللات مثل (زيد اللات) و(تيم اللات) و(وهب اللات)، وقد بعث رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) المغيرة بن شعبه، ليهدم ويحرق صنم اللات، ويقول الشاعر شداد بن عارض الجشمي بهذه المناسبة، بعد هدم وحرق اللات:

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها ... وكيف نصركم من ليس ينتصر

(1) Negev, A., Nabatean Archaeology Today, New York, 1986, p. 107.

وقال اوس بن حجر في اللات:

وباللات والعزى ومن دان دينهــا وبالله ان الله منهــن أكبــر[1]

وقد ذكر القرآن الكريم اللات بقوله تعالى: ﴿أفرءيتم اللات والعزى[2]، ومنوة الثالثة الأخرى﴾[3]، صدق الله العظيم.

ورث العرب قبل الإسلام، عبادة اللات عن أجدادهم القدماء، حيث وردت صور للات في نقوش الصفويين، وصوروها بشكل امرأة عارية يوجد فوق رأسها وشاحٌ، وأحد النجوم، وربما رمز النجم الى اعتبار هذه الإلهة أحدى الآلهة السماوية، كما وردت في النقوش الصفوية بإسم (لت) و(الت).

كما وردت اللات في النقوش الثمودية واللحيانية، في مناطق العلا شمال الجزيرة العربية، ونحتوها وهي بملابسها الحربية، وتضع على رأسها الخوذة وبيدها الرمح، أما عند الأنباط، فقد كانت اللات من آلهتهم المعروفة، حيث سمي المعبد النبطي في وادي رم بـ(معبد اللات)، وقد بنى هذا المعبد الملك النبطي رب آيل الثاني، الذي اتخذ مدينة بصرى في حوران عاصمة له، وقد ورد في أحد النقوش النبطية، الموجودة عند عين الشلالة، قرب معبد رم، ذكر لآلهة اللات حيث ورد (اللات، الموجودة في بصرى) ووجدت هذه الكتابة بجانب منحوتة للآلهة اللات، على شكل صنم مستطيل، وعليه ملامح وجه أنساني، وفي منطقة صلخد في حوران بنى الأنباط معبداً للآلهة اللات، يعود في تاريخه الى القرن الأول قبل الميلاد، كما أعيد ترميمه وإصلاحه في القرن الأول الميلادي. كما ورد اسم اللات في أحد النقوش النبطية المكتوبة فوق أحد المدافن النبطية في مدائن صالح، ويعود تاريخه الى القرن الأول قبل الميلاد[4].

العزى:

(1) الكلبي، 1924 ، ص1716

(2) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية19

(3) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية20

(4) Starcky, J., Op. Cit., 1966, pp. 1001-1002

وهي اسم مؤنث أيضاً، وكان العرب في الجاهلية، تقسم بها جنباً الى جنب مع الإلهة اللات (واللات والعزى)، وتقابل الآلهة الأخرى عند الشعوب المجاورة، حيث تقابل الآلهة عشتار، آلهة الخصب في بلاد ما بين النهرين، والآلهة اتارقتس عند السوريين، والآلهة افروديت آلهة الجمال عند اليونان.

وكانت الآلهة العزى من أهم وأعظم الأصنام عند قبيلة قريش، وكانت قريش تزورها، وتقدم لها الذبائح، والهدايا، وكانت قريش عندما تطوف بالكعبة تقول:

(واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلى).

ويقول الشاعر زيد بن عمرو بن نفيل عند تركه لعبادة الأصنام في الجاهلية:

تركت اللات والعزى جميعاً ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا أبنتيها ... ولا صنمي بني غنيم أزور
ولا هبلاً أزور وكان رباً ... لنا في الدهر اذ حلمي صغير

وكان يشرف على سدنة العزى بنو شيبان بن مرة من بني سليم[1]، وقد ورث العرب قبل الإسلام، عبادة الآلهة العزى واللات، عن أجدادهم العرب القدماء، فقد عبدها الأنباط العرب، وهذا ما يشير الى الإرتباط الكبير بين الأنباط وأحفادهم العرب في الجاهلية، وورد ذكر العزى في أحد النقوش، بجانب الطريق المؤدي الى جبل الخبثة في البتراء ، وقد يكون المذبح الموجود في أعلى الخبثة، قد خصص كمعبد للالهة العزى، ووجدت إشارات لها في منطقة سد المعاجيل (سد المعاجبن) في داخل البتراء، وذكرت في نقوش وادي السيغ، وفي الطريق المؤدي الى موقع الدير في البتراء. ووجدت لها منحوتة في منطقة وادي رم على شكل ملامح وجه إنساني، نحتت لها عينان مربعتان، كما وجدت في جزيرة كوس (Qos) احدى الجزر اليونانية كتابة باللغة النبطية، ذكرت اسم الآلهة العزى، وكتب بجانبها اسم افروديت (Aphrodite) باللغة اليونانية، ويعود تاريخ هذه الكتابة، الى عام

(1) الكلبي، 1924 ، ص2717

ثمانية عشر من حكم الملك النبطي الحارث الرابع، إي في عام تسعة ميلادي، ويوجد في منطقة خلاصة، احدى المدن النبطية الواقعة في صحراء النقب، معبداً خصص للالهة العزى[1].

هبل

من أعظم آلهة العرب قبل الإسلام، وقد كان من أهم الأصنام الموجودة عند الكعبة، ويذكر الكلبي الى أن أول من نصب هبل، هو خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يدعى هذا الصنم بهبل خزيمه، والصنم عبارة عن تمثال مصنوع من العقيق الأحمر، على شكل إنسان ويده اليمنى مكسورة، ويقال ان قريش صنعت له يداً من ذهب بدلاً من اليد المكسورة، وكان العرب في الجاهلية يستقسمون بالأقداح السبعة، والأزلام (الأسهم) عند الآله هبل إذا اختصموا في أمرٍ ما، أو اختلفوا أو شكوا في شيء كالمولود مثلاً، ويقال ان عبد المطلب جد الرسول العظيم، قد ضرب بالقداح في حضرة هبل، على ابنه عبد الله والد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وفي معركة أحد قال أبو سفيان بن حرب، حين انتصر المشركون في هذه المعركة (أُعلُ هُبل)، ويعني بذلك ارتفع وعلا دينك وكان الرسول العظيم يرد بقوله: الله أعلى وأجل[2].

شيع القوم

يقصد بشيع القوم، أن هذا الإله يرافق القوم كما يرافق الملوك في رحلاتهم وحروبهم، وكذلك مرافقته للقوافل التجارية، كما أن هذا الإله لا يشرب الخمر، وهنا نستذكر قول المؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي عندما ذكر الأنباط بأنهم لا يعرفون الزراعة، ويمتنعون عن شرب الخمر.

ويذكر ستاركي ان العالم الفرنسي كاليرمونت غانو (- Clermont

---

(1) Starcky, Op. Cit., 1966, pp. 1003-1004.

(2) الكلبي،1924 ، ص2827

(Ganneau)، قد وصف الإله شيع القوم، بنفس صفات الآله اليوناني ليكورغوس (Lycurgues)، حيث كان الإله ليكورغوس عدواً للآله اليوناني ديونيسوس (Dionysus) اله الخمر، ويظهر أن الآله ليكورغوس يعود في أصوله الى الشرق، وقد عبد هذا الإله في حوران، وفي شمال سوريا، وفي بعلبك، لم يذكر الآله شيع القوم في البتراء، وربما يعود السبب في ذلك الى إرتباط هذا الإله بحياة الصحراء، وقد صور هذا الإله بصورة جندي محارب، حيث أهدى أحد الجنود الأنباط واسمه عبيدو، مذبحين صغيرين للآله شيع القوم في مدينة تدمر، وورد اسم شيع القوم في مدائن صالح، كما ذكرته النقوش الصفوية والتدمرية[1].

الكتبا

ورد الآله الكتبا (Al. -Kutba)، في النقوش والكتابات النبطية، التي وجدت في منطقة عين الشلالة في وادي رم، كما ذكر الإله الكتبا في (جيا) أو الجي وهي بلدة وادي موسى، وقد ذكر الإله الكتبا قرب أحد المضافات (Stibadium) التي جاءت على شكل شبه دائري، ويذكر النقش عبارة (كتبا هذا الإله)، كما وجدت أشارات لهذا الآله في النقوش النبطية، المتواجدة في منطقة المدرس في البتراء، حيث وردت أسماء هذا الآله مثل تيم الكتبا، وذكرت النقوش اللحيانية في العلا في شمال السعودية، اسم هذا الآله حيث وردة عبارة (هنا الكتبا)، ويعتبر الآله الكتبا اله الكتابة العربي، المقابل للآله نابو البابلي، الذي كان إلها للكتابة أيضا، وقد قام الملك البابلي نابونيد بنقل هذا الآله معه، أثناء ترحاله بين منطقة تيماء ودومة الجندل[2] ويقابل هذا الآله أيضا الآله اليوناني هيرمس ميركوري (Hermes -Mercury)، الذي وجدت له أحد اكبر وأهم التماثيل، اثناء التنقيبات الأثرية في معبد خربة الذريح، كما وجدت له تماثيل في

---

(1) Starcky, Op. Cit., 1966, p. 996.
(2) Ibid, p. 994.
Tarrier, Op. Cit., 1988, pp. 149-150.

البتراء وخربة التنور[1].

الله

ذكر هذا اللفظ في الكتابات السامية الغربية، وتعني عندهم الإله الأكبر، كما استخدم بهذا المعنى أثناء حكم الملك البابلي سرجون ملك بلاد ما بين النهرين في حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وكذلك عند الآراميين حيث ورد في نقوشهم: (بيت آل) أي بيت الله.

كما وجد ذكر (الله) في النقوش الثمودية في مناطق العلا، وكذلك في النقوش الصفوية، وارتبط اسم الله ببعض الأسماء العربية النبطية: مثل رب آيل من ملوك الأنباط وجبريل، وعبد الله، وتيم الله[2].

ومن الآلهة العربية الأخرى، التي كانت معروفة في الجاهلية، والتي ورثها العرب عن أجدادهم القدماء الأنباط، الثموديون، والصفويون وغيرهم، الآلهة مناة الثالثة التي عبدتها قبيلة الأوس والخزرج في مناطق يثرب، وقد ذكرت هذه الآلهة في نقوش مدائن صالح، والآلهة اتارعتس التي وجد لها تمثال ضخم في معبد خربة التنور، كما عرف الأنباط بعض الإلهة المصرية كأيزيس زوجة اوزريس، ورمز لها بقرص الشمس فوق المثلث المنحوت على واجهة الخزنة[3]، كما وجد لها تمثال منحوت، في إحدى الثلاث كوات (نيش) في منطقة مدخل وادي السيغ، وكتب بجانبها اسمها بالنبطية[4]، ووجد شبيه لهذا التمثال تمثالاً آخر للالهة ايزيس قرب منطقة جبل هارون في البتراء، كما عرفت بعض الآلهة الأخرى، مثل قوس، وجد، ورضى، وسعد، وسعير، ومناف وغيرها.

---

(1) Al -Muheisen,Z., and Villeneuve, F., Op. Cit.,1993, p. 486.
Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Op. Cit., 1994, 43-44.
Villeneuve, F., and Al- Muheisen, Z., Dharih and Tannur, Sanctuaries of Central Nabataea, PETRA Rediscovered, New York, 2004, pp. 83-105

(2) Starcky, Op. Cit., 1966, p. 985.

(3) Ibid, p. 966.

(4) Milik, J. T., and Starcky, J., Inscriptions récemment découvertes à Petra, AJA, XX, Amman, 1975, pp. 120-124.

تعبد الأنباط في الأماكن العالية لقربها من السماء ولتوفر العزلة لهم، وكانوا يصلون إليها عبر الأدراج الطويلة، وفي هذه الأماكن والطرق المؤدية إليها نجد تماثيل الآلهة النبطية ومنها الآله ذو الشرى والآلهة العزى، وهذا يعطي دلالة أكيدة على أهمية ودور الديانة عند الأنباط، ومن طرق الأدراج التي توصل الى الأماكن الدينية المرتفعة في البتراء، الدرج المؤدي الى جبل المذبح، والدرج المؤدي الى جبال الخبثة، وكذلك طريق الدير، ومنطقة الحبيس، أما المضافات (التريكلينيوم) والتي كانت عبارة عن ثلاثة مصاطب أو موائد، وأحياناً مصطبتين، أو مصطبة واحدة، أو على شكل دائري، نحتت داخل الحجرات الصخرية أو في العراء، في البتراء والسيق البارد، وكان الغرض منها (المضافات) عمل الموائد الدينية، والجنائزية، والاجتماعية، وغالباً ما يكون هناك كوة (Niche) في الجدران الصخرية لهذه المضافات توضع فيها الآلهة، وتُقدم القرابين لها، كما نحتت الخزانات والأحواض الصغيرة لخدمة أغراض هذه المضافات أثناء إقامة المآدب الجماعية أو العائلية، وقد وجدت المضافات مع المنازل أو بالقرب من المقابر أو في المناطق العالية أو الأماكن الهامة[1].

---

(1) Tarrier, D., Les triclinia cultuels et salles de banquet (Petra), MDB, 14, 1980, pp. 38-40.
Tarrier, D., Les installations de banquet a Petra, RB 93, 1986, pp. 254-256, pl. 4b.

عادات وطرق الدفن النبطية:

لقد تعددت أنواع الدفن في البتراء، وعثر على عدة مقابر موزعة على مدى حجم المنطقة المسكونة، حيث ان هذا التوزيع يلقي الضوء على من سكن في هذه المنطقة في تلك الفترة، ومن هم ملوكها، ومحتويات هذه القبور تعطينا أدلة كافية عن عادات دفنهم[1].

ومن أهم طرق الدفن النبطية ما يلي:

1- الدفن في التوابيت الخشبية (Wooden Coffins):

فقد عثر في هذا النوع من المقابر ذات المداخل الرأسية (Shaft Tombs)، وفي أحد القبور منها على كسر حجارة وأتربة مختلطة مع عظام حيوانات، وكسر أثرية، وقطع من توابيت خشبية[2]، وبالرغم من ان هذا القبر قد نهب، إلا انه قد تم الكشف عن ستة أركان دفن، وكل ركن يحوي مقبره، يرجّح انه كان يحوي تابوتاً خشبياً[3]، وقد تم تنظيف هذه الأركان، وكانت تقريباً خاليه، إلا ان الركنين الخامس والسادس عثر فيهما على بقايا جماجم، ثلاثة منها محطمة واحداها كانت منبسطة إلا أنها محتفظة بشكلها سليماً[4]، ومع ان النهب تم في جميع الأركان، إلا أنه وبعد تنخيل الحطام الموجود عثر على عقد يحتوي على أجراس برونزية، وزجاج، وقشر الخرز، وصفيحتين معدنيتين مزخرفتين بعناقيد العنب، والأجراس متآكلة من الداخل وتُحمل هذه الزينات بسلك[5]، وعثر أيضاً على خرزة تركوازية شفافة على خنفسة، وعثر أيضاً على أسرجه. ان وجود التابوت الخشبي في هذا القبر، يشير الى المادة الأصلية لهذا التابوت، والطريقة التي صنع فيها، حيث تم بناؤه من خشب الأرز، وأجزاء الخشب مترابطة مع بعضها

---

(1) Kammerer, A., Petra et la Nabatene, 2 vol. Paris, 1929-1930.
(2) Murray, M.A., and Ellis, J.C., A Street in Petra, London, 1940, p. 12.
(3) Negev, A., The Nabataean Necropolis of Mampsis (Kurnub), IEJ, 21, 1971, pp. 110-129.
(4) Murray, M.A., Op. Cit. 1940, p. 12.
(5) Ibid, p. 25.

بطريقة التعشيق، وكانت نجارتها بشكل ممتاز، وعثر أيضاً على قطع خشبية كبيرة ملتوية بطريقة مقصودة عن طريق الإلواء الصناعي بالبخار(1).

وعثر أيضاً على قطعة من المرمر، في قاع المدخل الرأسي للقبر، غير معروف استخدامها، فهي مصقولة ومزينة من الوجهين، ومنقوشة بخطوط ودوائر.

وعثر على مثل عادة الدفن هذه في مقابر (Triple Dushara -D4) في سبعة مقابر، ثلاثة منها في صف متوازٍ، حيث أن القبر الثاني أُزيح حجران من إحدى زواياه من جهة الحائط، وفي نهاية الجهة الأخرى، عثر على حجر مستطيل تحت بلاطة، وعثر أيضاً على إناء يدوي، وعثر في الزاوية اليسرى وبجانب السطح، على ثلاث جماجم أطفال، هذه الجماجم كانت موجودة فوق سرير من الرماد الخشبي وبعض القطع المحروقة، إلاّ أن العظام لم تبين وجود أي حرق(2).

ولقد تم الكشف عن قبر ذي مدخل رأسي في البتراء يدعى (Shaft Tomb BI, 1) وذلك عام 1973، وتبلغ مساحة هذا القبر 2.5×0.70 متر محفور في الأرضية الصخرية، ويمكن الوصول الى القبر، عن طريق الحُفر التي تشكل مواطئ رؤوس أصابع القدم للتسلق الى الغرفة الجنائزية، حيث تبلغ مساحتها 5.20×2.70 متر، وعثر داخل هذه الغرفة على ثمانية قبور، وقد احتوت جميع هذه القبور على بقايا هياكل عظمية، إلا أن القبر السابع عثر فيه على هيكل عظمي كامل، حيث يتجه رأسه الى الجهة الشمالية وذراعيه على جانبيه، وعثر على بقايا جمجمة أخرى تخص شخصاً آخر، وقد تم جمع مسامير وأجراس من جميع المقابر الثمانية، وان دلّ هذا على شيء فإنه يدل على أن المتوفى كان يدفن داخل صناديق خشبية(3).

---

(1) Ibid, p. 12.

(2) Horsfield, G. and A., Sela -Petra, the Rock of Edom and Nabatene, III -The Excavations. QDAP, 8, 1938-1939, P. 109.

(3) Zayadine, F., Excavations at Petra (1976-1978), ADAJ, 23, 1979, pp. 185-197, pls. 83-94.

لقد وجدت عادة الدفن هذه في ممسيس (Mampsis) في صحراء النقب، حيث كان التابوت الخشبي يوضع في أرضية المقابر الرأسية، وبذلك لا يوجد أي تشويه أو عبث بالعظام، ولصحة هذا الكلام فقد عثر على بعض المسامير الحديدية وقطع من الخشب، ان الهياكل العظمية في مثل تلك المدافن، وجدت بحالة سليمة، وتبنى أرضية هذه المدافن من حجارة مربعة منتظمة تثبت مع بعضها بملاط طيني ويُغطى القبر بحجارة، ويصنع خشب هذا التابوت من خشب الأرز، ولم تستخدم المسامير في بعض الأحيان، بل استخدمت طريقة التعشيق، لقد كانت الألواح الطويلة التي على الجانبين مزخرفة، وكان الميت موضوعاً على ظهره ويتجه رأسه الى الغرب وقدميه الى الشرق، وذراعيه على جانبيه، أو قد تكون احدى يديه على صدره، وفي بعض الأحيان وجد بقايا للأكاليل أو خشب الصندل[1].

2- الحرق الجزئي لجثث الموتى:

يعني هذا ان الحرق قد يكون كاملاً وقد يكون جزئياً، ولقد عثر في القبر الثالث بمنطقة المعيصرة (Upper Junction Terrace Mueisera Ridge E3)، على كمية من القطع والعظام الإنسانية والحيوانية المحروقة[2]، فعندما أزيل الرمل على عمق متر واحد، تم الوصول الى أرضية صلبة رملية، وفي وسطها ثمانية جماجم وعظام وثلاث أوانٍ سليمة مبعثرة، إن بعض هذه العظام متفحمة نتيجة الحرق، وقد عثر تحت طبقة الرمل مباشرة على باقي الأواني، وبين هذه الكتل من العظام المتفحمة، عثر على جمجمة مكسورة، لم يصب الحريق جزءها السفلي، بل أصاب الجزء العلوي منها، وجميع هذه الموجودات كانت ملقاة على طبقة رقيقة سوداء، حيث كانت طبقة العظام المحروقة بسمك نصف متر فوق الأرض ولا يوجد أية علاقة للتكلس، وتم العثور على تسعة هياكل عظمية، ورأس كلب، وقد تم حرقها في الخارج. وقد دفن مع العظام في المقابر المجوهرات البرونزية والأواني. وقد يكون هذا الدفن قد ندر استخدامه بسبب استخدام السلّف طريقة الحرق عن

(1) Negev, A., Op. Cit. 1971, p. 117-119.
(2) Horsfield, G. and A., Op. Cit. 1938-1939, p. 115.

طريق التكلس (Lime Cremations)، أما في القبر الرابع في المعيصرة (Middle Junction, Mueisra Ridge)، فقد عثر على كسر بعض الجماجم عليها آثار حرق[1]، وعثر أيضاً في (Tomb of Triple Dushara) على جثة محروقة تماماً ما عدا جزء من العظم المتحرك في الركبة[2].

3- الحرق المتكامل:

ان الجهة الشرقية من مقابر الحبيس (el -Habis Tombs)، تحتوي على معالم مميزة، ومنها أكشاك الحمام (The Columbarium) حيث تقع في أقصى الجنوب، اذ تحولت في فترة من الفترات الى بيت[3]، ولم يعرف لغاية الآن وظيفته، وهذا المَعْلَم ذو صفوف مدرجة من الفجوات الجدارية، لوضع الجرار المحتوية على رماد جثث الموتى المحروقة، وتغطي هذه الفجوات الجدارية الواجهة الكلية للغرف الداخلية، حيث تبلغ مساحة هذه الفجوات الجدارية المربعة 10 انش ×10 انش كانت توضع الجرار الجنائزية فيها، حيث يوجد داخل الفجوة شق للأسفل لوضع الجرار[4]، ان بعض التجاويف ما زالت مغلقة بالحجارة الصغيرة، حيث لاحظ هورسفيلد ضغط الجرار التي ما زال أثرها واضحاً. وتمثل (Columbarium) المرحلة الأخيرة في حرق أموات الأنباط[5]، ويبقى هذا التفسير مثاراً للجدل.

4- الدفن مع الكلس:

وهذا النوع من الدفن وجد في منطقة الحبيس (North Tomb, el Habis) في قبر رقم 2، وعثر في هذا القبر على عظام كثيرة وعلى قطعة من الجير الصلب يبدو انه قد اختلط مع الرمل[6].

---

(1) Ibid, p. 115.
(2) Ibid, p. 109.
(3) Ibid, p. 99.
(4) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 165.
(5) Horsfield, G. and A., Op. Cit. 1938-1939, p. 115.
(6) Ibid, p. 99.

ملحقات المدافن:

المدافن ذات المغالق الحجرية:

عمل بيتر بار (Parr) في التنقيب في مدينة البتراء عام 1968، وكان قبر (Urn Tomb) من أصعب المقابر التي تم الوصول لها، اذ أنها مثيرة للإهتمام، وهي موجودة في الطوابق العليا، حيث يعود الفضل في التسلق أليها للسيد (Joe Brown)، وهو من مشاهير متسلقي الجبال، حيث عمل على التسلق مسافات شاهقة والوصول الى العديد من الكهوف وعمل على تصويرها، وكشفت للباحثين عن عادات الدفن عند الأنباط.

والشيء المثير في هذا القبر هو وجود ثلاثة أركان دفن تعلو واجهة القبر، وما هو ملفت للنظر هو ركن الدفن الذي يقع في الوسط، حيث ان هذا الركن مغلق بحجر منحوت، وهذا الركن بعمق 3.5 متر ويبلغ طوله وعرضه 1.5 متر، ومدخل هذا الركن بسيط، ويوجد داخله في الزاوية اليمنى حجر بناء غير مشذب أو مصقول مكوناً قسماً مستطيلاً بأبعاد 1.5مترا×1متر[1].

النصب التذكارية:

لقد عثر في الجزء الأسفل للمنطقة التي تقابل السد، في منطقة باب السيق الى الشرق، على نصب تذكارية جنائزية (Nefesh)، على شكل مسلات منحوته في الصخر، حيث عثر عام 1964 على مجموعتين اثناء عمل وزارة الأشغال العامة بتحويل مجرى سيل وادي موسى الى نفق قديم في مجرى وادي المظلم (Muzlem)[2]، وبالتخلص من الطمي الذي كان موجوداً في الوادي فوجئ العمّال بوجود سلسلة

---

(1) Parr, P., Decouvertes recentes au sanctuaire du Qasr a Petra, I, Compte -rendu des dernieres fouilles, Syria, XLV, 1968, pp. 1-24.

(2) Starcky, J., Nouvelles stèles funéraires à Petra, ADAJ, 10, 1965, pp. 43-49, pls. 21-22.
Milik, J.T., Quatre Inscriptions Nabatéennes, MDB, 14, 1980, pp. 12-15.

من النفش (nefesh) أو المسلات التي تحمل كتابات نبطية تذكر المتوفي الذي احتفل بذكراه، ومن أهم هذه المسلات هو ذلك الهرم بمقياس 80 سنتمتر×40 سنتمتر الموجود على قاعدة مكعبه مع افريزين بارزين، ونقشت عليها العبارة التالية: (هذا هو نصب بتريوس بن تريتوس - وهو مكرم (بهذا النصب) لأنه من الرقيم - وقد مات في جرش ودفن هناك عمل له (هذا النصب) تسهم سيدة).

"هذا نفش (Petraios) ابن (Threptos) وقد كرّم لأنه مات في جرش وهو من سكان رقيم (Reqmu)، التي تعني اسم البتراء القديم، وهذا النفش صنعه له أبوه بالتبني (Taimu)، وهذا الإهداء يبين ان المسلة (النفش) عبارة عن نصب تذكاري شخصي، لا علاقة له بالقبر لأن (Petraios) دفن في جرش، وقام أبوه بالتبي بإحياء ذكراه في مسقط رأسه البتراء، والتي ظهرت ولأول مرة بالتسمية السامية (Reqmu).

إن الأسم أو الجذر (rqm) يشير الى التطريزات المتعددة الألوان، ويمكن التقدير بأن البتراء (rqm) اسم سامي يقصد به الرمل الوردي، أما المسلات الأخرى المنحوته، فقد وجدت بينها مسلتان تحملان قبو صغير عمل أيضاً كذكرى لشخص متوفي، ان النفش تمثل اسم الشخص المتوفى، وهي عبارة عن حجر منحوت بارز أو غائر وفي أغلب الأحيان يكون على شكل مسلة وتعتبر نصباً تذكارياً[1].

ويقول نقب (Negev): لقد عمل الأنباط على فصل النفش التذكاري عن المقبرة نفسها، لذا فإنه يبدو من الواضح ان الأنباط يميزون بشكل واضح بين القبر والصرح التذكاري هو الـ(nefesh)، وهذا ما حصل في ام الجمال وفي مادبا وفي تدمر[2]، وهناك أحياناً علاقة بين شكل وتخطيط المدفن والوضع الاقتصادي والاجتماعي للشخص المتوفى، فعندما يكون المدفن ذا حجم كبير وله مرافق، فهذا يعني أن صاحبه له مكانة في ذلك الوقت[3].

(1) Starcky, J., Petra et La Nabatène, Supplément au Dictionnaire de La Bible, 7, Paris, 1966m Col. 898.
(2) Starcky, J., Op. Cit. 1965, pp. 43-49.
(3) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, p. 115.

وقد وجد في ممسيس (Mampsis) أيضاً مقابر لها (nefesh) ونجد فوق القبر (رقم 105) مسلة غير منقوشة ذات رأس مدوّر[1]، كما وجدت في مقابر خربة الذريح في وادي اللعبان مجموعة من المقابر، التي تحتوي على مثل هذا النفش (المسلة) المحفور على الشبائح الحجرية التي تغطي المقابر، وكانت بعض هذه المسلات توضع الى الجهة السفلى (إي باتجاه الشخص المتوفى)[2].

المضافات الجنائزية:

ان المضافات جزء لا يتجزأ من المقابر النبطية، حيث عثر على العديد من المضافات في البتراء، سواء كانت مبنية في الصخر داخل المقابر، أو مبنية في الصخر خارجاً، إي أنها قد تكون شتويه أو صيفية[3]، والغرض من هذه المضافات تزويد مكان الدعوى بالوجبات، سواء كانت حفلات غذاء عادية أو للجنائز، حيث تقام مأدبة سنوية بجانب القبور لإحياء ذكرى الميت، ويجلس الضيوف على هذه المقاعد، فإذا كانت هذه المقاعد المحفورة في الصخر على محيط ثلاث جهات فإنها تسمى (Triclinium) إما إذا كانت فقط محاطة من جهتين فإنها تسمى (Biclinium)، أو ستيبديوم (Sitbadium) بشكل شبه دائري، وعادة تكون هذه

---

(1) Negev, A., Op. Cit. 1971, p. 115.

(2) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F. Fouilles à Khirbet edh Dharih (Jordanie), 1984-1987: Un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier -Iveme siècles ap.J.-C.), Comptes -rendus de I'Academie des Inscriptions et Belles -Lettres, Paris, 1988, pp. 458-479.

المحيسن، زيدون، وفيل نيف، فرانسوا، خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان، حولية دائرة الاثار العامة،34 ، عمان،1990 ، ص15-17.

(3) Negev, A., Nabatean Archaeology Today, New York, 1986, p. 93.

المضافات في الهواء الطلق، أو تكون في المناطق المرتفعة، وتحوي هذه المضافات تجاويف منحوته في الصخر توضع في داخلها المصابيح أو تماثيل الآلهة.

هناك بناء في ممسيس (Mampsis) يشابه الغرض الذي بنيت من أجله المضافات، ووجد في خربة الذريح مضافة نبطية كبيرة مبنية من الحجارة ولا يبدو ان لها صفة جنائزية وإنما كانت ملحقة بأحد المباني الإدارية القريبة من المعبد وقد كانت المضافات منتشرة في البتراء، والعديد منها كانت بشكل مضافات عامة، وبعضها مضافات خاصة بالبيوت أو لها علاقة بالديانة[1]. كما عثر في أثناء التنقيبات الأثرية الأخيرة في موقع خربة الذريح على مجموعة من هذه المضافات قريبة من منطقة المعبد.

الموائد الجنائزية:

عثر في البتراء على أربعة أبنية متكاملة من المناضد، وتعتبر تقليداً جنائزياً، مبنياً من الحجارة المربعة وممتلئة بالحجارة المكسرة والحصى، وجميعها مستطيلة الشكل بمقاييس مختلفة إلا انه في بداية الأمر لم يعرف الغرض من هذه الموائد، لأنها لم تعط أي دليل على بنائها، لذلك سميت بالمناضد، إلاّ انه بالإمكان الاستنتاج ان هذا البناء له صلة بالموائد الجنائزية كالتي في البتراء[2]، وكانت هذه الموائد تحيط بالمقبرة الرئيسية وبعضها قريباً من المقابر، وكانت تستخدم لإطعام الطعام بينما يجلس المعزون على الأرضية الترابية، وعثر بالقرب من الموائد الجنائزية على مصابيح فخارية وجرار، وأوانٍ، وكؤوس للشرب، ومزهريات، وأطباق خزفية.

ويقول (Strabo) انه عُثر على "143" كأساً ذهبياً لمائدة جنائزية، وربما تقام هذه الوليمة على شرف إله، فهناك نقش وجد بالقرب من الدير يبين ان المشاركين في هذه الوليمة كانوا على شرف الإله عباده (Obodas)[3].

المرفقات الجنائزية:

---

(1) Tarrier, D., Les Installations de banquet à Petra, RB, 93, 1986, pp. 254-256, p1. 46.

(2) Negev, A., Op. Cit. 1971, pp. 111-114.

(3) Strabo, Geography, XVI, 4, 26.

لم يعثر على الكثير من المرفقات الجنائزية في مقابر البتراء، حيث تم العثور على بعض المجوهرات في بعض القبور، وعثر هورسفيلد (Horsfield) على جرسين برونزيين، وأجزاء من إسواره وأحدها تخص طفلاً وهي على شكل سلك نحاسي وإسوارة برونزية، وزجاجة كروية برونزية للزينة، بينما كانت الخواتم البرونزية نادرة[1].

كذلك كان الحال في ممسيس (Mampsis) فمثلاً عثر في قبر (رقم 117) على جرة من المرمر، وفي قبر (رقم 100) عثر على عملة موضوعة بين أسنان الميت، وقد تكون ضريبة تدفع لشارون (Sharon) صاحب العربة، التي تنقل الإنسان من القبر الى العالم الأرضي. وهناك بعض الصناديق الخشبية بمثبتات برونزية موضوعة عند قدمي المتوفى، تحتوي على وثائق مكتوبة على ورق البردي، وقد تم حرق الصندوق وقت الجنازة، ولم يبق سوى الرقم الطينية من الوثائق[2]، وكذلك كان الحال في البتراء حيث عثر أيضاً على بعض العملات في بعض القبور، فمثلاً عثر على دينار (Denarii) عليه رسم الإمبراطور تراجان (Trajan) وكانت هذه القطعة موجودة بين أسنان الميت[3]. كما عثر في مدافن خربة الذريح على قطع العملة الموضوعة بين أسنان الميت[4].

نظم الري والزراعة النبطية

تعد المياه العنصر الرئيس للحياة، قال تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[5]، صدق الله العظيم، بهذا نشأت الحياة ووجد الإنسان الأول بالقرب من ينابيع المياه، وبدأ الإنسان بتخزين المياه والمحافظة عليها وإدارتها وتوزيعها، وتطورت واختلفت أساليب هندسة المياه، وطرق إيصالها من مصادرها الى المنشآت السكنية والزراعية والصناعية، كما تعددت أساليب وطرق حفظ هذه المياه، كما تعددت

---

(1) Starcky ,J., Op. Cit. 1966, col. 939.
(2) Negev, A., Op. Cit. 1986, pp. 93-94.
(3) Negev, A., Op. Cit. 1971, p. 119.
(4) Negev, A., Op. Cit. 1971, p. 77.
(5) القرآن الكريم، الآية 30 ، سورة الأنبياء

واختلفت أساليب وطرق حماية القرى، والمدن، والمنشآت المختلفة من خطر المياه، أثناء الفيضانات في فصل هطول الأمطار.

قبل الحديث عن الهندسة المائية عند الأنباط، تجد الإشارة الى لمحة مختصرة عن جيولوجية ومناخ الأردن، لما فيها من ارتباط مباشر، بموضوع المياه عند الأنباط، وعند غيرهم، من الشعوب التي عاشت في الأردن. يُشكل الأردن مظهراً تضاريسياً مهماً ومتميزاً، بسبب تعاقب مجموعة من العصور الجيولوجية والمناخية عليه، مما كان لهما الأثر الكبير على طبيعته الطوبغرافية[1] حيث لا زالت الدراسات الجيولوجية لمعظم مناطق الأردن في بدايتها بالرغم من أهميتها، وتركزت الدراسات على جيولوجية المياه أو الجيومورفولوجية، وتعتبر الدراسات، الجيولوجية التي قام بها بوم وصوان (Boom and Swwan) من أحدث وأهم الدراسات، التي تركزت على جيولوجية الأردن، وخاصة في مناطقه الشمالية الشرقية، حيث تم التعرف على ست مراحل بازلتية متتابعه، على شكل براكين، بين فترة عصري الأوليجوسين، والميوسين، الى عصر الهولوسين، وتعتبر المراحل البازلتية الثلاث الأولى الأقدم، وكشف عنها في مناطق وادي الضليل شمال شرق عمان، أثناء البحث عن المياه الجوفية فيها، أما المراحل البازلتية الثلاث الأخرى، فقد تكونت في فترات لاحقة، ظهرت بعضها على السطح في مناطق اليرموك، بين المخيبة ومصب نهر اليرموك، وفي مناطق شرق المفرق[2].

تحتاج الدراسات المناخية في الأردن، وخاصة خلال العصر الجيولوجي الثالث والرابع، الى مزيد من الدراسة التفصيلية الدقيقة، اذ إن المناخ القاري وشبه القاري كان سائداً في معظم العصور الجيولوجية، ولمدة استمرت من العصر ما قبل الكامبري وحتى منتصف العصر الكريتاسي، وقد تم التعرف على هذه الفترة من

---

(1) Bender, F., Geology of Jordan, Berlin, 1974, pp. 6-10.

(2) Boom, V. and Suwwan, O., Report on the Geological and Petrological Studies of the plateau Basalts in NE Jordan. Hannover, pp. 1-42.

ترسبات الصخر الرملي النوبي في الأردن[1]، في فترة العصر الجيولوجي الثالث، عندما كان البحر يغطي مساحات واسعة من الأردن وكانت الفترات المطيرة قليلة، تخللها مناخ قاري[2] وشبه قاري، لكن كشفت الدراسات البيئية الحديثة، ان تغيرات مناخية هامة قد طرأت على معظم المناطق الشمالية البعيدة عن خط الاستواء[3] وقد تميزت التغيرات المناخية تلك بوجود مناخين رئيسين، الأول سمي بالفترة الجليدية الباردة جداً، وذات الأمطار القليلة، والثانية فترة رطبة دافئة، امتازت بالإمطار الغزيرة في منطقة بلاد الشام[4]، وقد قسمت الفترات المناخية تلك، الى تقسيمات مناخية متعددة، لا داعي للخوض في تفصيلها، وما يهمنا هو التشكيلات الطبوغرافية والمناخية، التي ظهرت في مناطق الأردن، في عصر البلايستوسين القديم، حيث تشكلت البحيرات العذبة في وادي الأردن، وتكونت الترسبات في منطقة لسان وادي الأردن، ومن ثم تشكل الوضع الحالي لنهر الأردن والبحر الميت[5] كما ظهرت تشكيلات أخرى مهمة في الأردن، كوجود بحيرة السمراء، وترسب التربة الحمراء الخصبة، والتي ساعدت على وجود منطقة ذات نباتات كثيفة، بسبب الرطوبة العالية وكثافة الأمطار[6] كما ان بعضاً من فترات الجفاف، قد سادت أيضاً في عصر البلايستوسين، وخاصة في المناطق الصحراوية،

---

(1) Burdon, D., Hand book of the Geology of Jordan. Colchester, 1959, p. 15.

(2) Orni, E. and Efrat, A., Geography of Israel. Tird Revised Edition, Israel, University press, 1976, pp. 8-14.

(3) Shehadeh, N., The Climate of Jordan in the past and present. SHAJ, II, Amman, 1985, pp. 25-39.

(4) Burdon, D., Op. Cit., p. 17.
Butzer, K,W., "Climatic Change in Arid Regions. Since the Pliocene" A History of Land use in Arid Regions. Arid Zone Research, UNESCO, 1961. pp. 31-56. p. 35.
Butzer, K,W., w., The last phase of the Eurafrican Sub -Tropics. Changes of Climate, proceeding of the Rome Symposium, UNESCO, 1953, pp. 211-217, P. 211.

(5) Burdon, D., Op. Cit., p. 17.

(6) Abed, A., "Paleoclimates of the Upper pleistocene in the Jordan Rift "SHAJ, II, Amman, 1985, pp. 81-95, pp. 89-90.

التي قد تكون أكثر دفئاً وجفافاً من الوقت الحاضر، بناء على دراسة رخويات تلك الفترات[1].

كما أمكن التعرف على فترات الجفاف تلك، من تشكل كل من لسان البحر الميت، وحوض الجفر. ويظهر ان المناخ الحالي السائد في الأردن، يشبه المناخ السائد في فترة البلايستوسين المتقدمة، حيث امتازت المنطقة الجنوبية بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة، وامتازت المنطقة الشمالية بالإعتدال وكثافة الأمطار، وكانت مناطق البحر الميت من المناطق الجافة قليلة الأمطار[2] ويذكر الباحثون والدارسون، أنه منذ حوالي خمسة عشر ألف سنة، ساد مناخ جاف بشكل عام، وأصبحت التقلبات الجوية بسيطة وأقرب الى الإستقرار[3] وقد تمسك بعض الدارسين، بنظرية التغير الملموس على المناخ في منطقتنا، منذ أربعة ألاف عام، معتمدين بذلك على تناقص كميات الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة والجفاف[4] لكن ترجح مجموعة من المختصين في حقل الهندسة الزراعية، بأنه لم يطرأ تغير على كميات سقوط الأمطار، منذ حوالي خمسة آلاف عام[5]. ونتيجة للدراسات التي نقوم بها في موضوعات المياه، والري، فإننا نستطيع القول بأنه منذ ألفي عام، لم يطرأ أي تغير يذكر على المناخ، ولكن المشكلة التي نواجهها هنا هو الزحف الصحراوي، الذي كان الإنسان أحد أسبابه المباشرة، وذلك من خلال القضاء على مساحات واسعة من الثروة النباتية عن طريق قطع الأشجار، وحرقها، وعدم العناية بزراعة أشجار جديدة وبديلة، ولا تزال هذه المشكلة في تزايد مضطرد، كما

---

(1) Butzer, K,W., Op. Cit., 1963, pp. 215-216.

(2) Abed, A., Op. Cit., p. 90.

(3) Butzer, K, W. Op. Cit., 1961, p. 43.

(4) Ionides, M. G., The Water Resources of Trans -Jordan and their Development. London, 1939, pp. 41-42.
Burdon, D., Op. Cit., p. 19.

(5) أكساد، الموارد المائية السطحية في الحماد الأردني، ج1، ملحق31 ، الموارد الطبيعية والبشرية، دراسات حوض الحماد، دمشق، المركز العربي لدراسات المناطق الجافه والاراضي القاحلة، أكساد حماد تقرير نهائي9 ، ص3
شحاده، نعمان، علم المناخ، عمان، 1983 ، ص189، 190

الإعتماد على تربية الماشية، وخاصة الماعز، كان له الأثر السيء على الثروة النباتية في الأردن.

وهناك مجموعة من العوامل الطبيعية، التي ساهمت في جعل الأردن، وخاصة المنطقة الجنوبية منه، منطقة قليلة الأمطار، حيث ان تضاريس المنطقة، وبالتحديد المناطق الشرقية، تمتاز بالإستواء، كما أن بعدها عن البحر المتوسط، جعل الأمطار المحلية دائمة التغير، وتتذبذب من سنة الى أخرى، ومن فصل الى آخر، وتسقط هذه الأمطار على منطقة دون أخرى، وتكون أحياناً أمطار غزيرة، وأحياناً أخرى شحيحة[1].

يعد الأردن من المناطق الفقيرة في الموارد المائية السطحية، فلا توجد بحيرات أو أنهار سوى نهر الأردن، الذي يستغل جزء قليل منه في الوقت الحاضر، لذلك كان الإعتماد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار، مما جعل بالتالي عملية الحفاظ على هذه المياه، والسيطرة عليها، والإستفادة منها، شغل الإنسان الشاغل في الأردن، منذ العصور القديمة ولغاية الوقت الحالي، حيث بدأ الإنسان القديم، بالاستيطان قرب مواقع عيون المياه، كموقع الفجيج في الشمال الشرقي من قلعة الشوبك في جنوب الأردن، وعين الأسد في جنوب الأزرق، ووادي الحمة في الأغوار الشمالية ...الخ، ومع مرور الزمن، وازدياد عدد السكان في الأردن، اقتضت الحاجة الى تطوير أساليب جمع مياه الأمطار كالتي وجدت في منطقة جاوه في الصحراء الشرقية، والتي يعود تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد[2]، وكانت مياه الأمطار هي المصدر الرئيس للمياه في هذا الموقع، حيث تمت الإستفادة من هذه المياه عن طريق بناء جدران، تعمل على تحويل مجاري المياه، من منطقة وادي راجل القديمة، عن طريق قناة رئيسة، تتفرع الى شبكة من قنوات المياه، استعمل بعضها للشرب، وبعضها لري الأراضي الزراعية، كما أنشئت مجموعة من البرك

(1) Helms, S, W., "Jawa -An Early Bronze Age Fortress". LEVANT, 5, 1973, pp. 127-126, p. 128.
(2) Helms, S, W., Jawa: Lost City of the Black Desert. Methuen, 1981, pp. 234-327.

والمجمعات المائية، التي كانت تستعمل لسقاية الحيوانات داخل الحقول الزراعية[1].

وقد تطورت أساليب جمع المياه والزراعة في الفترات اللاحقة، وقد بَرعَ الأنباط العرب وتميزوا، في ابتكار أساليب متطورة وجديدة في هندسة المياه، وبناء السدود والقنوات، والخزانات، والآبار، والبرك[2].

كما طوروا أساليب الري والزراعة[3]، ولم يقتصر اهتمام الأنباط على التجارة، والعمارة، والنحت فحسب وإنما اشتهر دورهم في التجارة، وحماية الطرق التجارية، واتهمهم البعض بالبداوة، وحب السيطرة، دون الإشارة بشكل مفصل الى دورهم الرئيس في البناء، والعمارة، والنحت، والتي عزوها الى أصول قديمة ومعاصرة للأنباط، وغاب عن ذهنهم ان هذه الأساليب، في غالبيتها نبطية الأصل، عربية الجذور تأثرت بعضها سواء المبني منها أو المنحوت بأصول معمارية فنية مختلفة، مما يدل على كثرة اطلاع الأنباط على الأساليب المعمارية الأخرى المختلفة، لحبهم للسفر، والمغامرة، والتجارة.

يشغل الأنباط مكانة متميزة بين مختلف الشعوب القديمة في الشرق الأدنى، وإذ كان غناهم يرتكز على تجارة القوافل، فإن انتشار حضاراتهم حتى مطلع عصرنا الحالي، يعود بشكل خاص الى مهارتهم في التقنية المائية.

وبناءً على ما سلف فقد برع الأنباط في الزراعة وقد واجهوا مشكلتين، كانتا من الممكن ان تعطلا أي عملية زراعة وإنتاج، وذلك لأن معظم الأراضي

---

(1) Helms, S, W., "Jawa Excavation 1974: A Preliminary Report". LEVANT, 8, 1976, pp. I-35, PP. 14-19.
Helms, S, W., Op. Cit., 1981, 157-183.
Helms, S, W., "Paleo -Beduin and Transmigrant Urbanism". SHAJ, I, Amman, 1982, pp. 97-133. P. 105.

(2) Al -Muheisen, Z., "L'eau a Petra". Le Monde de Ia Bible, 14, Paris, 1980, pp. 41-42.
Al -Muheisen, Z., "Exemples d'installations hydrauliques et de techniques d'irrigation dans le domaine nabatéen", B.A.H., CXXXVI,T. 2, Paris, 1990a, pp. 507-513.

(3) Lawlor, J.I., The Nabataeans in Historical Perspective, Michigan, 1974, p. 18

المتوفرة لديهم، غير صالحة للزراعة، وكذلك قلة الأمطار الموسمية، ومن الصحيح انه في البداية كانت عملية الزراعة والفلاحة قليلة، ولكنهم عملوا على تطويرها وتقدمها، وأصبحت من أهم حرفهم، من أجل الحصول على طعامهم، وهذا يمثل أهمية الزراعة عند الأنباط، فالزراعة هي المصدر الرئيس للحصول على الطعام وتأمينه(1).

اتجه الأنباط نحو الزراعة والاهتمام بها، من أجل الحصول على حاجاتهم الغذائية، بسبب الأعداد المتزايدة من السكان، ولم يعملوا فقط في أراضي أدوم ومؤآب الخصبة، بل زرعوا في كل زاوية أو ركن أو شق متاح، وقد كانت عاصمتهم البتراء، أكثر من مجرد مدينة للقوافل التجارية، حيث كانت مركزاً لمنطقة زراعية، وقد وصل الأنباط الى مرحلة متقدمة من الأنماط الزراعية، وصلت الى أعلى درجات التطور بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، وقد تعلموا السيطرة على الأراضي القاحلة، وعملوا على إيجاد مستقرات دائمة، حتى في وادي عربة وتوسعوا حتى النقب(2).

وهكذا فإن الأنباط كانوا بارعين في الزراعة، ولم يصل أحد الى ما وصلوا إليه، من القيام بالزراعة في الصحراء، ودفع حدود الزراعة الى مناطق الأراضي الصحراوية، ولم يستطع أحد من قبلهم السيطرة بنجاح على المياه وتخزينها(3).

وقد استخدم الأنباط أنظمة مختلفة، في مجال محاولتهم تطوير الزراعة، فالنظام الأول الذي استخدموه هو نظام المصاطب (Terracing)، ويعلق هموند على هذا النظام بقوله، ان نظام المصاطب يعمل على إبطاء سيلان مياه الأمطار، عندما ينحدر الماء فوق هذه المصاطب، فإن كروم العنب والنباتات المزروعة تقوم بامتصاص الرطوبة، وهذا النمط لا يزال ظاهراً في منطقة الجي وبراق وعيلمون

---

(1) Ibid, P. 81.
(2) Glueck, N., Rivers in the Desert, New YORK, 1959, P. 197.
(3) Ibid, P. 193.

بالقرب من البتراء، وفي هذا النظام كان يتم توجيه هذه المياه، حيث كان يتم إبطاء نزول المياه من خلال هذه المدرجات، حيث ان جزء من هذه المياه يتسرب الى داخل الأرض في كل مصطبه، وتقوم المصاطب بتوضيع التربة المنجرفة، والبقايا العضوية. وهناك أسلوب آخر من أجل السيطرة على انجراف التربة، حيث كانت تتم زراعة النباتات على هذه المصاطب، وعن هذا الطريق قام الأنباط بتوسيع الرقعة الزراعية في الصحراء، أكثر من أي إنسان آخر في هذا العالم، وقد ترك الأنباط لنا وثائق تبين نجاحهم الذي وصلوا إليه، في الزراعة واعتماداً على هذه الوثائق، فإن المزارعين الأنباط بين حوالي القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، أنتجوا القمح والشعير، وايضاً أنواعاً أخرى من الحبوب، أضافة لزراعة الزيتون والبلسم والكروم[1].

هكذا نرى ان نجاح الأنباط، ووصولهم الى هذه الدرجة من التطور، في الناحية الزراعية، يعود الى نجاحهم في السيطرة على المياه وحفظها، وكذلك قدرتهم على استعمال المصادر الطبيعية المتوفرة وتحويلها الى مصلحتهم[2].

واستطاع الأنباط السيطرة على مياه الأمطار الموسمية، والأمطار القليلة، وقد تعلموا وأدركوا أهمية الإستفادة مما يحصلوا عليه من أمطار قليلة، وقد كانوا مدفوعين بهدف الإستمرار في الحياة، بالرغم من الظروف الطبيعية المحيطة بهم وتحت الظروف القاسية، وقد عرفوا كيف يستغلون الطبيعة. ومن أهم الأدلة على قدرة الأنباط في مجال الحفاظ علي المياه، هو أن صهاريج وأحواض المياه ما زالت مستعملة حتى اليوم، وكان هناك نوعان من هذه الأنظمة، الأول هو الذي يقوم على أساس تجميع المياه وتقنيتها الى المناطق المختارة، وفي المرحلة الثانية كان يتم خزن الزائد لاستعماله في وقت الحاجة، أما النظام الثاني فهو ما يعرف بتليلات العنب، وهو عبارة عن رجوم من حجارة تصف على سفوح التلال، في أنماط متداخلة لها دور في نظام التحكم بالماء، وهذا التطور في الهندسة المائية أدى الى التوسع

---

(1) Lawlor, OP. Cit., 1974, P. 83.
(2) Ibid, P. 82.

الزراعي[1].

إن الجزء الأعظم من التلال في الأراضي النبطية، كانت مغطاة بالقنوات المصنوعة من الحجارة، وقد تم بناؤها فوق الجبال والمرتفعات حيث أن المياه يمكن أن تنحدر من هذه القنوات، الى الأحواض الموجودة في الأسفل، وكانت النتيجة أنهم لم يعانوا من نقص في المياه، وكذلك فإن التاريخ يشير الى أن الماء كان متوفراً عندهم بصورة كبيرة وقد كانت تزود القوافل التجارية والمسافرين بالمياه[2].

وما يهمنا في هذا الجانب، هو براعة الأنباط في تطوير وابتكار أساليب مائية وزراعية هامة، خاصة في مجال هندسة جمع مياه الأمطار، في المناطق الصحراوية والجافة، التي كانت تنتشر في مناطق مختلفة من المملكة النبطية، وخاصة في فترة ازدهار هذه المملكة، وبالتحديد القرنين الثاني والأول قبل الميلاد والأول والثاني الميلادي، عندما توسعت رقعة مملكتهم، وأصبحت هناك زيادة في نسبة السكان، وتوسعت المدن والقرى النبطية، وتعددت المحطات التجارية، مما دفعهم الى المحافظة على كل قطرة ماء، عن طريق بناء ونحت السدود، والخزانات، والآبار، والقنوات، وكانت طبيعة الموقع الجغرافي للمناطق النبطية، حافزاً لهم لإبتكار أساليب مختلفة، لجمع مياه الأمطار، واستعمالها لأغراض الشرب، والري، والزراعة، خاصة في منطقة قليلة الموارد المائية، وتعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار، كما في مناطق البتراء، وبيضا، ووادي رم، ومناطق صحراء النقب، وأم الجمال، وقد كانت السلطة المركزية ترعى النظم المائية والزراعية بشكل دائم، وتهتم بتوزيع المياه والمحافظة عليها[3]، وتعمل على تقسيم الأراضي الزراعية وريها، كما برع الأنباط في هندسة حفظ المدن والقرى والمنشآت

(1) Ibid, PP. -79.
(2) Ibid, PP. 79-81.
(3) Starcky, J., "Y a-til un dieu Res ain Laaban? "Revue Biblique, 1957, pp. 215-217 .
Al Muheisen, Z. and Villeneuve, F., "Les installations hydrauliques," in "Khirbèt edh -Dharih, campagnes I-III, 1984-1987". Supplements de Syria, T.1., Paris, (forthcoming.(

المختلفة، وحفظ التربة، والأراضي الزراعية، من خطر الإنجرافات عند حدوث الفيضانات في أوقات هطول الأمطار، كما تجدر الإشارة الى أن العديد من تلك النظم المائية التي طرحت أثناء البحث والدراسة منذ عام 1978[1] (صورة رقم 2)، يمكن استصلاحها بقليل من التكاليف في الوقت الحاضر، للإستفادة من مياهها في وقت نحن في أمس الحاجة فيه للمياه.

طرق المواصلات والتجارة النبطية

حظيت بلاد العرب بموقع تجاري ممتاز، بين البلاد الأخرى المجاورة، فتقع في قلبها طرق التجارة الدولية في ذلك الزمن، فشمالها يرتبط بدول عظمى، وجنوبها يقع بين الحبشة والهند، وفي وسطها وجدت مراكز ومحطات تجارية تربط بحارها بعضها ببعض وشمالها بجنوبها، وبلاد العرب رغم أهميتها كانت مناطقها وطبيعتها مختلفة، فاختلفت نتيجة لذلك خصائصها التجارية ومرافقها، فبعضها قاحل لا يصلح للزراعة، وبعضها ذات أراضي خصبة تصلح للزرع والرعي، وبعضها يصلح للرعي والتنقل، ونتيجة لاختلاف طبيعة هذه الأقطار فقد اختلف كل قطر بمنتوجاته وبالتالي بتصديراته، عن القطر الآخر ولعل اختلاف أقطار العرب جعل حركة التجارة مستمرة، فكل قطر يستورد من الأقطار الأخرى حاجاته ويصدر للآخرين ما ليس عندهم[2].

وكانت بلاد الأنباط على وجه التحديد تتمتع بموقع تجاري هام (خارطة

---

(1) Al -Muheisen, Z., L'alimentation en eau de Petra. Thèse, 2 Vols., Paris I., Sorbonne, 1983.
Al -Muheisen, Z., Techinques hydrauliques dans le sud de la Jordanie, en particulier a l'époque nabatéenne. Thèse, 2 Vols., Paris 1, Paris 1, Sorbonne, 1986.
Al -Muheisen, Z., and Tarrier, D., La protection du site de Petra a l'époques nabatéenne, SHAJ, V, 1995, pp. 721-725.
لمزيد من المعلومات عن هندسة المياه والري والزراعة النبطية انظر كتاب المحيسن، زيدون، هندسة المياه والري عند الأنباط العرب، عمان، 2002

(2) الرشيد، ناصر بن سعد، تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، الجزيرة العربية قبل الإسلام،2، 1984 ، ص216215

رقم 2)، فهي تتوسط مناطق أنتاج وتصدير السلع الأكثر طلباً في ذلك الوقت، كالطيوب، والتوابل، والبخور، حيث كان الطلب عليها كبيراً، وخصوصاً للمعابد الدينية، وللطبقات الغنية والثرية في المجتمع، فكان الأنباط يعملون على توفير السلع المطلوبة وإيصالها إلى مختلف الأقطار والأمصار[1].

واعتمد الأنباط اعتماداً رئيساً على التجارة، وذلك بسبب مواقعهم الإستراتيجية التي اختاروها، وعلى رأسها العاصمة البتراء، التي كانت حلقة الوصل بين التجارة القادمة من اليمن والجزيرة العربية وحتى سوريا[2].

وبسط الأنباط سيطرتهم ونفوذهم على طرق المواصلات في مناطقهم الواسعة، وأهمها درب القوافل الكبير، الذي كان يربط بين بعض المواقع، على المحيط الهندي في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وبين شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تحمل قوافله تجارة الهند وما وراءها، كما تأتي بالعطور، والبخور، واللبان، والمر، من جنوبي الجزيرة في اليمن وحضرموت، وتخترق بلاد اليمن ومنها الى الحجاز مروراً بمكة والمدينة ثم العلا ومدائن صالح، ثم الى تيماء ودومة الجندل، وتصل الى بلاد أدوم ومؤآب ثم شمالاً الى بصرى، ومن خليج العقبة إلى غزة أو غيرها من موانئ فلسطين، وكانت تتفرع من هذا الدرب، عند كل محطة كبيرة من محطات القوافل، دروب فرعية تربطه بكثير من البلاد التي في شرقي شبه الجزيرة العربية، على الخليج وما بعدها، كما تربطه أيضاً بالموانئ التي على البحر الأحمر في الجهة الغربية، وببلاد العراق وسوريا وغيرها، وكان التجار يحرصون بطبيعة الحال على ألا تعود قوافلهم إلاّ وهي محملة بكل ما تجده في أسواق الشام، من بضائع ومحصولات محلية أو قادمة من مصر وآسيا الصغرى والعراق، ومختلف بلاد البحر الأبيض المتوسط، وتبيع ما حملت من بضائع في كل محطة في طريقها أثناء عودتها الى الجنوب، ولهذا تمكنا أن نفهم بسهولة ان من

---

(1) حتي، فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت،1958 ، ص418

(2) Starcky, J., Petra et la Nabatène, Supplemént au dictionnaire de La Bible, Vol. VII, 1966, P. 938.

يحكم في هذا الجزء، من هذا الدرب التجاري الهام، ويحصل على ما يفرض من أتاوه وضرائب، مقابل السماح لمرور القوافل في بلاده، والتعهد بحمايتها، يستطيع ان يجني أرباحاً طائلة، كما نفهم بسهولة ما كان يجنيه من يشترك في هذه التجارة وهذا ما اشتهر به الأنباط.

لم يكن هذا الدرب الممر الوحيد الذي يمر ببلاد أدوم ومؤآب، بل كان هناك درب آخر ذو أهمية كبيرة، وهو الدرب الذي يربط بلاد الشام بمصر، وما وراءها من شمال أفريقيا، وكانت تتجمع فروع هذا الدرب في دمشق، ومنها تتجه القوافل الى بصرى ثم تعبر الأردن مارة بمؤآب وأدوم ومنها الى العقبة، ثم تقطع صحراء سيناء الى مصر. كانت هذه القوافل تتعرض لهجمات البدو، أثناء سيرها من بلاد مؤاب وأدوم، وغيرها (كصحراء النقب) ولهذا فمن الأفضل لهذه القوافل ان تكون هناك حكومة قوية، أو زعماء ذو نفوذ وسلطة، حتى تتوفر لها الأمن المطلوب، ولا يضير أصحاب القوافل ان تشاركهم الحكومة أو الزعماء جزء من الربح.

هناك حقيقة أخرى يجب ان لا ننساها، وهي أن أهمية الطرق التجارية، لا تقتصر على نقل السلع وتحقيق الحصول على الثروة، بل هي في الوقت نفسه شرايين حيوية لنقل الثقافة من بلد لآخر، وعليها تنتقل الأخبار وما يستجد من مذاهب وآراء، وكان كل سوق من الأسواق التي تحط فيها بعض الوقت مكاناً لتبادل الفكر والمعرفة.

شهدت بلاد الأنباط نهضة تجارية وعمرانية من بين أقطار الشرق والغرب، فقد كان الأنباط همزة وصل تجارية، بين أقطار العالم القديم، يحملون الى الشرق منتجات الغرب من خشب الأبنوس وريش النعام، ومن عاج وذهب وفضة، والى الغرب منتجات الشرق من توابل وفلفل وبهار وقصدير، كما كانوا يحملون الى كل من العالمين (الشرق والغرب) منتجاتهم النفيسة، وفي مقدمتها البخور، واللؤلؤ، والمرجان، والأحجار الكريمة من عقيق، وجزع، الى غير ذلك مما كان تجود به صناعاتهم، من ثياب وملابس وأثواب مقصبة وبسط مرحّلة.

تستند التجارة الى مقومات أربعة، هي مصادر المواد والسلع ووسائط النقل

وطرق التجارة، وأخيراً الأسواق النهائية لتصريف السلع والمنتجات المختلفة، وقد توفرت للأنباط جميع هذه المقومات، فبالنسبة للسلع والمواد، فكانوا يستوردونها، أو تمر من مناطق نفوذهم مواد مختلفة من الهند والصين والجزيرة العربية، وخصوصاً البخور والطيوب والتوابل[1].

أما وسائط النقل فكانت متوفرة عندهم بكثرة، وخصوصاً الجمال، التي كانت وسيلة النقل البرية المفضلة، وخاصة في الصحراء لتحملها العطش وسيرها لمسافات طويلة، بالإضافة الى ذلك كانت لديهم السفن التي تعبر مياه البحر الأحمر وتنافس أسطول البطالمة.

وكانت الطرق التجارية تقسم الى قسمين:-

أ- الطرق التجارية البحرية

كانت التجارة الهندية تأتي عن طريقين، أولهما طريق الخليج العربي فتفرغ بضائعها عند رأس الخليج، حيث تنقل الى العراق، ومنها الى سوريا فالبحر المتوسط، وفي بعض الأحيان كانت البضائع تفرغ في موانئ البحرين في جرها (Gerrha)، التي تقع في منطقة البحرين، ثم تنقل عبر الصحراء العربية الى العراق أو سوريا أو الى فلسطين ومصر[2]، كان النشاط النبطي في هذه المنطقة، متمثلاً بالاتفاقية التي عقدوها مع مدينة جرها، التي كان بموجبها ان تمد جرها الأنباط بالبهارات والتوابل عن طريق ساحل عمان[3].

أما الطريق الثاني فكان يأتي من البحر العربي فالبحر الأحمر، ومنها الى

(1) غلاب، محمد السيد، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، الجزيرة العربية قبل الإسلام، 2 ،1984 ، ص194

(2) العلي، صالح، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، ج١، 1954 ، ص37

(3) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، 1980 ، ص507506

الموانئ المصرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر الغربي، أو الى ميناء أيلة حيث تنقل منه الى سوريا وموانئ البحر المتوسط[1].

وكان للأنباط نشاط تجاري بحري، حيث كان يقع ميناء غزة وهو تحت نفوذ الأنباط، ومنه كانوا يتاجرون مع اليونان وروما.

ب- الطرق التجارية البرية:

وأهمها الطريق من جنوب الجزيرة العربية الى سوريا، وكان الطريق يمتد من اليمن ويسير شمالاً موازياً البحر الأحمر حتى يصل الى المدينة المنورة، ثم يتجه ماراً بالعلا ومدائن صالح ومنها الى البتراء، وينطلق طريق آخر من البتراء شمالاً الى دمشق وآسيا الصغرى، ثم طريق آخر من مدائن صالح يتجه الى تيماء ومنها الى بلاد الرافدين أو الجوف، ومن الجوف الى وادي السرحان ثم الى الشام[2].

ويتفرع من البتراء طريق باتجاه الشمال الغربي حتى يصل غزة ويسمى طريق البتراء - غزة[3].

أما بالنسبة للنشاط التجاري النبطي، وامتداده خارج مملكة الأنباط، فقد كان للأنباط نشاط وعلاقات تجارية في غاية الإتساع، ولا تحدها أية حدود سياسية، وكان بالإمكان التعرف على مدى إمتداد النشاط التجاري النبطي من خلال شواهد منها:

1- النقوش:

ترك الأنباط آثار كتابية في بيتولي (Puteoli)، التي كانت مرفأ لروما مدة من الزمن، ويعود تاريخ النقش الى السنة الخامسة الميلادية من حكم الحارث الرابع ملك الأنباط، ويكرس النقش شيئاً من أجل حياة الملك الحارث الرابع، ووجدت نقوش في جرها على الخليج العربي، ورودس، وعند مصب الفرات، ووجد

(1) العلي، 1954 ج1، ص37

(2) الدايل، خالد عبد العزيز، التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم 1405هـ-1985م، الحولية العربية السعودية، 10، 1986

(3) Meshhel, Z., and Tsafrir, Y., The Nabatean Road from Avdat to Sha'ar -Ramon, PEQ, 112, 1974, pp. 103-105.

نقش نبطي في معبد ابولون في ميلتوس، دونه سيلاليوس وزير الملك عبادة الثاني، أثناء زيارة قام بها الى هناك في عام 10 قبل الميلاد، ويمثل دعاء الى الإله ذو الشرى[1].

وتنتشر النقوش النبطية في صحراء مصر الشرقية، انتشاراً واسعا من ساحل مصر الشمالي حتى المناطق الواقعة الى الجنوب من وادي الحمامات[2].

2- الفخار

الإنتشار الجغرافي للفخار، لا يرتبط بالمنطقة الواقعة تحت نفوذ مملكة الأنباط، فقد انتشر الفخار النبطي في منطقة ممتدة من غزة، وتمر بمادبا الى الجوف وحائل في الصحراء، ومن هناك الى الحجر، ومنها الى البحر الأحمر والسويس ومن ثم البحر المتوسط، وعلى جانبي وادي عربه، وعثر على فخار نبطي في الفاو[3].

أما عن تعليل تواجد الفخار النبطي، في مناطق لا تخضع لسيطرة الأنباط المباشرة، فهناك احتمالان الأول ان التجار الأنباط كانوا يحملون معهم بعض الأواني الفخارية لتسد احتياجاتهم. أما عن الإحتمال الثاني فهو ان الأنباط كانوا يتاجرون بفخارهم ويصدرونه الى خارج مملكتهم، وهو احتمال ضعيف وذلك لصعوبة نقل الفخار بالطريق البري وذلك لتعرضه للكسر، وخاصة ان الفخار النبطي يمتاز برقته، وكلا الإحتمالين يؤكدان على وجود علاقات تجارية قوية مع الأنباط.

فنون العمارة والنحت النبطية

(1) عطية، بديع، الموسوعة الأردنية، ج1، دار الكرمل للنشر، عمان،1989 ، ص179

(2) سيد، عبد المنعم عبد الحليم، صلات الأنباط بمصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1 ، 1981، ص43

(3) Schmitt -Korte, K., Nabataean Pottery in Pre -Islamic Arabia, (Studies in the History of Arabia II), 1984 ,pp. 8-11.

العناصر المعمارية الإنشائية:

كانت طبيعة العمارة الإغريقية والمتمثلة بالمعبد الدوري، تشتمل على استعمال الأعمدة والعتبات كعناصر إنشائية، لكل منها دور خاص في عملية حمل البناء، وجميعها تعتمد على بعضها بعضاً، فإن إزالة احد العناصر، يؤدي الى فقدان التوازن في المبنى[1].

أما في الواجهات المعمارية في البتراء، والتي تم حفرها في الصخور، نجد ان استعمال العناصر التي من أصلها إنشائية، كالأعمدة، استعملت هنا لسببين؛ فقد وضعت الأعمدة من أجل زخرفة البناء، وكذلك من أجل استعمال أشكال جديدة تعلوها مثل "الأسطح العلوية" (Entablatures) و"الأشكال المثلثة أو القواصر" (Pediments) بأشكال جديدة غير تقليدية.

تضمن استعمال الأعمدة الزخرفية وجود عدة أنواع منها، وهي تتمثل بالأعمدة الملتصقة بالجدران (Engaged cloumns) والأعمدة الربعية (Quarter columns) التي توضع عادة على الزوايا، كما في واجهة "الخزنة" وعلى واجهة "قبر القصر". واستعمال الأعمدة الملتصقة ميزة معمارية لها أصل في اليونان، حيث وجدت في معبد زيوس في (Akradas) خلال القرن الخامس قبل الميلاد. ووجدت الأعمدة المربعة التي تبرز عن الجدران في "معبد الأثينيين" في ديلوس ، في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. ونجد الأعمدة الربعية في البتراء، على "قبر الجندي الروماني"، وقبر سيكتيوس فلورنتينوس" (Sextius Florentinus)[2].

أما بالنسبة لاستخدام الأشكال الجديدة، من المثلثات والمسطحات التي تعلو الأعمدة، فإننا نجد ان معظمها دائري (Segmental Pediment)، أو مكسورة (Broken Pediment)، وتظهر هذه في البتراء في قبر (Sextius Florentinus) و(Renaissance Tomb) وهناك نماذج أيضاً في المثلثات المكسورة، التي لم يتم حفرها على القبر، وإنما نجدها منفصلة، بالاضافة الى نموذج مزخرف بالجص في

(1) Mckenzie, J., The Architecture of Petra, New York, 1990, p. 87.
(2) Ibid, p. 88.

الجانب الجنوبي من معبد قصر البنت. وتظهر ايضاً الأشكال الدائرية، على الزخرفة الجصية لمعبد قصر البنت. ومن أمثلة المثلث المكسور الذي تم وصل أجزائه من الخلف، نجدها في واجهات "القبر الكورنثي"، و"مضافة باب السيق" وفي أعلى "الخزنة" وفي "الدير".

العناصر المعمارية الزخرفية:

ظهرت في البتراء عدة عناصر زخرفيه في النحت البارز، تتمثل بمعالجة الإفريز، والكرنيشة، وزخرفة تيجان الأعمدة بالإضافة الى زخارف الأعمدة، واللوحات المختلفة، ونجد في هذه الزخارف الأسلوب الشرقي النبطي، ممزوجاً مع الأساليب الزخرفية الكلاسيكية، ومن أكثر الأشكال أو المواضيع المكررة هي زخرفة الكرمة، والتي يمكن اقترانها مع الآله "ذو الشرى" النبطي. تتضمن هذه الزخرفة أشكال ورود مبسطة وسط أوراق ومتعرشات الكرمة، كما نجد على أفاريز الخزنة، وقد غلب على الأشكال التناظر مع بعض الواقعية في عناقيد العنب وأوراق الأكانتوس[1]، وقد جاءت هذه الأشكال من واقع الحياة حيث كثرت كروم العنب ومعاصر النبيذ، كما أنها مألوفة في الفنون الشرقية. وقد أضاف الأنباط أشكال الرؤوس الآدمية، والتماثيل النصفية، على تيجان الأعمدة والأفاريز، ورافقت اللفائف النباتية، وكذلك وجدت عدة زخارف أخرى بينها إضافة شكل الجرة، والنسر والأقنعة الآدمية[2].

1- تيجان الأعمدة:

يعتبر التاج النبطي من أكثر العناصر المعمارية وضوحاً في العمارة النبطية، لقد تطور نوعان من التيجان لدى الأنباط، وهي تعود الى الفترة الممثلة بأقدم بناء مؤرخ في البتراء (أي نهاية القرن الأول قبل الميلاد) وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي، ويمكن تقسيم التيجان الى مجموعتين رئيستين، المجموعة الأولى متمثلة بالتاج "النبطي" أو "الكلاسيكي"؛ وهو خالٍ من الزخارف، والمجموعة الثانية

---

(1) Hammond, P.C., The Nabataeans -Their History, Culture and Archaeology, Gothenburg, 1973, p. 83

(2) Ibid, p. 83.

المزخرفة والمسماة "الكورنثي - النبطي" أو "النباتي" (Floral)، ويتفرع عن كل من هاتين المجموعتين تشكيلات مختلفة، تميز التاج النبطي بقلة زخارفه، وتبرز قرون من زواياه العليا وفي المنتصف بين القرنين يظهر شكل عقدة أو زر، وهناك ثلاثة أشكال تنتمي الى هذه المجموعة[1]، أما المجموعة الثانية فهي ذات شكل عام شبيه بالشكل الأول، إلا أنه أضيفت عليه بعض الزخارف النباتية، واحياناً أضيفت زخارف بأشكال آدمية أو حيوانية[2]، وقد تفرع عنها نوعان من التيجان الكورنثية النبطية، وهذه الأشكال متكافئة مع التيجان الكلاسيكية ذات الطابع النبطي الخاص، وكل نوع من المجموعة الأولى له نموذج يوازيه من المجموعة الثانية[3]، وقد وجدت هذه التيجان على الواجهات المنحوتة وكذلك على البوابة التذكارية[4] ومن أمثلة التيجان الكورنثية النبطية - أو النباتية - تلك التي وجدت على واجهة الخزنة حيث زخرف كل نوع احد واجهات الطوابق، أما الأعمدة "النبطية" والخالية من الزخارف، نجدها على عدة واجهات، منها "الدير" وقبر "الجندي الروماني".

وتم العثور على نموذج واحد من التيجان الكورنثية (Vitruvian Corinthian)، بالقرب من "معبد الأسود المجنحة"، ونجد في البتراء ايضاً أمثلة على الأعمدة الدورية والأيونية، ومن أمثلة الأعمدة الأيونية ما تسميها Mckenzie "Pseudo Ionic"[5] والتي نجد منها بالقرب من شارع الأعمدة والمضافة رقم 235 "Triclinium 235"[6].

في البتراء نجد ايضاً تيجان أعمدة، تتضمن أشكال حيوانات، مثل الماعز،

---

(1) Starcky, J., Petra et la Nabaténe, Supplément au dictionnaire de la Bible, Vol. VII, 1966, pp. 641-642.

(2) Negev, A., Nabatens Capitals from the Towns of the Negev, IEJ 24, 1974, p. 153.
Patrich, J., The Formation of the Nabataean Art, Jerusalem, 1990, p. 123

(3) Ibid, p. 123.

(4) Negev, A., Op. Cit, 1974, p. 158.

(5) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 99.

(6) Dalman, G., Petra und Seine Felsheiligtumer, Leipzig, 1908, pp. 193-149.
Tarrier, D., Les triclinia nabatéenns dans la perspective des installations de banquet du Proche -Orient, Thése de Doctorat, Paris I- Panthéon -Sorbonne, 1988, pp. 195-196.

واسود مجنحة، وحيوانات أسطورية، ونجد هنا أن رؤوس الأسود في معبد الأسود المجنحة حلت مكان القرون على التيجان، وهذه الأسود ليست مطابقة الشبه لبعضها، حيث نجد فيها اختلافات دقيقة في الشكل وفي التعابير الوحشية، إلا أنها متناظرة ومتناسقة تماماً[1] كما عثر على تاج آخر في هذا المعبد منحوته لوجه آدمي، وضعت في المكان الذي توضع فيه عادة الزهرة على ورقة اباكوس[2].

نجد في بعض مباني البتراء - الخزنة والدير والقبر الكورنثي - مبنى دائري الشكل ذو أعمدة، ضمن الواجهة، وهو ما يسمى (Tholos) ويوجد عادة في مؤخرة المباني العادية، ويعود الى القرن الرابع قبل الميلاد في دلفي[3]، ويشير البعض الى ان هذا البناء كان ميزة في البيوت الخاصة، والقصور في نهاية الفترة الهلنستية[4] كما ظهر هذا الشكل في اللوحات الجدارية في مدينة (Pompeii)، حيث نجده داخل ساحة لها أعمدة، وهنا في مباني البتراء تم بناءه في الجزء العلوي من الواجهات، له سقف مائل يشبه الخيمة، وعلى قمته تاج تعلوه جره[5]. وقد تم مؤخراً اكتشاف تيجان أعمدة تحمل رؤوس فيلة في المعبد الكبير في البتراء.

وهكذا نستنتج أن الأنباط رغم أخذهم التيجان الكورنثية أو الأيونية أصلاً، إلا أنهم طوروها وغيروا من مقاييسها وأشكالها، وأسبغوا عليها طابعهم الخاص بهم وأصبحت ميزة العمارة النبطية.

2- الافريزة الدورية: **(Doric Frieze)**

استعمل الأنباط في عمارتهم زخرفة الافريزة الدورية والمكونة من (Triglyphs and Metopes) وهي عبارة عن ثلاثة خطوط عاموديه مكررة وبينها مسافة معينة لها زخارف خاصة (Metope) حيث تكونت من منحوتات مختلفة في

---

(1) Hammond, P.C., The Capitals from the "Temple of the Winged Lions", Petra, BASOR, 226, 1977, p. 50.

(2) Ibid, p. 51.

(3) Mckenzie, J., Op., Cit, 1990, p. 92.

(4) Wright, G.R.H., The Khazneh at Petra: A Review, ADAJ 6-7, 1962, pp. 22-24.

(5) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 99.

العمارة الدورية الإغريقية[1]، أما في أبنية البتراء فقد تكونت الـ (Metopes) من أشكال وردية (Rosettes)، أو تكونت من تماثيل نصفية أمامية، أو أقراص دائرية تبرز في الواجهات[2]، ونجد أمثلة على ذلك في "معبد قصر البنت"، حيث استخدم الشكل الوردي والتماثيل النصفية كمنحوتة هيليوس (Helios)، أما الأقراص الدائرية فإننا نجدها على عدة واجهات في البتراء، منها واجهة قبر الجرة (Urn Tomb)، وواجهة الدير، وعلى "الواجهة رقم "846" في منطقة السيق البارد، وأحياناً نحتت على الإفريز الدوري أقنعة تراجيديه مكان الـ(Metope) على أطراف الإفريز بدلاً من القرص الدائري، وهي تمثل الرغبة في التقرب من الآلهة[3] ومن هذه النماذج ما وجد عند مضافة الأسد (Lion Triclinium).

3- زخرفة الحجر بالخطوط المائلة:

من الملاحظ على الواجهات الصخرية، وجود خطوط محفورة ومنحرفة على زوايا تبلغ 45 درجة، وقد وجدت مثل هذه الزخرفة على عدد كبير من الجدران الخارجية، وكذلك على معظم الجدران الداخلية، وهي بخطوط منتظمة، مما يؤدي الى الإعتقاد بأنها لم تكن دائماً موجودة لغرض حمل الجص على الجدران، وإنما أيضاً للزخرفة على الحجر الطبيعي، وخاصة على الواجهات الخارجية[4].

4- زخارف الأعمدة:

تميزت بعض أعمدة البتراء بأنها، إما بأشكال نباتية هندسية مصنوعة من الجص، كما نجد في "معبد الأسود المجنحة"، أو باستعمال عدة لوحات مربعة حجرية نقشت عليها الزخارف، وقد تكون هذه الزخارف عبارة من منحوتات نصفية، أو بأشكال هندسية مضلعة، كما نجدها على بوابة التيمينوس (Temenos)[5]، وكذلك على الجوانب الداخلية من قوس النصر.

5- زخارف منحوته أخرى للواجهات الصخرية:

---

(1) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 48.
(2) Ibid, p. 48.
(3) Glueck, N., Deities and Dolphins, The Story of the Nabataeans, London, 1965, p. 242.
(4) Hammond, P.C., Op. . Cit, 1973, pp. 77-78.
(5) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 97.

ضمن تشكيلات واجهات البتراء نجد أشكال منحوتات أخرى[1] فهناك شكل الجره على قمة واجهة الخزنة، وواجهة الدير، وعلى واجهات أخرى، مثل وجودها على "واجهة القبر "70" (Tomb 70) على زوايا المثلث الذي يعلو البوابة، وقد يكون استعمال الجره كرمز جنائزي في المقابر، إذ كانت تستخدم كأواني دفن في حضارة بلاد ما بين النهرين وفي حضارات أخرى، نجد تأثير بلاد ما بين النهرين أيضاً، في شكل الأسد الذي وجد في بابل وآشور بكثرة، والذي كان يعتبر مقدساً للآلهة عشتار، وقد عرف أيضاً الأسد في سوريا وفي بعلبك خلال الفترة الهلنستية، وأيضاً في جنوب الجزيرة العربية[2]، كما أنه زخرف بتيجان أعمدة "معبد الأسود المجنحة"، وواجهة مضافة الأسد، وتم حفره على الصخر في وادي فرسا.

يظهر التأثير المصري في منحوتات أبو الهول، وفي منحوتات الحيوانات الخرافية المجنحة، وفي هذه التماثيل تبين التأثير المصري من حيث المضمون، أما من حيث أسلوب النحت، فتوجد هناك أيضاً الطرق الهلنستية في النحت، ونلمس أيضاً التأثير المصري في وجود الآلهة على واجهة الخزنة، وهي آلهة الموت المصرية وتظهر هنا مع سنابل القمح التي اقترنت فيها دائماً[3].

أما التأثير السوري في مثل هذه المنحوتات، فهو يكمن في أثواب المحاربين التدمرية وفي الأقنعة التراجيدية.

بالإضافة الى هذه الأشكال، هناك منحوته النسر الذي نحت على الواجهات في كثير من الأحيان، والنسر هو من أصل سوري، وقد ظهر في فنون تدمر، وكان يمثل الطائر الذي سينقل روح الميت الى السماء[4]، لعب النسر دوراً هاماً في رموز الأنباط الدينية، خلال العصر الهلنستي مثل الآلهة زيوس وبعلشمين،

(1) Hammond, P.C., Op. Cit. 1973, p. 76
(2) Glueck, N., Op. Cit, 1965, p. 287.
(3) Wright, G.R.H., Op. Cit, 1962, p. 31.
(4) Al -As'ad, K., and Bounni, A., Palmyra -History, Monuments and Museum, Damascus, 1988.

الذي أعتبر سيد العالم والسماوات[1].

يظهر التأثير البارثي والهلنستي (Parthian -Hellenistic) في العديد من المنحوتات البارزة الآدمية، وهي تمتاز بأنها أمامية وبخصل الشعر الحلزونية، ويتمثل التأثير الهلنستي في منحوتات آلهة النصر وفي الألبسة والأثواب[2]، وايضاً في منحوتات (Medusa)، وهو الوحش في الميثولوجيا اليونانية.

مزجت المنحوتات النبطية عدة تأثيرات، وظهرت فيها التأثيرات الشرقية، والهلنستية معاً في معظم الأحيان، وقد أضفت عليها طابعاً نبطياً تميز بالملامح الهندسية والتفاصيل الدقيقة، والعيون المحدقة[3]، وتميزت المنحوتات ايضاً بتماثلها وتطابقها وتكرارها من حيث ترتيبها على الواجهات الصخرية، وتوزعت هذه المنحوتات لتتناسب مع الواجهة من حيث الشكل والحجم[4].

---

(1) Glueck, N., Op. Cit, 1965, pp.4732-471 .
(2) Ibid, p. 248.
(3) Ibid, p. 250
(4) لمزيد من المعلومات انظر رسالة ماجستير تمت بإشراف المؤلف بعنوان المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء إعداد لمياء الخوري،1990

الحضارات الأخرى وتأثيرها على العمارة والفنون النبطية:

تأثرت الحضارة النبطية أو الفن النبطي، بغيره من الحضارات المجاورة، أثرت في واجهات المباني وفي الأساليب الفنية لبنائها، ساهم في هذا التأثير موقع البتراء، وعمل سكانها بالتجارة، حيث كانوا يذهبون الى كل من مصر، وسوريا، وبلاد الرافدين، واليونان، وايطاليا وشبه الجزيرة العربية، مؤثرين ومتأثرين، حيث كانت البتراء تستقبل الزائرين من الحضارات الأخرى.

استخدام الأنباط لبعض الأشكال والرموز التي وجدت في الحضارات الأخرى وفيه نرى:

1- تأثير الفن المصري على عناصر بعض الواجهات في البتراء، كالمسلات في مدفن المسلات (Obelisk Tomb) والكرنيش (Cavetto) والذي يعود لجذور مصرية، وظهور الآلهة ايزيس على واجهة الخزنة.

2- تأثير الفن الآشوري "وبلاد ما بين النهرين"، ويبدو واضحاً في خطوة الغراب، والتي تزين أغلب واجهات مقابر البتراء، ويرجع أصلها الى المعابد الآشورية، التي وجدت في بلاد ما بين النهرين، وظهور الجرار مثلاً في واجهة الخزنة، وأشكال الأسود التي وجدت على جدران البتراء والتي ترمز لمعنى ديني.

3- التأثير السوري ويبدو واضحاً في تمثال النسر، الذي يزين واجهة الخزنة وأيضاً الأقواس النصف دائرية التي ظهرت على واجهات البتراء.

4- التأثير الهلنستي: استعمال الأعمدة الكورنثية والـ(Pediments) باختلاف أشكالها ووجود تماثيل أنصاف الآلهة اليونانية (التوأمان كاستور وبولكس (Castor and Pollux) وتماثيل مدوسا (Medusa) والتأثر بالمبادئ الهلنستية في تخطيط مدينة البتراء.

وبالرغم من تأثر الأنباط بالحضارات الأخرى، إلا أنهم أخذوا هذه العناصر وعالجوها بطريقتهم الخاصة، ميزتهم عن مواطن هذه العناصر الأصلية، وطوروها بحيث تناسبهم، وابتكروا أساليبهم الخاصة.

5- بدايات ظهور الطابع الباروك في عمارة البتراء (Baroque)، وأول دلائل

ظهورها هي استخدام العناصر الإنشائية كعناصر وسطوح للزخارف، كما في الأعمدة غير الإنشائية والتي تتصل بالجدران والأعمدة وجود عمودين متصلين معاً (Engaged columns)، وظهور المبنى الدائري (Tholos) وهو عبارة عن عنصر إنشائي دائري ويظهر في واجهة الخزنة[1].

العمارة النبطية المحلية:

بالرغم من تأثر الأنباط بالحضارات والفنون الأخرى، إلا أنها تميزت بعمارة محلية واضحة في معظم مبانيها، جاءت نتيجة عوامل بيئية ومعتقدات دينية معينه، استطاع الفنان النبطي خلق أساليب خاصة به، جعلت مدينة البتراء فريدة من نوعها.

1- الأدوات التي استخدمها الأنباط، في بناء هذه الحضارة، وفي قطع الحجارة وحفرها، وأساليب العناصر الزخرفية، والدقة التي تم فيها العمل، كان دليلاً على التخطيط المسبق، ووضع المخططات والرسومات من قبل المعماريين الأنباط جاءت هذه العمارة محلية تناسب طبيعة الموقع الجغرافية والوظيفية[2].

2- ومن الأمور الهامة عملية العزل الحراري حيث أن فرق درجات الحرارة ما بين الليل والنهار، والصيف والشتاء كبير جداً، فالجدران كانت من ثلاث طبقات، الطبقة الخارجية تتكون من الحجارة المربعة المصقولة، والتي وضعت بعناية ودقة، حتى تمنع تبخر الرطوبة الداخلية، والطبقة الداخلية، بنيت من حجارة مقطوعة مع الحجارة الصغيرة، والطين في الفواصل ما بين البلاطات الحجرية أما بين صفوف الحجر وضعت القطع الحجرية الصغيرة والطين لإعطاء المزيد من العزل.

---

(1) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 92.

(2) Hammond, P.C., The Excavations at Petra, 1974, SHAJ, I, 1982, pp. 231-238. Cultural Aspects of Nabataean Architecture, Religion, Art and Influence, SHAJ I, 1982, pp. 231-235.

داخل الغرف كانت الجدران تغطى بأكثر من طبقة من الـ(Plaster) بدءاً من الطين لملأ الفراغات ويغطي وجه الحجارة، وانتهاء بطبقات من القصارة الجيدة، ثم تدهن بالقصارة البيضاء لتشكل قاعدة للفريسكو، وعامل آخر من عوامل العزل حجم وعدد الشبابيك في البناء، حيث كانت الشبابيك ضيقة في الواجهة الخارجية، وتتسع في الداخل، ومكانها في أعلى البناء مباشرة تحت السقف، كانت تُمد بالهواء والضوء وتمنع الغبار. الأبواب ووضيفتها في البناء لعبت دوراً هاماً في عملية العزل، حيث صنعت من الخشب ووضعت داخل إطارات من الخشب تقع على الشمال أو الغرب، وفي الشتاء عندما تكون الشمس منخفضة تدخل أشعة الشمس خلال الأبواب المفتوحة، وفي الصيف تكون الشمس عالية فيدخل النسيم والهواء[1].

3- أخذ الأنباط عن اليونان الأعمدة ذات التاجيات الكورنثية، ولكنهم طوروها ونتج عنها التاجيات النبطية الخاصة الممتلئة، في وجود أربعة زوايا بارزة، تزينها زخارف في الوسط عبارة عن وردة أو دائرة بارزة، واستخدام التاجيات بدون أعمدة كقاعدة لبعض التماثيل كما في واجهة الخزنة مثل الجرة والنسر ،وقد ظهرت الأعمدة النبطية على أغلب واجهات مباني البتراء كالدير وقصر البنت.

4- معالجة السطوح الداخلية وبعض الأحيان الخارجية، بالخطوط المنحوتة المتوازية والمائلة بزاوية 45 درجة، وقد كانت هذه الطريقة تستعمل من أجل تثبيت طبقة البلاستر لعمل لوحات الفريسكو الملونة لتزين هذه الجدران، وظهرت في الخزنة، ومدفن المسلات، .والمحكمة وغيرها من المباني.

5- زخارف الواجهات الممتلئة في (Triglyphs و Metopes) وقد اتخذت إلـ (Metopes) اشكالاً عديدة كالتي في قصر البنت، فخرجت عن كونها

(1) Negev, A., Nabatean Archaeology Today, New York, 1986, p. 107.

مجرد دائرة بارزة، فجاء فيها أشكال التماثيل وزخارف الوردة[1].

6- مراعاة التناظر والتماثل في الواجهات، فالواجهات أغلبها حفر في الصخر ولحفظ توازن الواجهات أكمل الناقص فيها بالبناء بالحجارة كما في قبر القصر (Palace Tomb).

7- المنحوتات والتماثيل النبطية والتي تميزت بمميزات خاصة كالعيون والأنف والملابس وطريقة تصفيف الشعر، وتميزت التماثيل النبطية بالخطوط شبه المستقيمة أكثر من كونها مستديرة، وتصفيف الشعر بالشكل اللولبي، والذي تميزت فيه التماثيل الآشورية من قبل، وتميزت العيون بخروج حدقة العين من تجويفها وتبرز للخارج، التماثيل وتحاط العين بجفون غير مهشمة، والأنف سطحه منبسط.

إن دقة نحت الزخارف النباتية والهندسية النبطية وجمالها ورقتها وهذا لا يمثل طابع الفن الروماني الذي عرف عنه الرتابة وخشونة النحت، كما ان الدقة النبطية في نحت الزخارف المختلفة ظهرت على شكل رسومات زينت أوانيهم وأدواتهم الفخارية المشهورة.

وأن الزخارف النبطية المنحوتة، التي ميزت الواجهات النبطية في البتراء، وخاصة واجهة الخزنة التي يعجز أصحاب الآراء القائلة بأنها صنعت زمن الرومان، أو ان الرومان نحتوها، عجزوا ان يعثروا على عمل فني واحد شبيه بالخزنة، في جميع ما خلفت الحضارة الرومانية من مبان وعمائر. حيث من المعروف ان العديد من الكتابات النبطية التي وجدت في البتراء، قد دلت على ان أسماء النحاتين المعماريين كانت عربية نبطية، كما دلت هذه الكتابات أن العديد من المباني كمعبد قصر البنت في البتراء وبعض الواجهات المنحوتة ومنها واجهة الخزنة، قد بنيت في زمن الملك الحارث الرابع أو زمن سلفه، وهذه أدلة دامغة على وجود هذه المعالم الحضارية قبل وصول الرومان الى البتراء. كما ان المدرج في البتراء لم يخل من هذه التهم وكان رأيهم أنه أنشأ بعد عام 106 ميلادي، أي بعد وصول الرومان. فيكف يعقل

(1) Mckenzie, J., Op. Cit, 1990, p. 97.

ان تنشأ مدينة وعاصمة عظيمة كالبتراء وتزدهر في العصر الذهبي النبطي - القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي - ان تكون بدون مدرج؟ وبقي هذا الرأي الى ان أثبتت الحفريات التي قام بها فليب هموند في منطقة المدرج، انه أنشأ في حوالي عام 4 قبل الميلاد، في زمن حكم الملك الحارث الرابع.

كما أننا نجد في الكتابات التي ظهرت زمن الملك الحارث الرابع، والكتابات التي ظهرت على قطع المسكوكات في زمنه، وخاصة ما يتعلق منها بمقولة، أنه المحب لأمته أو المحب لشعبه، والتي يفسرها أفي يوناه (Avi -Yonah) ان الحارث بمقولته تلك واستعماله لهذا التعبير ربما قصد ان يقول لا للحضارة الرومانية.

الصناعات النبطية

كان لنجاح الأنباط في التجارة، الأثر الهام في التطور الاقتصادي لمملكتهم، وظهور بعض الصناعات النبطية المختلفة، ويعزو نلسن جلوك نشؤ دولة الأنباط الى سيطرتهم على الطرق التجارية. ان الثروة الضخمة التي تجمعت لدى الأنباط عن طريق التجارة مكنهم من زراعة الأراضي التي لم تكن قد زرعت من قبل، واعتماداً على الوثائق والمعلومات الأثرية المتوفرة، أصبح الآن معروفاً ان الطرق التجارية، النبطية قد وصلت الى مناطق ابعد من شمال سوريا، والى المنطقة الشمالية الغربية عبر البحر المتوسط، ايطاليا، ورودس، الى الغرب، والجنوب الغربي الى مصر والى مدنها التي تقع في الجنوب، وكذلك الى الجنوب الى الصحراء العربية وعلى الضفة الشرقية من البحر الأحمر والخليج العربي، أما بالنسبة للطرق التجارية فقد كانت متعددة ومتفرعة في جميع الإتجاهات من البتراء، وان الرحلات البرية كانت تتم بواسطة الجمال. ووجد جلوك اثناء استكشافه لشرق وغرب فلسطين، دلائل على وجود خانات لمبيت القوافل، وان

توزيعها على الطريق التجارية يمكن ان يعتبر دليلاً على حجم هذا العمل[1].

أما بالنسبة للمواد التي يتاجرون بها وأصل هذه المنتجات، فقد كان الجزء الأعظم من المنتجات التي كانوا يتاجرون بها هي من منتجاتهم، ولكن كانت هناك القليل من المواد ذات أصل أجنبي، وفي هذه الحالة كانوا يعملوا كوسطاء، حيث كانوا يجلبون المواد ذات الأصل الهندي، من الخليج العربي ويتم نقلها عن طريق البر بواسطة الجمال الى البحر المتوسط ومن ثم الى الدول الأخرى، ويرى المؤرخ (Stewart H.Perowne) ان الأنباط سيطروا على طرق التجارة من جنوب الجزيرة العربية، وجلبوا الى البتراء والعقبة التوابل من اليمن، وحضرموت، وأراضي الصومال، وكذلك الحجارة الكريمة، والأخشاب من الهند، والحرير من الصين، والذهب من إفريقيا، كما يشير جورج آدم سميث الى ان الأنباط ساهموا في تزويد فلسطين بالملح[2].

وهكذا فإن نشوء وتطور المملكة النبطية بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، يعود الى موقعها المتميز على الطرق التجارية، بين الجزيرة العربية وسوريا، وقد كان التجار يأتون الى منطقة البتراء، ومن ثم الى مصر، وسوريا، واليونان، وايطاليا وكذلك الى غزة، والإسكندرية. وقد تمتع الأنباط بالثروة من خلال الضرائب التي كانوا يفرضونها على المواد التي تمر من خلال أرضيهم، وكان هناك العديد من أبراج المراقبة والدفاع كالتي كانت مثلاً في باير، وعين الشلالة، أو على الطريق التجارية عبر وادي عربة والنقب، كما تبنى الأنباط النظم الدفاعية والتنظيمات التي كان الآدوميون والمؤابيون قد استعملوها قبلهم[3].

لم يكن النشاط التجاري والضرائب التي يفرضونها على التجار هي مصدر

---

(1) Lawlor, J. I., The Nabataeans in Historical Perspective, Michigan, 1974, pp. 68-69.
(2) Ibid, p. 69.
(3) Glueck, N., The Other Side of Jordan, Cambridge -Massassuchets, 1970, p. 192.

ثرائهم، بل كان هناك مصدراً آخر، حيث كانوا يعملون على استخراج النحاس والحديد من مناجم في وادي عربة وسيناء[1].

وتدل النصوص والنقوش القديمة، على ان البتراء قد سيطرت في القرن الأول قبل الميلاد، على جميع المدن الواقعة على طريق التجارة الواصل بين دمشق والبتراء، إلا أن هذا التوسع لم يلحظ في الجنوب، فلم تتعدى السيطرة النبطية منطقة نجد، إلا أنها عندما سيطرت على طريق القوافل العربية، وجدت نفسها مضطرة الى البحث عن مراكز تجارية لها في سوريا. ولم يكن نمو تدمر من الناحية التجارية إلا لرغبة الأنباط في فتح طريق جديد يمر عبر بلاد ما بين النهرين، ويمر بعدها بتدمر، ومن ثم الى بصرى وحتى يصل البتراء، أو يستمر بشكل مستقيم من بصرى حتى يصل دمشق، وبالتالي تكون قد سيطرت على المدن الواقعة على هذا الطريق[2].

وكان التجار يحرصون على ألا تعود القوافل، إلاّ وهي محملة بالبضائع الغنية من أسواق الشام، وكذلك المصنوعات المحلية أو المجلوبة من مصر، والأناضول، والعراق، ومختلف مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، وتبيع ما تحمله في كل محطة تقف فيها على الطريق التجارية، اثناء العودة الى الجنوب نحو مدائن صالح والعلا، لذلك فقد أصبح للأنباط دولة غنية وذات شأن كبير، ومن الجدير بالإشارة ان هذا الطريق ولم يكن الوحيد الذي يمر بمنطقة البتراء، فقد كان هناك طريق آخر ينطلق من البتراء بعد ان يأتي من سوريا ويستمر حتى يصل خليج العقبة، ويقطع شبه جزيرة سيناء حتى يصل الى مصر، ولم تتوقف الطرق التجارية عند هذا الحد، إنما أكملت بحراً من خلال غزة والإسكندرية حتى بلاد اليونان وايطاليا.

كان الأنباط يتقاضون أتاوه أو مكوساً مقابل السماح للقوافل التجارية

---

(1) Ibid, p. 197.
(2) Rostzovtzeff, M., Caravan Cities, 1971, pp. 28-29.

بالمرور عبر أراضيها والتعهد بحمايتها بها، والسماح لها ببيع البضائع في المدن الخاضعة لسيطرتها، مما أدى الى جني ثروة طائلة، وهناك حقيقة أخرى يجب عدم نسيانها، وهي ان أهمية طرق القوافل لا تقتصر على التجارة ونقل البضائع، بل هي وسيلة لنقل ثقافة البلاد ومختلف الأفكار، وتجعل المدن الواقعة على الطرق التجارية، على اتصال مع بعضها البعض ومع العالم الخارجي، بحيث تكون على علم بما يستجد من أفكار ومذاهب واتجاهات. بعد ضم مملكة الأنباط الى الولاية العربية وعاصمتها بصرى في عام 106 ميلادي، وأصبحت بلاد الأنباط تابعة للنفوذ الروماني، لم يكن هذا النفوذ الجديد راجعاً لأسباب سياسية كالتوسع الروماني، أو ضعفاً في البيت المالك، بل ان السبب الرئيسي، يرجع الى تشجيع الرومان بنقل التجارة عن طريق البحر الأحمر، بعد أن عرفوا سر الرياح الموسمية من العرب، فأثر ذلك على الأنباط وعلى ما كانوا يجنونه من أرباح من القوافل المارة بالطريق الكبير، بالإضافة الى الأحداث السياسية التي عمت المنطقة، ونقلت مركز التجارة الى مدينة تدمر، حيث أصبحت المحطة الرئيسية على طرق القوافل التي تخترق الصحراء، وتربط موانئ البحر الأبيض المتوسط بالبلاد السورية وبلاد ما بين النهرين[1].

الفخار النبطي:

اشتهر الأنباط بفخارهم المميز في صناعته، ورقته، ونعومته، وكذلك جمال زخارفه، وهذا يدل على ازدهار هذه الحضارة، ويعتبر الفخار النبطي الذي صنع في القرن الأول الميلادي من أجود وأجمل ما صنع الأنباط من فخار[2].

انتشرت صناعة الفخار النبطي وتم تداوله في جميع أرجاء مملكتهم الواسعة، وحاول نلسن جلوك (Glueck) في الثلاثينات من هذا القرن، تحديد المواقع

(1) Glueck, N., Op. Cit ,1970 ,pp. 192-193.
(2) Khairy, N., Fine Nabataean Ware with Impressed and Rouletted Decorations, SHAJ I, 1982, pp. 275-283.

النبطية من خلال وجود الفخار النبطي فيها[1] وتم العثور على بعض مراكز وافران تصنيع الفخار النبطي في مناطق عديدة من المملكة النبطية، حيث عثر على أفران في منطقة الزرابة في البتراء، وفي موقع عبده (Oboda) النبطية في صحراء النقب، وفي منطقة بير مذكور، وغيرها من المواقع النبطية الأخرى. كانت صناعة الفخار النبطي تتم باستعمال الدولاب السريع، فصنعوا الأطباق الواسعة والزبادي والأباريق والجرار وأدوات الطبخ والكؤوس والأسرجة والمطرات، وكان أعداد منها يتم تلوينه ودهنه[2] وقد تنوعت ألوان وأشكال وزخارف هذا الفخار الدقيق والرقيق الصنع، وامتازت الأواني الفخارية بألوانها الزاهية، وجمال زخارفها التي تراوحت بين الأشكال الهندسية، كالخطوط المستقيمة والمثلثات والدوائر النصفية والأشكال المعينية والنقاط والأشكال الشبكية، وظهرت الأشكال والزخارف النباتية، كأغصان النخيل والثمار والورود والكرمة والرمان والتوت[3].

يعود الفضل في دراسة الفخار النبطي الملون الرقيق ودراسة أشكاله، الى جورج هورسفيلد وزوجته أجنس (George and Agnes Horsfield)، ففي عام 1930 بدأ حفرياته في مدينة البتراء، وعثر أثناء ذلك على كميات كبيرة من القطع والأدوات الفخارية النبطية وخاصة الملونة منها، كما درست كروفت (Croft) في الثلاثينيات من القرن الماضي القطع الفخارية النبطية في موضع سبيطة في صحراء النقب، كما درس هذا الفخار من قبل مورية وإليس (Murray and Ellis)، وخاصة النماذج الفخارية التي تحتوي على زخارف مختلفة، ومنها الرسومات التي على شكل حيوان وطير وعثر لاكنستر هاردنج (Harding) في عام

(1) Glueck, N., Explorations in Eastern Palestine, II, AASOR, Vol. XV, 1935, p. 36.
(2) Murray, M. A., and Ellis, J,C., A Street in Petra, London, 1940, p1, VII, IX -XXV.
(3) Glueck, N., Op. Cit, 1970, PP. 209-211.
Khairy, N., Op.Cit, 1982, pp. 275-283.
Khairy, N., The painted Nabataean pottery from the 1981 Petra Excavations, Levant, XIX, 1987, pp. 167-169.

1943 على مدفن نبطي في مدينة عمان، وجد داخله طبقتين من الفخار النبطي الملون، وفرد هموند (Hammond) جانباً من دراسته لبعض قطع الفخار النبطي، ودرس هذا الفخار من قبل أبراهام نقب (Nagev) الذي اكتشف مصنعاً للفخار في عبده، كما أهتم بدراسة الفخار النبطي الملون شمت كورته (Schmitt -Korte)، وركز على دراسة الزخارف التي ظهرت على الأطباق والزبادي النبطية، وقام نبيل الخيري بعمل رسالته للدكتوراه عن الفخار النبطي، وقام بنشر عدد من الدراسات حول الفخار النبطي الملون وغير الملون[1]، وفي السنوات الأخيرة تم العثور على العديد من الأواني الفخارية النبطية، وذلك أثناء التنقيبات الأثرية في موقع خربة الذريح[2].

صناعة النسيج و الجلود:

عرف الأنباط الصناعات النسيجية المختلفة، ولكن بسبب تأثرها بالعوامل الطبيعية اندثرت، ولم يصلنا منها إلا بعض المعلومات النادرة، ولكن أظهرت التنقيبات الأثرية في خربة الذريح بمنطقة المدافن، معلومات هامة عن صناعة النسيج عند الأنباط، وقد تم دراسة جزء منه وخاصة ما تم الكشف عنه في المقبرة الأولى، وقام بدراسته الفرنسيان (Boyer and Riche) بإشراف من مديري الحفريات في هذا الموقع زيدون المحيسن وفرانسوا فيل نيف[3]، أما ما عثر عليه من النسيج في المقبرة الثانية فهو قيد الدراسة، ويوجد قسم منه في جامعة اليرموك وقسم آخر

---

(1) Khairy, N., Technical Aspects of Fine Nabataen Ware, BASOR .250, 1983, pp. 17-40

خيري، نبيل، الفخار النبطي الملون من حفريات البتراء لعام1981 ، دراسات، 11 ، الجامعة الأردنية، عمان، 1984 ، ص249227

(2) Villeneuve, F., The Pottery from the Oil -Factory at Khirbet edh-Dharih (2nd century A.D (.a Contribution to the Study of the Material Culture of the Nabataeans, ARAM, 2, 1990, pp. 367-384. Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbert edh-Dharih, I-III, 1984-1987, Supplement de Syria, Paris, (Forthcoming.(

(3) Lonoble, P., Al-Muheisen, Z., Villeneuve, F., Fouilles de Khirbet Edh-Dharih (Jordanie), I: Le Cimetiére au sud du Wadi Sharheh, SYRIA, 78, 2001, pp. 89-151.

يخضع للتحليل في فرنسا، أما النسيج الذي وجد في المقبرة الثانية، فقد عثر على ثماني عشرة قطعة نسيج، في القبر (رقم 5) من الوحدة الدفنية الثانية في هذه المقبرة (المدفن الجماعي)، وقد احتوت احدى قطع النسيج، على ثلاث طبقات من نوعين مختلفين من النسيج، وكان لونها يميل الى الأصفر، وقد بينت الدراسة ان مادة النسيج هذه، قد صنعت من الكتان ويبلغ قطر الخيط الواحد 20- 25 ميكرون، وتم التعرف على ثلاثة أنواع من النسيج النوع الأول وهو التوال (Toils)، وهذا النوع من النسيج يكون فيه تقاطع خيوط السداة واللحمة في الوسط، وتم العثور على قطعتين من هذا النوع، الأولى بإبعاد 15×12 ملمتر، والثانية بأبعاد 24×20 ملمتر، وكان اختزل الخيوط يتم باتجاه واحد، وكانت الخيوط مفتولة بشكل حرف (S) من اليمين الى اليسار، والخيوط منبسطة ويتراوح عرضها ما بين 0.75 الى 1 ملمتر، والنوع الثاني التول (Twill) تشكل خيوط السداة فيه مجموعات من خيطين أو ثلاثة، وتتكون اللحمة من خيط واحد، وقد عثر على قطعة واحدة أبعادها 20×15 ملمتر، وتحتوي على حاشية، وكان الإختزال في التول من خيطين، وتكونت السداة من ستة مجموعات، كل مجموعة مكونة من خيطين وكانت الخيوط أيضاً مفتولة بشكل حرف (S) وعرض الخيط 0.75 الى 1 ملمتر، وكانت اللحمة تتكون من أربعة غروز، أما قطر الخيط فكان 1.5 ملمتر، أما النوع الثالث فهو التويست (Twist) وهذا النوع مشتق من التوال، تتكون فيه الخيوط (السداة واللحمة) من خيطين أو ثلاثة، وتم العثور على ستة قطع من هذا النوع، وهي في حالة سيئة، أما الاختزال فكان بواسطة خيطين مجدولين عرضهما 2 ملمتر وتكون خمس مجموعات من الخيوط بإتجاه واحد، وفي الإتجاه المعاكس يوجد ثمان مجموعات، كل مجموعة مكونة من خيطين، والخيوط هنا جاءت مفتولة أيضاً على شكل حرف (S)، ويبدو ان هذه الصناعة النسيجية كانت مصنعة محلياً وتم العثور على العديد منها في مدافن كرنب في صحراء النقب[1].

---

(1) Negev, A., The Nabatean Necropolis of Mampsis (Kurnub), IEJ, 21, 1971, pp. 110-129.

كما عثر على نسيج الكتان، الذي كان على شكل ملابس تغطي الجثة في مدافن مدائن صالح، وقد كان هذا الكفن الكتاني يغطي الكفن الجلدي المحيط بالجثة[1].

أما صناعة الجلود فكانت معروفة عند الأنباط، والجلود مادة سريعة الزوال وتتأثر بالعوامل الطبيعية، كحالة المواد المصنوعة من النسيج، إلا انه تم التعرف على هذه الصناعة من خلال العثور على العديد من الأكفان الجلدية، وكانت القطع الجلدية توصل مع بعضها بواسطة الخياطة المحكمة والمرتبة، وظهرت بعض الزخارف، التي شكلتها الخياطة بأشكال أوراق البرسيم، والخطوط المستقيمة التي تكون اشكالاً هندسية، حتى يخيل للناظر الى هذه الجلود، ان خياطتها قد تمت بواسطة ماكنة حديثة للخياطة، وكانت بعض القطع الجلدية تتكون من قطعتين متماسكتين، ومختاطتين مع بعضهما لإعطاء سماكة ومتانة لجزء معين من الكفن، وتم العثور على قطع جلدية مجدولة، وكانت الخياطة على الجلود تتم بواسطة خط مستقيم (خياطة على شكل درزات، أو خيطين مستقيمين متوازيين، أو خيوط متجمعة مع بعضها)، وكانت نقاط الخياطة منتظمة ومتساوية الأبعاد، كما زينت بعض الجلود بالزخارف المطبوعة بواسطة الضغط، وربما استعملوا القوالب المعدنية لتشكيل هذه الزخارف، التي ظهرت بأشكال مربعات ومستطيلات ومتوازيات الأضلاع والمعينيات، وقد استعملت الجلود في صناعة الملابس ايضاً كالمعاطف والأحذية وتم العثور على بعضها في خربة الذريح، كما عثر على صنادل جلدية في مناطق نبطية أخرى كأم الجمال وغيرها[2].

---

(1) Dought, C. M., Travels in Arabia Deserta, 1979, reprint, p. 213.
(2) Lenoble, P., Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Op. Cit. 2001, pp. 89-151.

صناعة الأخشاب

اشتهر الأنباط بصناعة الخشب، واستعملوه في عمارتهم وداخل مداميك أبنيتهم المبنية من الحجارة، حيث ظهرت بقايا هذه الأخشاب في معبد قصر البنت في البتراء وفي معبد خربة الذريح في اللعبان بوادي الحسا[1]، كما استعملوا الأخشاب في تغطية الشقوق، ولا بد أنهم صنعوا السفن اثناء تنقلهم في البحر لنقل بضائعهم المختلفة في البحر المتوسط أو البحر الأحمر، أما أهم ما وصلنا من تقدم في صناعة الأخشاب فهي التوابيت الخشبية، كالتابوت الذي عثر عليه في أحد المدافن في خربة الذريح، وقد كانت أخشابه مقطوعة بشكل هندسي وناعمة الملمس، وهذا يدل على استعمالهم المناشير الخشبية المختلفة الأحجام، واستعمالهم لأدوات تنعيم الخشب، والأزاميل، والمخارز، وكذلك الأدوات الهندسية المختلفة[2].

وعثر بيتر بار (Parr) على بقايا تابوت خشبي في البتراء[3]، كما عثر على تابوت خشبي نبطي في الجهة اليسرى من وادي أبو عليقة في البتراء، وقد تم عمل أطراف هذا التابوت بشكل مقوس، وهذا يدل على صناعة متطورة، حيث ربما إنهم استعملوا البخار في ثني وتدوير هذا الخشب عند أطراف التابوت[4] وعثر على توابيت خشبية نبطية في منطقة كرنب بصحراء النقب[5].

---

(1) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbet edh -Dharih, Liber Annuus, VLIII, Jerusalem, 1993, pp. 486-489.
Al -Muheisen, Z. and Villeneuve, F., Jordanie: Dharih, Le Monde de la Bible, No. 89, Paris, 1994, pp. 41-45.

(2) Villeneuve, F., and Al -Muheisen, Z., Fouilles à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987: Un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier -IVème siècles ap. J. -C.), Comptes -readus de I'Académie des Inscriptions et Belles -Lettres, Paris, 1988, pp. 458-479.

(3) Parr, p., Excavations at Petra, 1958, PEQ, 1960, pp. 125-126.

(4) Murray, M.A., and Ellis, J.C., Op. Cit. 1940, p. 12.

(5) Negev, A., Op. Cit, 1971, P. 118.

الصناعات الأخرى:

اشتهر الأنباط بصناعة ونحت التماثيل المختلفة، من الحجارة الرخامية والجيرية والرملية والبازلتية، وصنعوا منها كذلك أدوات الهرس والطحن والمدقات والأجران[1]، وقد ارتبط بعض من هذه الفنون بالتقاليد والمعتقدات الدينية، كالتماثيل المنحوته من الحجارة أو المشكله بالجص، وخاصة منحوتات الآلهة مثل اللات والعزى التي وجدت في المعابد النبطية[2]، وتم العثور في معبد الأسود المجنحة في البتراء، على كسر تماثيل للآلهة، وعثر على مصابيح مصنوعة من البرونز، وربما وضعت بعض هذه التماثيل والقطع كنذر داخل المعبد، مثل تمثال أوزريس أو بعض الحجارة الرقيقة، التي حملت شكل وجه إنساني وكانت أصناماً تعبد، كما عثر على مشبك مصنوع من النحاس، وعثر على الأصداف البحرية وطبع الخواتم[3].

واشتهر الأنباط بصناعة الحلي بمختلف أنواعها، واستخدموا انواعاً مختلفة من المعدن والعاج والعظام، وأنتجوا الأساور والخواتم[4]، كما صنعوا الحلي والقلائد من الأحجار الكريمة والأصداف[5]، واشتهروا كذلك بصناعة الأدوات المختلفة من الزجاج ومنها أدوات الطعام والقوارير والكؤوس وقطع الفسيفساء[6]، والخرز المختلف الألوان والأحجام كما صنعوا بعض المنحوتات الصغيرة

(1) Horsfield, G. and A., Sela -Petra, the Rock of Edom and Nabatene, QDAP, VII (1938), pp. 1-42., VIII, 1983, pp. 87-115; IX, 1941, pp. 105-204.
Murray, M.A., and Ellis, J.C., OP. Cit. 1940, p. 15.
Hammond, P.C., American Expedition to Petra. A Preliminary Report, 1988, Season, ADAJ, 32 (1988), P. 189.
(2) Glueck, N., OP. Cit. 1965, PP. 211-245.
(3) Hammond, P.C., the Excavations at Petra, 1974: Cultural Aspects of Nabataean Architecture, Religion, Art and Influence, SHAJ, I, 1982, P. 234
(4) Murray, M.A., and Ellis, J.C., OP. Cit. 1940, pp. 14-15.
(5) Horsfield, G., et. al, OP. Cit. 1941, P. 115.
Hammond, P.C., OP. Cit. 1988, P. 189.
(6) Hammond, P.C., Excavations at Petra in 1959, BASOR, 1959, 1960, P. 30.
Hammond, P.C., OP. Cit. 1988, PP. 189-194.

(Figurines) من الطين، على شكل الإنسان والحيوان كالأسد والقرد والحصان والجمل[1].

وعرفت عنهم أيضاً صناعة الأنابيب الفخارية المتقنة الصنع، واستعملوها إما لتمديد شبكات المياه الصالحة للشرب، وإما لتصريف المياه من المباني المختلفة، كما صنعوا بعض أنابيب المياه من مادة الرصاص، وظهر ذلك في معبد قصر البنت، كما عرف عنهم تصنيع وصب التماثيل من مادة الحديد والبرونز، والمسامير المختلفة والمشابك.

---

(1) Horsfield, G., et. al, OP. Cit. 1941, P. 114, 124, 198, 199.
Hammond, P.C., OP. Cit. 1988, PP. 189-194.

المواقع النبطية

البتراء العاصمة Petra the capital

تقع البتراء في المناطق الجنوبية من الأردن (خارطة رقم 1)، على بعد حوالي 250كيلو متر جنوب العاصمة عمان، وتبعد حوالي 130 كيلو متر شمال العقبة، ويستطيع المسافر الى مدينة البتراء الوصول إليها عن طريق مجموعة من الطرق المعبدة كالشوبك وادي موسى البتراء، أو طريق معان اذرح وادي موسى، أو معان البسطة وادي موسى، أو معان الطيبة وادي موسى، وكل هذه الطرق تؤدي الى بلدة وادي موسى ومن ثم الى البتراء.

بقيت البتراء طي الكتمان منذ ان زارها السلطان بيبرس، في ما بين الأعوام 1260 ميلادي الى 1277 ميلادي. وتحدث العالم النويري عن زيارة بيبرس للبتراء، وأعطى بعض المعلومات المهمة عن البتراء، ووصف بعض مناطقها المختلفة، ولم يستطع النويري ان يذكر اسم البتراء بل سماها بجبل بدر.

أعيد اكتشاف البتراء في عام 1812 من قبل الرحالة السويسري بيركهارت (John L. Burckhardt)، وتعرف على آثار المدينة القديمة، وأرجعها الى الفترة النبطية. ومن الباحثين اللاحقين ايربي ومانغليس (Irby & Mangles) اللذين زارا البتراء سنة 1818. وفي عام 1839 زارها الرسام (David Roberts) عندما كان يقوم برحلاته في مصر والأراضي المقدسة، وقام برسم لوحات دقيقة للبتراء.

إن أول من قام بتسجيل ونشر الواجهات المعمارية في البتراء، كانا برونوف وفون دوماسيفسكي (Brunnow and Domaszewski) عندما زارا الموقع سنة 1898. فقد قاما بتسجيل حوالي "850" واجهة منحوته، والعديد من النقوش، ووضعوا نظام ترقيم للقبور يعتمد على مواقعها، ولا يزال هذا النظام مستعملاً حتى اليوم. وقد ضم بحثهم صوراً ورسومات للواجهات ،إلا أنها لا تحتوي على الزخارف الدقيقة، ما عدا زخارف الخزنة، كما ان هذه الواجهات لم تحتوي على مقاييس لأبعادها. إلى أن جاء موزيل (Musil) واعد رسومات أخرى. وبعده قام دالمان (Dalman) برسم ونشر الواجهات المعمارية للخزنة، وسجل بقية الواجهات.

وبالإضافة الى هؤلاء دوّن باخمان وويغاند (Wiegand and Bachmann) المباني المبنية من الحجر، وخاصة تلك التي تقع بالقرب من شارع الأعمدة، كما قام الباحث كول (Kohl) بنشر معلومات عن معبد قصر البنت، وفيما بعد الباحث رايت (Wright)، الذي قام أيضاً بنشر المعلومات عن ساحة المعبد.

بدأت الحفريات في البتراء سنة 1929، عندما قام جورج هورسفيلد وزوجته (George and Agnes Horsfield)، بالتنقيب في منطقة الكاتوته. وبين سنة 1934 - 1936، قام اللبرايت (Albright) بعدة حفريات، منها في منطقة الخزنة، وقبر الجره، وقبر الجندي الروماني. وقام بار (Peter Parr) في سنة 1954، بالإشراف على أعمال الترميم في مركز المدينة. تبعه هموند (Hammond) في السنة التالية، والذي تتركز تنقيباته في منطقة المدرج، ومنطقة معبد الأسود المجنحة، الذي ما تزال التنقيبات الأثرية مستمرة فيه حتى اليوم.

كما قامت دائرة الآثار العامة منذ تأسيسها، بعمل الحفريات وأعمال الصيانة للبتراء، بإشراف فوزي زيادين. وقام زيدون المحيسن بعمل دراسات لهندسة الري، والزراعة النبطية في البتراء، وفي المواقع النبطية الأخرى، كما أشرف على عدة حفريات في البتراء ووادي موسى. وقامت دومنيك تارييه بمجموعة دراسات عن البتراء، وخاصة ما يتعلق منها بالمضافات النبطية والديانة النبطية. وتقوم في الوقت الحاضر بعض المؤسسات الفرنسية، والألمانية، والأمريكية، والسويسرية، ببعض الدراسات والتنقيبات الأثرية.

كانت البتراء أكثر من مجرد مدينة للقوافل التجارية، فقد كانت أيضاً مركزاً لمنطقة زراعية وقد عمل الأنباط على إستغلال الأراضي في هذه المنطقة من أجل تلبية الإحتياجات المتزايدة للسكان[1].

بالنسبة لسيطرة الأنباط على البيئة، تظهر من خلال سيطرتهم على المياه والزراعة، فقد كان الأنباط بارعين في الزراعة، وقد واجهوا حالتين والتي كان من الممكن ان تعطل إي عملية زراعية وإنتاج، وذلك لأن معظم الأراضي المتوفرة

---

(1) Clueck, N., Rivers in the Desert, New York, 1959, p. 19.

كانت غير صالحة للزراعة، وكذلك قلة الأمطار، ومن الصحيح انه في البداية كانت عمليات الزراعة والفلاحة قليلة، ولكنهم عملوا على تطويرها وتقدمها، وأصبحت من أهم النشاطات من أجل الحصول على طعامهم، وهذا يمثل أهمية الزراعة بالنسبة لوجود الأنباط، وهنا نجد ان الأنباط قد سيطروا على البيئة وحاولوا الإستفادة منها، حيث عملوا على حفر القنوات والسدود وخزانات المياه، من أجل الحفاظ على المياه القليلة وإيصالها الى وسط المدينة، وايضاً تزويد القوافل التجارية بالمياه. وقام الأنباط بالسيطرة على الأراضي الصحراوية، وعملوا على تزويدها بالمياه، وتحويلها الى أراضي زراعية من أجل تأمين الغذاء للسكان.

ان المهندس والمعماري والنحات في البتراء وفي مدائن صالح، قاموا بالبناء في الصخر القاسي، وحاولوا التكيف مع البيئة المحيطة وقد نجحوا في ذلك[1].

والناظر الى مدينة البتراء، يستطيع رؤية الأعمال الفنية المميزة التي قام بها الفنان النبطي، فهناك العديد من المباني المنحوتة في الصخر، وهناك ايضاً القبور التي يظهر عليها التأثير الآشوري والمصري واليوناني.

واستطاع الأنباط التغلب على البيئة الجغرافية، أثناء تخطيطهم لمدينتهم وبنائها، وحاولوا ان يتأقلموا معها وبرعوا في ذلك، وتميزت عاصمتهم بعمارتها ونحتها وفنونها، التي نافست فيها جميع المدن والعواصم القديمة.

استخدم الأنباط نمطين في البناء في مدينة البتراء، النمط الأول تمثل باستعمال الحجارة المشذبة وبينها الملاط، كالموجود في معبد الأسود المجنحة ومعبد قصر البنت[2]، وقد بنى المعماريون أعمدة هذه المباني من قطع إسطوانية حجرية[3]، كما استخدموا تقنيات مختلفة في البناء، منها طريقة وضع الأخشاب بين مداميك الحجارة في معبد قصر البنت[4].

---

(1) Ibid, p. 195.
(2) Wright, G.R.H., Structure of the Qasr Bint Fara'un. A Preliminary Review, PEQ, 93, 1961a, p. 22.
(3) Browning, I., Petra, London 1982, p. 56.
(4) Wright, G., Op. Cit. 1961a, pp. 22-24.

أما النمط الآخر والمتميز في أبنية الأنباط، فهو الذي استخدمت فيه الأساليب والتقنيات لإنشاء المباني المنحوتة في الصخر الطبيعي، فقد طور الأنباط هذه الأساليب والمهارات الى أرقى المستويات، فكانوا يبدأون العمل بتسوية سطح الصخرة التي تم اختيارها لتصبح واجهة معمارية، ثم يقومون بالنحت من الأعلى الى الأسفل مستغلين ألوان الصخر الطبيعية[1] ومما يساعدنا على فهم طرق نحت الواجهات والغرف، هو دراسة واجهة "القبر غير كامل البناء" (Unfinished Tomb) الذي لم يتم فيه سوى نحت القسم العلوي من الواجهة الصخرية[2]، وهناك خطوط عاموديه مستقيمة على واجهة "الخزنة"، مكونة من مربعات صغيرة ربما استعملت من أجل تثبيت الرافعات الى أعلى وأسفل الواجهة اثناء عملية النحت.

إن موقع مدينة البتراء الجغرافي، جاء ليسيطر على الطرق التجارية الهامة، القادمة من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال (سوريا)، أو الإتجاه الغربي (غزة) وشواطئ البحر الأبيض المتوسط (خارطة رقم 2)، ولعل هذه ميزة هامة اقتضتها الطبيعة الجغرافية، أما الناحية الإستراتجية فإن الموانع الصخرية زودت الموقع بهذه الصفة، لهذا نجد أنه من الصعب دخول مدينة البتراء، وحتى لو كان ذلك سيراً على الأقدام، ولعل هذه الصفة أو القوة الإستراتجية من أهم العوامل الرئيسية المطلوبة لنشوء المدينة، وبالذات مدينة البتراء التي عاصرت قوى متناحرة ومتحاربة، كالمكابيين والسلوقيين والبطالمة وفيما بعد الرومان. ولهذه الأسباب اختار الأنباط سكن هذا الموقع لميزاته الجغرافية والإستراتيجية والإقتصادية، علماً بأن وادي عربه يقع غرب المدينة ويفصلها عن فلسطين، ولا مدخل للمدينة سوى منطقة السيق[3].

لعبت طبوغرافية المنطقة دوراً هاماً ورئيساً، في شتى الميادين المختلفة في

(1) Hammond, P.C., The Nabataeans -Their History, Culture and Archaeology, Gothenburg, 1973, p. 66.
(2) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 48.
(3) Hammond, P., Op. Cit. 1973, p. 41.

البتراء. حيث تحيط بالمدينة العديد من مواقع الضواحي التي من أهمها المركز الرئيس، وهي بلدة وادي موسى، التي كانت تسمى بجيا، التي اشتهرت بينابيعها الكثيرة التي كانت تزود البتراء بالمياه، وكذلك كانت تزود بساتين الزيتون والعنب والرمان في وادي موسى. وبلدة وادي موسى الحالية مبنية على مجموعات كبيرة من المناطق الأثرية الهامة، التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ مدينة البتراء خاصة، وتاريخ الأنباط بشكل عام، وقد تعرضت معظم آثار هذه البلدة للعبث والدمار بسبب انتشار المدنية الحديثة فوقها، ويمكن للزائر مشاهدة العديد من الجدران، وقنوات المياه، والطواحين المائية في بطن الوادي في البلدة، وهناك الضواحي الأخرى كالسيق البارد، وصبرا، وبراق.

تخطيط المدينة

بدأت البتراء بالنمو تدريجياً، ونتيجة لهذا النمو، بدأت تظهر تطورات حضارية على المدنية، ويظهر ذلك من زيارة الأبنية والمنازل، (مخطط رقم 1) ويلاحظ تأثير طبيعة الأرض على طريقة وأسلوب البناء. راعى الأنباط فصل البيوت السكنية عن المقابر، وكانت بدايات السكن والإستقرار في مركز المدينة، وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد وربما قبل ذلك، ومع تطور المدينة وازدهارها، وبناية الشارع المعمَّد والمباني العامة في المركز، زحفت البيوت السكنية خارج حدود الأسوار واختلطت مع القبور القديمة، ويظهر ذلك في عدة مناطق من المدينة.

ونظراً لتأثر مدن الشرق بالحضارة اليونانية، امتازت البتراء في القرن الأول قبل الميلاد بالمخطط الهلنستي للمدن، وفي هذا التخطيط أهملت الخطوط المستوية، وكسرت محاور الشوارع الرئيسية، باتجاهات تتفق وطبيعة الموقع، ويظهر في البتراء مميزات ميزتها كمدينة ذات تخطيط هلنستي:-

1- يكون الشارع الرئيسي عبارة عن شارع معمد عريض يجري في الإتجاه الطبيعي للموقع، وهذا ما نلاحظه بالنسبة للشارع المعمد في البتراء [الكاردو (Cardo)] حيث يجري باتجاه مجرى وادي موسى.

2- إبراز بعض نقاط التقاطع للشوارع الفرعية بالشارع الرئيسي بمظاهر معمارية

كالأقواس، وهذا الحال نجده متمثلاً في بوابة المدينة (Temenos Gate).

3- تحيط بالشارع المعمد من الجانبين أروقة معمدة، وخلفها الحوانيت والدكاكين، والذي يبدو واضحاً على جانبي الشارع المعمد، وقصر البنت، ومعبد الأسود المجنحة، وسبيل الحوريات.

4- تبليط الشوارع، كتبليط السيق والشارع المعمَّد والإهتمام بتصريف المياه.

5- وجود مركز المدينة متمثلاً في الشارع المعمد، وقصر البنت، ومعبد الأسود المجنحة، وسبيل الحوريات.

اعتبر السيق بوابة المدينة، وكان يوجد فيه بوابة ضخمة يعلوها قوس (قنطرة) وهي مهدمة الآن، تؤدي الى داخل المدينة مروراً بالسيق وحسب طبوغرافية الأرض، حيث رصف السيق (مجرى وادي موسى القديم)، بالبلاطات الحجرية، وعلى جانبيه تتوزع مباني المدينة كالمدرج وشارع الواجهات "منطقة سكنية" ومن ثم الى مركز المدينة والتي تنحصر بين الاسوار الشمالية والجنوبية، وتحصر فيما بينها الشارع المرصوف وبوابة الـ (Temenos) التي تؤدي الى قصر البنت، ومعبد الأسود المجنحة، وسبيل الحوريات، والمعبد الكبير، وأحيط بالشارع الأسواق. ان هذا التوزيع منتظم العناصر نظم بطريقة طبيعية.

تخطيط مركز المدينة:

اتخذ كل من المعبد الكبير، وقصر البنت، والحمامات نفس الاتجاه والمحور، وكذلك المباني على جانبي بوابة الـ(Temenos).

بني الشارع المعمد ما بين 9 قبل الميلاد و76 بعد الميلاد ولكنه لم يتخذ نفس المحور لهذه المباني، بل اتخذ مجرى طبوغرافية الأرض، متمثلة في مجرى وادي موسى بالقرب من الشارع.

بنيت بوابة الـ(Temenos) بعد رصف الشارع، وقد بنيت على تقاطع خطين مختلفين وهما الشارع المعمد والـ (Temenos bench)، وبنيت كل من الأسواق، والمعبد الكبير في جنوب الشارع المعمد بنفس المحور، وتظهر بقايا رصف الشارع

أمام المدرج وعلى طول السيق، وعندما تم حفر المدرج وذلك في انسب المواقع طبوغرافية، تم التعدي على بعض المقابر القديمة، تكرر نفس الوضع في وادي الخبثة حيث أقيمت المساكن الأحدث فوق المقابر الأقدم عندما اتسعت المدينة.

تعتبر المحكمة (Urn Tomb) أقدم من المقبرة الكورنثية، وهما تتخذان نفس محور الشارع المعمد، والمقبرة القصر (Palace Tomb)، التي تأتي في نهاية صف هذه المقابر الملكية، ويظهر لنا في هذه المقبرة كيف أن الجزء الأكبر من الواجهة محفور، وقد أكمل الجزء الآخر بالبناء لتحقيق عامل التناظر والتماثل، والتي اعتمدت عليه العمارة النبطية، ولم تكن المقابر الملكية خارج مركز المدينة "خارج الاسوار" وإنما كانت داخلها أو على حافتها.

أسوار المدينة والأبراج

تحيط الجبال بالبتراء من ناحيتي الغرب والشرق، فجبال الحبيس تحيطها من الغرب بينما تحيط بها جبال الخبثة من الشرق، وأحاطت بها الأسوار من الشمال والجنوب. وتتكون الأسوار الشمالية من سورين السور الأول يمتد من قبر القصر (Palace Tomb) باتجاه الشمال، ويعود تاريخه الى القرنين الثالث والرابع الميلاديين، والسور الداخلي يمتد من الـ(Palace Tomb) في اتجاه شمالي - غربي عبر وادي المطاحة، ويصل الى أعلى نقطة له في قبر جميعان، حيث ينحدر باتجاه مركز المدنية مطلاً على وادي أبو عليقة.

بنى الأنباط السور الخارجي وهو الأقدم، ويتجه من قبر سكتيوس فلورنتينوس (Sextius Florentinus) باتجاه مُغْر النصارى، ويظهر اتجاه الجدار للشرق، وتم العثور على أساسات حجرية ربما ترجع الى أبراج مراقبة كانت مبنية على طول السور الشمالي، بينما السور الجنوبي يمتد من جبال الحبيس غرباً عبر الخطوط حتى تصل غرب المدرج[1].

ادعى اللبرايت ان المكان المستدير (برج) هو معبد مكشوف مثله مثل

---

(1) Mckenzie, J., The Architecture of Petra, New York, 1990, p. 109.

المذبح، وان استدارته كانت لتسمح للمتعبدين الطواف حول المكان، وإما الأدوات الفخارية فهي تقادم وضعها الحجاج والمتعبدون، ولكن بيتر بار برهن بما لا يدع مجالا للشك، ان هذا البناء المستدير هو احد أبراج المدينة، الذي أنشأ في هذا المكان لمراقبة الطريق الشمالية، وانه لا علاقة له مطلقاً بالمذبح، وان الأدوات الفخارية التي وجدت فيه إنما وضعت هناك لأن المكان استعمل للدفن بعد ان أهمل.

يبلغ قطر هذا البرج 25متراً، وقد بني بحجارة غنية حول صخرة مربعة الشكل مما يزيد في مناعته، ومثل هذه الأبراج المستديرة كثيرة في العصر الهلنستي، وأهمها أبراج نبطية في الضفة الغربية، والأبراج التي في منطقة عمان، والتي يعود معظمها الى العصر الحديدي الثاني.

والواقع ان ما يسمى بالسور النبطي غير واضح المعالم اذ لا يستطيع المرء متابعته في جميع مراحله، كما وانه لا يظهر إلا في بعض المواضع من الجهة الجنوبية، وهذا ما يدعو الى الشك في وجود سور متكامل من العصر النبطي، واغلب الظن ان عدة أبراج كانت تنتصب في المناطق الاستراتيجية لا غير.

أما السور الذي بني في فترة متأخرة، فهو أوضح المعالم في بعض الأماكن، وهو يضم مساحة اصغر من المساحة التي كان يضمها السور النبطي المفترض، مما يدل على تقلص المدينة بعد انتهاء دولة الأنباط. ويمكن رؤية هذا السور يمتد بوضوح من الضريح رقم "765"، ثم يقطع وادي المطاحة الى العرقوب، وقد بني في هذه المنطقة فوق عدة بيوت نبطية، ثم يعود فينحدر نحو البتراء فوق منازل نبطية، مطلا على وادي أبو عليقة. أما من الجهة الجنوبية فيفترض هورسفيلد انه كان يتبع السور النبطي.

البيوت السكنية في البتراء:

هناك نوعان من البيوت:-

أ- بيوت قائمة مستقلة: **(Free -Standing Houses)**

أي أنها لم تكن محفورة في الصخر، حيث عثر في منطقة الشارع المعمد (Colonnade Street) على أول بناء نبطي (Free Standing) يرجع للقرن الثالث قبل

الميلاد، وجدرانه من حجارة الجلمود، والأرضيات من الطين، ثم أصبحت مرصوفة عندما تم رصف الشارع، وتم العثور على بيت يعود للقرن الأول قبل الميلاد، ولكن لم يتم العثور على آثار كاملة، والجدران تعود الى حجرات مستطيلة، مع أرضيات طينية، وعثر في أحدى الزوايا على فرن يعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. واستمر الطابع المعماري البسيط خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، وخلال القرن الأول تحسنت المباني نوعاً ما، فأصبحت الجدران من حجارة كبيرة، ورصفت الأرضيات بالحجارة بدلاً من الطين.

عثر على مبنى يعود للقرن الأول بعد الميلاد، وسماكة الجدران 50سنتمتراً، وبني الجدار الرئيسي في المنزل من حجارة منتظمة يبلغ ارتفاعه 3متر، بينما الحجارة التي بنيت منها الجدران الداخلية للمنزل، والواجهات الداخلية أقل إتقاناً ودقة من الخارجية، ويبدو وجود آثار للقصارة والألوان (الفريسكو) والزخرفة الكلاسيكية ويعود تاريخ هذا المبنى الى عام 25 بعد الميلاد، حيث دلت قطع النقود التي وجدت على أرضيته على تأريخه.

في الجانب الغربي من الخبثة اكتشفت دائرة الآثار العامة بيتاً يعود للقرن الأول بعد الميلاد، والذي بنى فوق مقبرة تعود الى تلك الفترة، وعثر على غرفة أبعادها 2.70×3 متراً، والجدران التي عثر عليها ارتفاعها 0.70 سنتمراً وتتكون من حجارة خشنة مربعة ثبتت بالمونة من الداخل، وغطيت بالقصارة الملونة، لم تكن سماكة الجدران متجانسة، الجدار الشرقي 60 سنتمتراً والشمالي 40 سنتمتراً، ووجد (Shaft Tomb) "قبر ذو مدخل عمودي" تحت أرضية المنزل.

ب- بيوت محفورة في الصخر:

في بعض مناطق البتراء، كانت الحجرات المحفورة في الصخر بيوتاً أكثر منها مدافن، لأن البيوت لم تكن لها واجهات مزخرفة كالمقابر، ولم تحتوي على قبور أو غرف دفن، وهذا النوع من البيوت دافئة شتاء لطيفة صيفاً، وتتواجد هذه البيوت في وادي السيغ الذي يجري في الجانب الشمالي من الحبيس، حيث حفرت البيوت على جانبي الوادي، وعثر في أحد الحجرات على قصارة ملونه (فرسكو)

تشبه رسومات الفريسكو، التي عرفت في مدينة بومبي في ايطاليا التي دمرها بركان فيزوف عام 79 ميلادي. ومن مميزات البيوت المحفورة في الصخر أنها تحتوي على 6 غرف تطل على ساحة مركزية والسقف عبارة عن عقد (Vault) مع بقايا أقواس ملونه، ومقصورة باللونين الأسود والأحمر.

بدايات السكن والإستقرار كانت في مركز المدينة، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ومع تطور المدينة وبناء الشارع المعمد، والمباني العامة في مركز المدينة، ومع اتساع المدينة اضطر الأنباط الى البناء والتوسع على حساب المناطق القديمة، كما في حالة بناء المدرج فوق المدافن القديمة، وكذلك بناء المنازل الموجودة في الجهة الغربية من الخبثة والتي تعود في تاريخها الى القرن الأول الميلادي، بنيت فوق مدافن تعود للقرن الأول قبل الميلاد[1].

واجهات المقابر في البتراء:

اقترح (Domaszewski) في سنة 1904 نظام تسلسل لواجهات القبور، وهو ما يزال يستعمل كأساس لمعظم الدراسات، فقد قام بتصنيف المقابر الى سبع مجموعات، تعتمد على العناصر المعمارية والزخرفية التي زينتها ، ووجد أنها تمثل تسلسلاً زمنياً يعتمد فيه على تطور العناصر المعمارية، والتي تمثلت بازدياد في العناصر "الكلاسيكية" وبالموقع الطوبغرافي للمقابر[2]، وفيما بعد قام كل من دالمان (Dalman) وكنيدي (Kennedy)[3]، وبراوننغ (Browning)[4] بتصنيف الواجهات ووضعها في تسلسل زمني، وقد جاءت دراساتهم قريبة من الأسس التي اعتمدها نظام (Domaszewski)[5].

تعتبر منطقة مدائن صالح من المواقع التي ساعدت على دراسة وتأريخ

(1) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, pp. 105-107.
(2) Ibid, p.2.
(3) Kennedy, A., Petra Its History and Monuments, London, 19525, pp. 38-101.
(4) Browning, I., Op. Cit. 1982, pp. 79-99.
(5) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, p. 9.

الواجهات الصخرية في البتراء. وهي موقع نبطي وجدت فيه مباني قبور كثيرة، الشبه بمباني البتراء، وأول من قام بدراستها كان (Savignac, Jaussen) والجدير بالذكر ان معظم هذه المباني وجدت عليها نقوش تبين سنة العمل بها، وأحياناً اسم الحِرفي الذي قام بحفرها واسم أبيه، وبينت هذه النقوش ان معظم أنواع القبور، التي صنفها (Domaszewski) جاءت معاصرة لبعضها، وقد أثبتت (Mckenzie) ان التسلسل الزمني مثل تبسيط العناصر الزخرفية، وبازدياد عرضها، وانخفاض ارتفاعها[1]، كما وجدت ماكنزي ان الإختلافات ضمن كل صنف هي نتيجة وجود مدرستين لنحت الواجهات، لهما خصائص معينه من حيث معالجة العناصر المعمارية والزخرفية، بالإضافة الى خصائص تميز بها الحرفي نفسه. وقد اعتمدت في نتائجها على نقوش المقابر في مدائن صالح[2]، وقد وضعت ماكنزي واجهات مباني البتراء ذات العناصر الكلاسيكية في ست مجموعات، بعد دراستها، وأرخت هذه المجموعات معتمدة على مبنى مؤرخ داخل كل مجموعة، ووضعت المباني في تسلسل زمني داخل كل مجموعة[3].

أنماط الواجهات وأصولها الفنية:

تعكس العمارة خصائص العصر الحضارية والروحية التي أنتجها، وقد عرف الأنباط عدة أسس معمارية في أبنيتهم، وتأثروا بالحضارات المختلفة، واقتبسوا منها أشكال وعناصر مختلفة، وأضافوا عليها، ووضعوها في أبنيتهم، ويمكن تصنيف الواجهات الى الفئات التالية[4]:

1- الواجهات ذات الخطوط المستقيمة:

يتمثل هذا النوع بوجود العناصر المعمارية فوق البوابات المنحوتة في الصخر،

(1) Mckenzie, J., The Dating of the Principal Monuments at Petra: A new Approach, SHAJ, III, 1987, pp. 295-305.
(2) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, pp. 14-25.
(3) Ibid, pp. 33-53.
(4) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 79.

حيث تشكل هذه البوابات الواجهات، دون وجود عناصر أخرى كالأعمدة والكرانيش وغيرها، فنجد أحياناً خط واحد محفور فوق بوابة القبر، أو نجد خطين يعلوهما شكل المثلث (Pediment)، ومن الأمثلة على ذلك قبر يقع بالقرب من "قبر الأسود"[1]، تبين الواجهة أيضاً تزيين الصخر بخطوط مائلة منحرفة على زاوية تبلغ 45 درجة، ويمثل ذلك احدى ميزات زخارف المباني النبطية[2].

إقترح كنيدي (Kennedy) ان هذا النوع من واجهات القبور، ربما يعود الى تأثير مصري، اذ وجد نماذج مماثلة من بوابات مغلقة تزين قبر خوفو - عنخ في مصر[3].

2- الواجهات ذات التأثير الأشوري أو الآشورية:

قام براوننغ (Browning) بوضع هذا النوع من الواجهات في مرحلتين، تحمل واجهات المرحلة الأولى إطاراً من زخرفه خطوة الغراب، في حين ان المرحلة الثانية تمثلت بوجود إطارين من هذه الزخرفة[4].

إن الواجهات التي تحمل زخرفة خطوة الغراب، تعود الى التأثر بمباني بلاد ما بين النهرين المبنية من الآجر، حيث وضع المعماري النبطي هذا التأثير على الصخر المحفور[5]، ونجد انه في البتراء أصبح يتألف كل إطار زخرفي، من وحدات حجلونية معكوسة (أو من أنصاف وحده كامله)، وينتهي الإطار على جانبيه بنصف وحده[6]. وقد اختلفت عدد الوحدات باختلاف عرض الواجهة، واحتوت كل منها على أربع خطوات، بينما كانت النماذج الآشورية تتألف من ثلاث خطوات[7]، ومن الأمثلة الآشورية التي تظهر فيها هذه الزخرفة، جزء من لوحة لمشهد صيد آشور

---

(1) Ibid, p. 80.
(2) Ibid, p. 81.
(3) Kennedy, A., Op. Cit. 1925, p. 42.
(4) Browning, I., Op. Cit. 1982. p. 79.
(5) Ibid, p. 82.
(6) Kennedy, A., Op. Cit. 1925,p.46.
(7) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 82.

بانبيال للأسود في قصر نينوى، بالإضافة الى نماذج واجهات المنازل[1].

الواجهات ذات الإطار من زخارف خطوة الغراب، تتميز بوجود خط زخرفي بارز (Tenia) أسفل الخطوات، وأحياناً تميزت بإضافة مدماك بارز قليلاً عن السطح ليعطي صلابةً أكثر للتشكيله، وقد تم إضافة ظواهر كلاسيكية، كوضع إطار للبوابة مكون من عامودين وإفريز[2].

تطور من هذا التصميم أشكال الواجهات، التي تتميز بوجود إطارين من زخرفه خطوة الغراب بينهما مساحة "عُليّه" (Attic)، ويظهر الخط البارز (Tenia)، أسفل الإطار الأول وأعلى الإطار الثاني، ويشير براوننغ الى أن هذه التشكيلة تمثل تطور زمني عن النوع الأول[3].

3- الواجهات ذات الحلية الربع الدائرية (الكرنيشة الدائرية (**Cavetto Cornice**):

تميزت هذه الواجهات بإضافة كرنيشة دائرية، مع إبقاء زخرفة خطوة الغراب، إلا أنها استبدلت هنا بوحدة معكوسة وتمتد على عرض الواجهة، وهذه الكرنيشة هي نتيجة التأثير المصري، اذ كانت ظاهرة في العمارة المصرية لمئات السنين، ووجدت ايضاً في العمارة الفارسية خلال هذه الفترة، وقد تكون وصلت الى الأنباط عن طريق الفرس[4]، إلاّ أن المعماريين الأنباط ابقوا الأثر الآشوري - المتميز بخطوة الغراب - ولكنهم طوروه، بحيث أصبح يتناسب مع هذه الكرنيشة الدائرية[5]، وبقيت الزخرفة البارزة (Tenia)، وأعيد استعمال المدماك البارز تحت الكرنيشة[6].

---

(1) Kennedy, A., Op. Cit. 1925, p. 45.
(2) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 82.
(3) Ibid, pp. 82-83.
(4) Ibid, p. 83.
(5) Kennedy, A., Op. Cit. 1925, p. 47.
(6) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 84.

تم إضافة أعمدة على هذه الواجهات في بعض الأحيان، وجاءت على جانبي المبنى، بحيث بدت وكأنها تحمل الجزء العلوي، وهنا تظهر الأعمدة ذات "التيجان النبطية" المتميزة، كما تظهر البوابات "الكلاسيكية النبطية".

4- الواجهات ذات الكرنيشة المزدوجة:

من خصائص هذا النمط، هو إضافة كرنيشة أخرى أسفل الكرنيشة الدائرية، وبينهما مسافة، وهنا أصبحت تيجان الأعمدة توضع فوق وسادتين (Cushions)، وأضيفت احياناً قاعدة للواجهة أو تاجا أعلى الزخرفة، وهذه الزخرفة فريدة من نوعها في البتراء، اذ تحتوي على إطار من زخرفة خطوة الغراب في أعلى الواجهة، بالإضافة الى الكرنيشة المزدوجة، حيث ان الأولى منهما ذات طراز مصري، كما تتضمن أيضاً الأعمدة ذات التيجان النبطية الطراز والبوابة الهلنستية التأثير، فنجد هنا مزج لعدة عوامل وتأثيرات حضارية ضمن الواجهة، أعطت طابعاً نبطياً جديداً.

أدى نمط الكرنيشة المزدوجة، الى ظهور أربع تيجان أعمدة، نبطية الطراز، تزين المساحة بين الكرنيشتين، وكذلك أدت الى زيادة عدد الأعمدة الى أربعة، لتصبح الواجهة أكثر توازناً[1].

5- واجهات أخرى ذات عناصر شرقية:

تتميز واجهة "قبر المسلات" بوجود أشكال المسلات التي كانت تزين القبور المصرية، وهي تدل على التأثير المصري على مدافن البتراء، وهناك أيضاً المقابر التي تتميز بوجود الأقواس النصف الدائرية، كزخرفة أساسية في الواجهة، كالموجودة على أحد القبور قرب المدرج، وكذلك على واجهات قبور أخرى[2].

(1) Ibid, p. 87.
(2) Kennedy, A., Op. Cit. 1925, p. 45.

6- الواجهات ذات الطابع الكلاسيكي:

لقد صنف (Browning) هذه الواجهات بأنها "نبطية كلاسيكية"[1]، ومن ضمنها "الخزنة"، و"القبر الكورنثي"، و"مضافة باب السيق"، و"الدير"، و"قبر سكتيوس فلورنتينوس"، وغيرها ذات العناصر المعمارية الكلاسيكية التي لا تخلو من الطابع المحلي.

المعالم الرئيسية في البتراء

1- الرملة: er-Ramlah

وهي المنطقة التي تقع قرب مدخل البتراء وأقيمت فوقها مجموعة من الفنادق السياحية، وتتكون من صخور رملية مائلة الى الاصفرار، قليلة الارتفاع يحيط بها وادي موسى ووادي المظلم من الغرب ويفصلها شعب قيس عن قلعة الوعيره من الشرق، ويوجد فيها بركة مياه الرملة الرئيسية التي كانت تزود مدينة البتراء بالمياه القادمة من عيون وادي موسى (صورة رقم 3)، أضافة الى وجود مصنع وفرن للفخار النبطي[2].

أول أثر نبطي يكتشفه السائح، هو قبر يقع بجانب الاستراحة السياحية، له واجهة منحوتة من الصخور، تنتهي بمسننات على شكل سلمين متقابلين، ولا تزال الكورنيشه المصرية التي تزين الواجهة تحت المسننات في مكانها، أما البوابة فمزينة بدعامتين فوقهما عتبة وكرنيشة بسيطة، وفي الداخل حفرت على الواجهة الجنوبية ستة خزائن (معازب) لدفن الأموات، ثلاثة خزائن في الواجهة المقابلة للباب. كانت تمتد أمام هذا القبر ساحة مستطيلة، وعلى جانبيها الشمالي والجنوبي رواقان منحوتان في الصخر، ويزين كل رواق عمودان من الطراز الدوري وعضادتان

---

(1) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 90-97.

(2) Al -Muheisen, Z., Techniques Hydrauliques dans le sud de La Jordanie, en particulier à l'époque nabatéenne, Thése de Doctorat, Paris I -Pantneon -Sorbonne, 1986, pp. 24-31.

المحيسن، زيدون، هندسة المياه والري عند الانباط العرب، عمان، 2002، ص37 -40

مربعتا الشكل، ومن الجهة الشرقية كان هناك جدار بني من الحجارة المنحوتة، وله باب يحرسه أسدان، كما تشير إلى تلك تقارير القدماء، ولم يبقى من الأسدين سوى كتلة من الصخر لا تزال أمام باب الاستراحة.

-2 مقابر الأبراج (الصهاريج): **Djin Blocks**

تتحدر الطريق نحو البتراء محاذية لوادي موسى، ويصل الزائر بعد قليل الى ثلاثة أبراج قد أنعزلت تماماً عن الصخور المجاورة لها، وهذه المقابر تسمى مقابر الصهاريج (صهريج) أو مقابر الأبراج، وأول قبر (رقم 7) مزين في أعلاه من المسننات، ولا بد أن افريزاً آخر كان يزين قمة البرج، وكان من الحجارة المنقولة لم يبقى له أثر، ويلاحظ المرء قناتان للمياه محفورتان في الصخر كانتا تنقلان المياه من بركة الرملة الى داخل البتراء، أما البرج الثاني (رقم 8) فليس عليه أي نوع من الزخرفة، ولكنه ينتهي بقاعدة مربعة الشكل، وأغلب الظن أن هذه القاعدة كانت تحمل مسلة على شاكلة القبر رقم (25) والبرج الثالث (رقم 9) هو أكثر زخرفاً من الآخرين، فقد كان يرتفع على قاعدة بثلاث درجات تزينه على جوانبه الأربعة العضادات والأعمدة الملتصقة، ولا بد أنه كان ينتهي على شاكلة قبر الاستراحة الذي وصفناه، أي أن المسننات كانت مقلدة وتحتها الكورنيشه المصرية، والجدير بالذكر انه لا يوجد حجرة دفن على إي جانب من الجوانب الأربعة، ولكن اذ صعد المرء على الصخور المجاورة المطلة على سطح هذا القبر، ظهر له أن قبراً مستطيلاً قد حفر في السطح وهذه الظاهرة فريدة من نوعها في البتراء.

-3 قبر الحيتين: Two snakes tomb

على بعد خمسين مترا من الأبراج الثلاثة باتجاه السيق، يلاحظ الزائر على ضفة الوادي الجنوبية، ممراً ضيقاً منحوتاً في الصخر، يرتفع قليلا من مجرى السيل ويبلغ عرضه المتر تقريباً، ويمتد على طول ستة أمتار وعلى يمين الداخل، تبرز في الصخر مسلتان ذات شكل هرمي، ويلاحظ ان حلقتان قد أعدتا عند رأس المسلة الأولى، كان يعلق فيهما على اغلب الظن قناع من القماش ليغطي المسلة، وهذا

النصب الهرمي يجسد الميت في اعتقاد الأنباط، كما سوف نرى ذلك عما قليل (راجع قبر المسلات الأربع). عندما يلج المرء من الباب الضيق يجد نفسه في بهو مستطيل يفتح على الخارج، ومن الأصل كان هذا البهو قبراً عمودياً مغلقاً بحجارة مستطيلة، وأضيفت إليه فيما بعد حجرة للدفن لها باب ضيق، وعند دخول الباب الثاني يجد الزائر نفسه في غرفة مستطيلة (2×5.50 م) ليس فيها خزائن للدفن ولكن في أرضيتها حفرة لا يظهر منها سوى طرفها، وعلى الواجهة الغربية يبرز نحت يقسم الى لوحتين مختلفتين، فإلى اليمين حيتان ملتويتان وبينهما حيوان صغير، وقد جذبت الحية اليمنى ساقه الخلفية، وإلى اليسار يبرز حصان يحمل على ظهره نصباً مستطيلاً ويتجه نحو الحيتين ولم يصور الفنان حوافر الحصان.

إن تأويل هذا النحت ليس بالسهل، اذ ليس لدينا ما يماثله بين المنحوتات النبطية، أو حتى بين الآثار الشرقية القديمة، ولا شك انه يحتوي على رموز يصعب حلها، فمن المعروف ان الحية هي بمثابة حارس على القبر، مهمتها ردع العابثين والسارقين، ولعل الحيوان الذي بين الحيتين هو ثعلب أو ما يشابهه، وقد أريد بوجوده بين الحيتين أبعاده عن نبش القبر، أما بالنسبة للفرس التي تحمل النصب فيمكن تأويلها بالميت، (على شاكلة حجر مستطيل) وهو يقوم برحلته نحو عالم الأموات.

ويلاحظ على الخزنة مثلاً جوادان يقودها اللذان يقومان بحمل الأموات الى الجنة حسب الميثولوجيا اليونانية.

إن ما يلفت الانتباه في هذا القبر، هو التحول الذي طرأ على مخططه، فتحول من قبر عمودي الى حجرة دفن، ومثل هذا التطور كثير في البتراء.

4- قبر المسلات الأربع والتريكلينيوم: **Obelisk Tombs and the Triclinium**

هو أعظم الواجهات الصخرية التي ترتفع على ضفة الوادي الجنوبية (صورة رقم 4)، وفوق واجهته العديد من الزخارف المعمارية، والبناء مكون من طابقين، يوجد القبر في الطابق العلوي، الذي ترتفع فوقه أربع مسلات شرقية، يبلغ علو إحداها سبعة أمتار (أقصى اليسار)، بينما يبلغ ارتفاع الواجهة نفسها 11 متراً،

ويبلغ ارتفاع واجهة قبر المسلات مع المضافة حوالي 28 متراً. والمسلات منفصلة تماماً عن الواجهة الصخرية الخلفية، وبين المسلتين المتوسطتين يوجد محراب مزين بالأعمدة، وفوقها افريزين دوريين، نحت داخل هذا المحراب تمثال بارز لرجل ملتفع برداء يوناني، وقد رفع يده اليمنى نحو صدره، وأسبلت اليد اليسرى على جنبيه، أما ملامح الوجه فقد تعرضت للتهشيم والتشويه.

نحت باب حجرة الدفن وزين جانباه بدعامتين فوقهما إفريز دوري، إما الغرفة فهي مستطيلة وفيها أربع خزائن للدفن - اثنتان على كل جانب - وحنية في الصدر فيكون مجموعة القبور خمسة.

ويبدو ان الشخص المدفون في صدر المدفن هو صاحب المكان ويمكن ان يكون النصب الذي يتوسط المسلات تمثالاً له.

وهذا المزج بين الحضارات المختلفة هو من طبيعة الفن النبطي جمع بين عناصر عربية وشرقية وغربية في آن واحد.

أما التريكلينيوم في الطابق السفلي، فهو قاعة تمتد على ثلاثة من جوانبها مصاطب مرتفعة قليلا عن ارض الحجرة، وقد كان يتكأ على هذه المصاطب المدعون لتناول الطعام على الطريقة اليونانية والرومانية، ولكن هذه الحجرة هي في نفس الوقت قبر، إذ أن في صدرها خزانتان ترتفعان حوالي مترين من المصطبة. لقد كان الأنباط يقيمون حفلات الطعام بعد الدفن، كما نفعل هذا اليوم، أو بعد أربعين يوماً كما جرت العادة عند اليهود، ولذلك تكثر قاعات الطعام بين المقابر.

تقسم واجهة التريكلينيوم الى طابقين: الأول مزين بستة أعمدة ذات تيجان نبطية، وفوقها إفريز، ثم مثلث يرتفع فوق الباب على شكل قوس، أما الطابق العلوي فتزينه الدعامات الصغيرة، وفوقها مثلث مكسور يتفرع عن محراب فوق الباب.

وقد حاول الفنان في هذه الواجهة، تحاشي الرتابة بإيجاد مناطق بارزة وأخرى مجوفة، والجمع بين المثلث المكسور والقوس، ولكنه حشر في هذه الواجهة الصغيرة نسبياً عناصر معمارية كثيرة مما جعلها اقرب الى الفن الباروكي.

اختلف علماء الآثار حول تاريخ هذين القبرين، ومعظمهم يرجح تاريخ القبر الى القرن الثاني قبل الميلاد لما يظهر فيه من التأثير الشرقي القديم، أما التريكلينيوم فيعود للقرن الثاني بعد الميلاد، إلا أن العادة هو أن يبدأ الأنباط بنحت القبر الأسفل قبل القبر العلوي، كما أن الدرج الى قبر المسلات نحت شرقي التريكلينيوم، مما يدل على أن هذا القبر كان موجوداً عندما نحت الدرج، وعلى أي حال فإن الفترة الزمنية لا يمكن أن تكون بعيدة بين القبرين لأن نحت التمثال بين المسلات يدل على تطور حضاري عند الأنباط، وهكذا فإننا نخطي إذا وضعنا هذين القبرين في القرن الأول بعد الميلاد، وهي الفترة التي نرى فيها اندماجاً قوياً بين الفن النبطي والفن اليوناني - الهلنستي. ويؤكد ذلك النقش المنحوت على الصخور المقابلة لهذا المعلم والنقش مكتوب بالنبطية وترجم الى اليونانية يبين تاريخ البناء (40- 70 ميلادي) وهو يشير الى الملك ماليكوس (مالك الثاني) وبين النقش ان هذا المعلم عبارة عن قبر نحته عبد منكو له ولأولاده[1].

5- مضافة (تريكلينيوم) أصلح: Triclinium osloh

في المنطقة الصخرية المواجهة لقبر المسلات، وفوق الأبراج الثلاثة نحتت حجرة في الصخر وعلى جانبها الأيمن عشرة محاريب صغيرة، كانت توضع فيها الأنصاب قديماً، مما يدل على وجود مكان مقدس كما تشير الى ذلك الكتابة، نقشت هذه الكتابة النبطية في صدر الحجرة التي هي في الواقع قاعة طعام (تريكلينيوم) ترتفع على ثلاثة من جوانبها مصطبة صخرية كالتي وصفناها سابقاً، وهذه هيه ترجمة الكتابة:

(هذه هي الحجرات والآبار التي أنشأها أصلح بن أصلح) هذه هي الحجرة التي أنشأها أصلح بن أصلح على شرف ذي الشرى اله مانيكتو (ماليكو) في عهد عبادة ملك الأنباط بن الحارث ملك الأنباط، يظهر أن الناقش أخطا في البداية في

---

(1) Tarrier, D., Les Installations de Banquet à Petra, Thèse de Doctorat, paris I Sorbonne, Volume II; 1982, p. 7.
Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, p. 93 and 155.

كتابة الحجرات والصهاريج في السطر الأول ثم أصلح الخطأ في السطر الثاني.

وتعد هذه الكتابة من أهم ما اكتشف في البتراء لأنها من أقدم الكتابات النبطية، إذ أنها في أغلب الظن تعود في تاريخها الى نهاية حكم الملك الحارث الثاني وبداية حكم الملك عبادة الأول في عام 95/96 قبل الميلاد ، وهذا يعني أن الأنباط استوطنوا هذه المنطقة منذ نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد(1).

وتدل هذه الكتابة على أن الغرفة كانت تقام فيها حفلات دينية، بما أنها تذكر الإله ذو الشرى، ويخبرنا سترابو الجغرافي الروماني المعاصر لاغسطوس قيصر، بأن الأنباط (كانوا يجتمعون بأعداد قليلة (13 شخصاً) للطعام ومعهم مغنيان ويشربون النبيذ و11 كأساً لكل مدعو، ومثل هذه الحفلات الدينية كانت كثيرة عند اليونان، وكانت تقام على شرف الإله ديونيسيوس، ولذلك كانت الخمرة احدى العناصر الرئيسية في الحفلة، ويقول سترابو بأن ملك الأنباط كان له قاعة كبيرة، يجتمع فيها مع ضيوفه ويقوم بنفسه على خدمتهم.

وإلى جانب حجرة أصلح الى اليسار نحت قبر فيه خزائن عديدة للدفن، ولكن واجهته غير مزينه بالزخارف المعمارية، وقد يكون على علاقة بالحجرة المذكورة.

6- باب السيق: Bab es-siq

كان وادي موسى يخترق السيق قديماً، ولكن الأنباط انتبهوا الى الخطر الناجم عن تدفق مياه السيل في وقت الأمطار داخل السيق، مما أدى في عام 1963 إلى غرق 24 سائحاً فرنسياً، وتم تحويل مجرى السيل الى وادي المظلم (صورة رقم 5)، بعد أن فتحوا له نفقاً حفر في الصخر بطول خمسين متراً وارتفاع ستة أمتار، وبنوا سداً عند مدخل السيق، أما الطريق القديمة فقد كانت تجاري ضفة الوادي الشمالية، ثم تقطع السيل على جسر كان قائماً بالقرب من النفق، وأثناء إعادة فتح

---

(1) Dalman, G., Neue Petra-Forshungen, Leipzig, 1912, No 90, RES no, 1432.
Cantineau, Le Nabatéen. I. Paris, 1930.
Tarricer, D., Op. Cit. 1982, pp. 4-5.

النفق عام 1964 اكتشف 12 نصباً بارزاً (مسلات) في الصخر عند موقع الجسر وان هذه الأنصاب حفظت بسبب ركبة الجسر (منطقة ارتكاز الجسر) التي كانت تغطيها وهي في معظمها من القرن الأول بعد الميلاد كما تشير الى ذلك الكتابات النبطية التي على المسلات، وعلى احدى المسلات وجدت كتابة بالغة الأهمية هذه ترجمتها:

(هذا هو نصب بتريوس بن تريتوس - وهو مكرم (بهذا النصب) لأنه من الرقيم - وقد مات في جرش ودفن هناك عمل له (هذا النصب) تسهم سيدة).

يرى من هذه الكتابة ان صاحب المسلة يحمل اسماً يونانياً، وهذا لا يعني انه يوناني، اذ ان الأنباط كانوا كثيراً ما يحملون أسماء أجنبية، ولأول مرة يظهر اسم البتراء السامي القديم في كتابة نبطية وهو (رقمو)، ولكن هذا الاسم كان معروفاً من مؤلفات يوسينوس ويذكر القارئ هنا قصة أهل (الكهف والرقيم) في القرآن الكريم، وقد ذهب بعض العلماء الى ان البتراء كانت موطن أهل الكهف، خاصة وأن فيها كهوف عديدة منحوتة في الصخر، وقد دلت حفريات دائرة الآثار العامة الأردنية في الرجيب على ان هناك كهفاً في موقع الرجيب، ولكن أهم ما في الكتابة هو أن النصب قد أقيم لا على قبر، ولكن أحياء لذكرى بتريوس الذي مات في جرش، وهذا يدلنا على أن المسلات كانت تخلد الميت وتحييي ذكره، وأنها منفصلة تماماً عن القبر الذي هو مقر الجسد الفاني، بينما المسلة هي مقر النفس الخالدة.

ينتصب فوق هذه المسلات قبر مكعب كالأبراج الثلاثة السالفة الذكر، مزين بإفريز من المسننات، وله باب في أسفله يؤدي الى حجرة الدفن، وعلى يسار الداخل الى السيق توجد غرفة صغيرة (3❖3متر) ولها شباك يشبه نافذات السهام في القلاع الصليبية والعربية، وليس بداخله خزانة دفن أو قبر ولا يستبعد ان تكون هذه الحجرة مقر الحراس لحماية مدخل السيق.

7- المدرس: al- Madras

على نحو ثلث ساعة من باب السيق الى الجنوب وبين السيق ووادي حريمية توجد منطقة المدرس (صورة رقم 6)، وهو مكان مقدس، حفرت في صخوره عدة محاريب كانت توضع فيها الأنصاب، وأهم ما في هذا الموقع حجرتان، فيهما كتابات نبطية قرب نصب تحت الواجهة الصخرية، ففي الحجرة الأولى (رقم 40) وجدت كتابة تذكر اسم مدرسا.

أما كلمة مدرس فهي ولا شك إسم المكان الذي مازال متداولا حتى اليوم، والغرفة هي معبد صغير مثل حجرة أصلح التي ذكرناها، وفي الحجرة الثانية (رقم 41) وجدت كتابة غير كاملة، ولكنها مؤرخة من عهد الحارث الرابع في أغلب الظن (9 ق.م - 40م) وفي وادي حريمية معبد آخر مشابه لهذين المعبدين وتكثر فيه الكتابات النبطية[1].

ويعد المدرس من المناطق الزراعية النبطية وقد احتوى الموقع على عدد من التوزيعات المائية[2].

8- السيق: Es- siq

يبلغ طول هذا السيق، الذي يؤدي إلى قلب المدينة، نحو كيلو متر ونصف وعرضه من 3 إلى 12 متر، كانت ترتفع فوق مدخله قنطرة على شكل قوس، ولم تسقط هذه القنطرة إلا في عام 1917، إلى اليمين واليسار حُفر محرابان لوضع التماثيل.

توجد قناتان للماء على الجانب الأيمن والجانب الأيسر للسيق (صورة رقم 7 ورقم 8)، وكانت تجري داخلهما المياه القادمة من بعض العيون في وادي موسى، وقد كان السيق في مجمله مبلطاً بالحجارة، كالطرق القديمة ولا تزال آثار هذا البلاط ظاهرة في بعض الأماكن التي لم يجرفها السيل، ولا توجد مقابر في السيق وإنما تكثر فيه المحاريب وفيها الأنصاب، وأول محراب يراه الزائر على يمينه

---

(1) Tarrier, D., Op. Cit. 1982, pp. 10-19.

(2) المحيسن، زيدون، المرجع السابق، ص63-61

يشاهد فيه عشرة أنصاب الواحد بجنب الآخر، ويوجد محراب آخر تعلوه ستة أعمدة صغيرة نحت تمثال لإله، ولكن معالمه أزيلت، كما وتظهر ثلاثة أنصاب في حنيه مزينة بالأعمدة وبقوس، وتذكرنا باللات والعزة ومناة، ألهات الأنباط التي ذكرت في القرآن الكريم.

وفي منتصف السيق تقريباً كانت هناك كتابة يونانية نحت بالقرب منها تمثال آله يقف على أسدين، وهذه الكتابة نقشها رئيس الحفلات في درعا، الذي قدم مع وفد من مدينة بصرى لزيارة البتراء والاشتراك باحتفالاتها الدينية.

9- الخزنة: al- khazneh (Treasury)

بعد مسيرة طويلة في السيق، تظهر واجهة الخزنة فجأة وقد اشتعلت بلون وردي فاتح، أو وردي محمر حسب ساعات النهار، ولعل هذه الرؤيا المفاجئة، هي أجمل ما تقدمه البتراء للزائر، حتى أن جميع الرحالة والسواح، كانوا يبدون اعجاباً غير متناه بهذا المنظر الرائع، الذي جعل البتراء شهرتها الرومنطيقية. ولا بد من القول أن المهندس الذي نحت هذه الواجهة الصخرية، قد اختار المكان عن قصد، وأنه صرف كل ما في وسعه، لجعل الخزنة تتفوق على الواجهات الأخرى، من ناحية الزخرفة والتناسق الهندسي (صورة رقم 9).

ومع ان مقالات لا تحصى كتبت عن هذا الأثر القديم، إلا ان الغموض لا يزال يكتنفه، إذا لم يستطع العلماء تحديد تأريخه، أو معرفة المدرسة المعمارية التي ينتمي إليها. ولا بد لنا من وصف الخزنة وصفاً كاملاً، لنستطيع التحدث عن المشاكل التي تثيرها من ناحية الهندسة المعمارية، ومن ناحية التاريخ الذي أنشأت فيه.

وصف الخزنة:

يبلغ ارتفاع هذه الواجهة 39.1 متراً وعرضها 25.30، ويبلغ طول الأعمدة في الطابق الأول 12.65 متراً، وفي الطابق الثاني 9 أمتار أما الجرة التي فوق الكشك فيبلغ ارتفاعها 3.50م. تتألف واجهة الخزنة من قسمين: قسم علوي وقسم سفلي (صورة رقم 10)، مع المثلث المكسور والمبنى الدائري، يتكون الجزء السفلي من ست أعمدة، حيث ان العامودين في الوسط منفصلين عن الجدار، وتيجان

الأعمدة من النوع الأول "النباتي"، وهناك بعض الاختلاف بين الأشكال النباتية على التيجان، وتعلو الأعمدة إفريزه مزخرفه بأزواج من الوحوش المجنحة بينها مزهريات، وذيولها عبارة عن جذوع ملتفة ومتشابكة، وعلى جانبي الإفريز وجه يبرز من أوراق نباتية. يعلو الشكل المثلث (Pediment) قرص شمسي بين قرون وسنابل قمح، وهي ترمز الى الآلهة ايزيس (Isis) المصرية، كما نجد في وسط الإفريز وجه يخرج من أوراق الأكانثوس، وقد تم تشويهه، وأعلى جانبي المثلث يقف حيوان مجنح، وتبين هذه الأشكال تأثير الحضارة المصرية من حيث المضمون، كما نجد عند المساحات الجانبية بين الأعمدة قاعدة يعلوها منحوته، وهي عبارة عن شكل آدمي يقف أمام فرس[1]، وكان نحت أشكال الخيول والجمال في الفنون النبطية الجنائزية واضح، وهو من أجل مساعدتها لنقل الميت في رحلته الى ما بعد الحياة[2].

أما لجزء العلوي من الخزنة فهو مكون من ستة أعمدة أمامية وثمانية أعمدة خلفية، وهي ملتصقة بالجدران وتيجانها من النوع الثاني "النباتي"، وفي منتصف الواجهة نجد المبنى الدائري ذا السقف المائل على شكل خيمة، يعلوها تاج عامود وجرّة، أما الإفريزة العليا، فهي مزخرفة بأوراق نباتية مختلفة، وأشكال الرمان، والعنب، والصنوبر، بينها وجوه آدمية، وتعلو الإفريزة على الجوانب شكل المثلث المكسور (Broken -Pediment). بالإضافة الى جميع هذه الزخارف نجد بين الأعمدة الأمامية والخلفية، منحوتات لتماثيل على قواعد، وقد تم تشويهها في فترة لاحقة، وفي منتصف المبنى الدائري (Tholos) يقف تمثال الآلهة (Isis) مع سنابل القمح التي ترمز لها، وهي آلهة الموت المصرية، وعلى جانبها بين الأعمدة نجد تماثيل النصر، كما نجد أعلى المثلثات منحوتات لأشكال طائر النسر[3].

ونجد التناظر في الواجهة إلى حد كبير، من حيث الزخارف المعمارية والهندسية، مع ان المنحوتات على الجوانب ليست مطابقة لبعضها البعض، إلا إنها متناسقة مع بعضها أو مع الواجهة، بحيث جاءت مناسبة للتشكيلة. وقد وصف

---

(1) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, pp. 140-141.
(2) Glueck, N., Deities and Dolphins. The Story of the Nabataeans. New York, 1965, p. 242.
(3) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, p. 141.

دالمان (Dalman) واجهة الخزنة بأنها مكونة من واجهتي معبد، الأمامية والخلفية وضعت فوق بعضها، فإن الطابق السفلي يبين مدخل المعبد، والعلوي يدل على حرم مقدس (Sanctuary). وقد أضاف ان هذه التشكيلة تم تقليدها في مبنى الدير والقبر الكورنثي فقط، وهي ضد التقاليد ولكنها مناسبة للمكان[1].

ظهرت عدة نظريات بالنسبة لأصل الخزنة، وقد حاول عدد كبير من الباحثين إيجاد مبانٍ شبيهة لها، قد تكون مصدر الإلهام لتصميم الخزنة. فقد وجد العديد ان أصلها يعود لمباني الإسكندرية، كمعبد كليو بترا والمكتبة[2]، بينما أشار بابنستشر (Papenstecher) الى وجود المبنى الدائري (Tholos)، في العديد من البيوت الخاصة والقصور، حيث كانت تحيط بها الأروقة المعمدة[3]، وقد وجد ستاركي (Starcky) ان واجهة الخزنة، تعكس الفن المعماري في مدينة الإسكندرية المصرية خلال العصر الهلنستي، وعلى أي حال، فإننا نجد ان هذه الواجهة تمزج التأثيرات الشرقية، والممثلة في الآلهة والحيوانات الخرافية المصرية، والنسر السوري، وشكل الجره الشرقية، مع الأساليب الهلنستية، بالإضافة الى الطابع النبطي في أشكال وزخارف التيجان، والإفريز، وبعض خصائص التماثيل بين العناصر المعمارية الكلاسيكية.

يشبه القسم الأسفل من الخزنة، معبداً من الطراز الكورنثي بستة أعمدة فوق قاعدة قليلة الارتفاع، والأعمدة تنتهي بتيجان من الطراز الكورنثي إلا أنها لا تشابه التيجان التي نعرفها في جرش، وبعلبك، والتي ترجع الى القرن الثاني بعد الميلاد، فهنا لا نجد إلا صفين من ورق الأكانثوس، ويدل الصف الثالث نحت الفنان زخارف نباتية هي غاية في الدقة، يخرج منها كوز صنوبر، ليحتل منتصف المسطح أو الاباكوس.

---

(1) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 123.
(2) Wright, G.R.H., The Khazne at Petra: A Review, ADAJ, 6-7, 1962, pp. 24-54.
(3) Ibid, p. 35.

وفوق الأعمدة يمتد حنت من الطراز الأيوني، وقد كسر بين العمودين الأخيرين من كل جانب، أما الإفريز الذي يعلو النحت فهو أيضاً من الطراز الأيوني، ويتألف من زخارف نباتية، وحيوانات أسطورية بين أوان تشبه الأواني الفخارية التي تكثر في المقابر والمسماة أواني الدموع (Lecmrimaria).

أما المثلث فيكلل الأعمدة الأربعة الوسطى، وليس مجموع الأعمدة، كما هي الحال في المعابد الرومانية، وفي داخله تكثر الزخارف النباتية محيطة برأس امرأة قد شوهت ملامحه، ويمكن تشبيهه بآلهة خرية التتور، الموجودة حالياً في متحف عمان، وفي أعلى المثلث ركيزة (Acrckrium) تحمل قرص الشمس يحيط بها قرنان وسنابل القمح، وهي شعار الآلهة ايزيس المصرية، والآلهة هاتور التي تقابل الالهه عشتروت عند الساميين، ويرتكز المثلث على قاعدة الدور الثاني المزينة بإفريز من الزهور، وبتماثيل أبي الهول عند طرفيها.

يختلف الدور الثاني عن الدور الأول، من حيث الزخرفة والهندسة المعمارية، ففي الوسط كشك مستدير يسمى باليونانية (Tholos) تحيط به الأعمدة الكورنثية، ويعلوه سقف يشبه القمع، ينتهي بتاج كورنثي وجرة، يوضع فيها عادة رماد الميت، ولكنها هنا رمزية اذ أنها غير مجوفة، وقد تهشمت لان البدو كانوا يطلقون عليها النار، ضانين إنها تحوى خزنة فرعون، وقد ظل هذا الاسم متداولا حتى اليوم، وعلى جانبي الكشك بناءان مزينان بالأعمدة، فوقهما مثلث مكسور، وفوق زواياه بقايا نسور مهشمه، وهذه الأبنية تشكل رواقا يدور حول الكشك، وقد أفلح المهندس النبطي في تحاشي الرتابة، وجعل أماكن بارزة وأخرى مجوفة، وكسر المثلثات على الطرفين العلويين، كما كسر الحنت في الطابق الأسفل، وجعل تناسقاً بين التماثيل البارزة في كلا الطابقين.

التماثيل:

في الطابق الأول بين العمودين الآخرين، تماثيل الالهه المعروفة عند اليونان بالديوسكوري، أو (كاستور وبولكس عند الرومان) (Castor and polux) وهما ابناء الآله زيوس، وكانا يقودان الأموات الى العالم الآخر، ولذا يمسك كل واحد

منهما بزمام جواده، ويتجه الأول نحو الغرب، والثاني نحو الشرق، دلالة على إنهما يتبعان الشمس في شروقها وغروبها.

ويناسب الديوسكوري في الدور العلوي الأمازون، وهن نساء محاربات كما تقول الأساطير اليونانية، وقد رفعت كل واحدة بلطتها فوق رأسها، وراحت ترقص رقصة الحرب، بينما تتطاير أثوابهن في الهواء.

أما في واجهة الكشك، فيبرز تمثال تايكي آلهة الحظ، وقد حملت بيدها اليسرى قرن الرخاء، وباليمنى رمزاً للخصب، ومثل هذه التماثيل كثيرة في الفن اليوناني، ويحيط بهذا التمثال ألهات النصر المجنحة وعددها ستة.

داخل الخزنة:

يتكون داخل الخزنة من ثلاثة حجرات، اثنتان على الجانب وأخرى في الوسط، والحجرات الجانبية خالية إلا من خزانة حفرت في الحجرة الغربية، أما الحجرة الوسطى ويصعد إليها بدرج، فيبلغ ضلعها 12.50متراً، وعلى ثلاثة من جوانبها خزائن توضع فيها النواويس للدفن، وقد كانت هذه الحجرة موصدة بباب برونزي أو خشبي كما يستدل على ذلك من الآثار الباقية في أطراف البوابة العلوية والسفلية.

10- مخرج السيق بعد الخزنة: The Outer siq

بعد الخزنة مباشرة الى الجهة اليمنى تقع حجرة فسيحة (تريكلينيوم) كانت تستعمل للحفلات، ولها دون شك علاقة بالخزنة بما أنها قريبة منها، وعلى بعد خمسين متراً تقريباً يلاحظ الزائر واجهة صخرية مهشمة من جراء السيول والأمطار، وقد سقطت عام 1847 وبقي منها عضادة وإفريز من الأشكال الهندسية، وكان فوق حنت الباب كتابة باللغة اليونانية تشير الى ان صاحب القبر يدعى اريانوس، وأغلب الظن أن القبر يرجع الى القرن الثاني للميلاد.

وبعد مسيرة قليلة، يبدأ السيق بالاتساع تدريجياً الى ان يصل الى منطقة مفتوحة، وتكثر المقابر النبطية عند مخرج السيق (صورة رقم 11)، وجميعها من

الطراز النبطي، تعلوها المسننات، والمسننات النصفية فوق الكورنيشه المصرية، وأهم الواجهات الرقم 70،69،67.

أما الواجهة رقم 67، فهي مزينة بعضادتين مربعتين على كل زاوية، تحمل الساكف والكورنيش ثم الاتيك فالكورنيش المصرية فأنصاف المسننات، وبين المسننات يفتح باب حجرة صغيرة، وقد صعد الى هذه الحجرة انكليزيان من متسلقي الجبال عام 1959 ولم يعثرا فيها على شيء، ويزعم الأهالي ان احد اللصوص قفز الى هذه الحجرة من الواجهة الصخرية المقابلة ونجا من العدالة.

القبر رقم 69 : Tomb 69

وهو مزين بالأعمدة الملتصقة، وبالعضادات التي تلصق بها ربع الأعمدة. أما الباب فهو مزين بدعامات مربعة وفوقها مثلث. ان هذا الطراز المسمى (بالحجر) قليلا ما يزين بالأعمدة الملتصقة، التي هي دليل واضح على تأثير الحضارة اليونانية، أما تيجان الأعمدة فهي من الطراز النبطي.

القبر رقم 70 : Tomb 70

هذا القبر معزول عن الواجهة الصخرية من جوانبه الثلاثة، ويزين جانبيه بوابة غير كاملة اذ أنها لا تؤدي الى حجرة داخلية.

نحت هذا القبر داخل الواجهة الصخرية، بخلاف الواجهات الأخرى التي تبرز الى الأمام، ولذلك فإن عناصره المعمارية لا تزال واضحة المعالم، وهو من طراز (الحجر - مدائن صالح)، الى ان المسننات المتقابلة تنتهي بكورنيش بارز مما يخالف العادة المتبعة في مثل هذه المقابر، كما وان قناة من الفخار قد أثبتت في الواجهة.

أما من الداخل فقد نحتت في ارض الحجرة، عدة قبور مستطيلة الشكل، يبلغ عددها سبعة عشر، وفي الصدر تحتوي على قبر رب العائلة في اغلب الظن.

على الواجهة الشمالية للقبر، نُحت خمس مسلات تحمل اثنتان منها كتابات نبطية فعلى الأولى منها:-

نفس زيد قومو بن يقوم

وعلى الثانية:-

نفس يقوم بن زيد قومو

والواضح ان الأول هو ابن للثاني، ويلاحظ ان الابن يحمل اسم جده حسب العادة المتبعة في الشرق، وهنا يؤكد ما قلناه سابقاً بأن المسلة تمثل الميت، ولهذا فهي تسمى (نفس) أو (نفش) بالنبطية.

-11 منطقة المدرج: Area Theatre

يجمع المختصون بالبتراء على ان المقابر التي تحيط بالمدرج، هي أقدم الواجهات الصخرية في البتراء. لأنها ذات أشكال بسيطة، وهي في معظمها من الطراز النبطي، فهي أما ان تزين بالمسننات وإما بالأدراج المتقابلة (صورة رقم12)، ولا يوجد إلا قبر واحد مزين بالمثلث (رقم 148) وهناك واجهات صغيرة مزينة بالقوس، المعروف بالقوس السوري، الذي يرتفع فوق عضادات مربعة الشكل، والواقع فإن مثل هذا القوس يتضمن في الفن اليوناني الهلنستي منحوتات جنائزية، ولكن القوس هو على أي حال من أصل سوري، ويظهر على صفائح برونزية آشورية منذ القرن التاسع قبل الميلاد، إلا ان هذا القوس يختلف عن أقواس البتراء، التي تظهر في آسيا الصغرى في مقابر فريجيا المنحوتة في الصخر، وقد شاع هذا القوس في الفن المعماري النبطي، فنجده في معبد سيع في حوران، وفي معبد خربة التنور.

إن مقبرة المدرج تتكون من أربعة ادوار، ففي الدور الأول تظهر قبور لا تزينها إلا المسننات وفي الدور الثاني والثالث مقابر تزينها الأدراج المتقابلة، وفي الدور الرابع يظهر فوق الباب المثلث اليوناني، وهكذا فإن هناك تطوراً ظاهراً في هذه الواجهات من الأسفل الى الأعلى.

وبما أن المدرج الذي نحت في القرن الأول قبل الميلاد (صورة رقم 13)، قد أزال جزء من هذه المقابر، فإنه من المعقول ان تكون معظم هذه الواجهات، قد نحتت قبل ذلك التاريخ، وأغلب الظن أنها ترجع الى الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الأول قبل الميلادي.

12- المدرج: The Theater

يقع المدرج في جبال المذبح ،ويعتبر المدرج المنحوت داخل الصخر من المسارح النصف الدائرية ، وقد قام بالتنقيب فيه فليب هموند (Hammound) بالتعاون مع دائرة الآثار العامة في عام 1962 م ، كما قام هموند بترميم منطقة المسرح وقد لاحظ هموند انه تم نحت الأقبية والممرات في داخل هذا المسرح ، أما منطقة المسرح فقد كانت مبنية من الحجارة الرملية كما هو الحال في أبواب مدخل المسرح الرئيسية التي كانت على شكل أقواس نصف برميلية ، وقد قطعت هذه الحجارة على درجة 45 مئوية أو المسمى بالطريقة النبطية في النحت على الحجارة ، وقد عثر هموند أيضا على كميات كبيرة من قطع الرخام التي يبدو أنها كانت تزين بعض واجهات المدرج ، كما ان أرضيات المدرج قد رصفت بالرخام . ومن المعتقد انه كما يذكر هموند ان الأعمدة ذات التيجان كورنثية كانت قد زينت واجهة المدرج[1].

يبلغ قطر المسرح حوالي 95 متراً ، وترتفع صفوف المقاعد حتى علو 23 متراً، وتبلغ المساحة التي تشغلها المقاعد 3860 متراً ، تتوالى فيه صفوف المقاعد على نحو 45 صفاً ، ويتسع المسرح الى حوالي أكثر من خمسة الآلف متفرج ، و المقاعد موزعة بشكل أفقي مقسم الى ثلاثة أقسام ،كما قسمت مقاعد المتفرجين الى ستة أجزاء نصف دائرية على شكل خطوط بين المدرجات ، القسم السفلي من المسرح يتكون من 11 درجة ، والقسم الأوسط يتكون من 34 درجة، بينما القسم العلوي الذي ينتهي بالمقابر في الأعلى فتكون 10 درجات ، وللمسرح بوابتين رئيسيتين الدخول المتفرجين .

أما بالنسبة للاوركسترا (orchestra) فقد اعتقد هموند إنها على شكل سرير صخري مقطوع من الصخر غطت بطبقة من البلاستر. ومنصة المسرح (stage) منصة الممثلين التي تم ترميمها من قبل دائرة الآثار العامة مازالت موجودة لغاية اليوم ، ترتكز على اتيكا (attica) ، ولوحظ وجود أعمدة تحمل تيجان من النوع

---

(1) Mckenzie, J., **The Architecture of Petra,** New York, 1990 .

النبطي الأول ، ولكن الترميم الذي اجري بهذا المنطقة بحاجة الى إعادة دراسة وترميم مرة ثانية .

أما عن تاريخ بناء المسرح فإنه يعود لنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول ميلادي ، إي في فترة حكم ملك الأنباط الحارث الرابع ، وكان هناك مقاعد مخصصة للطبقة الحاكمة ، حيث كان العرب الأنباط يقيمون اعياداً كبرى كل أربع سنوات مرة تقام فيها مباريات فنية ، بالإضافة الى أعياد موسمية التي كان يقدم فيها نذور للالهة.

13- ضريح الجرة (المحكمة) : **Urn tomb 772**

يقع هذا المدفن الى الجهة الغربية من جبل الخبثة (صورة رقم 14)، ويمكن الوصول إليه بواسطة درج صنع حديثاً، وقد كشفت دائرة الآثار العامة عن الدرج الأصلي الذي يمتد أمام الأقواس من الشرق ، يبلغ ارتفاع هذه الواجهة 26 متراً ويبلغ عرضها تقريباً حوالي 16.4 متر .

وأول ما يلفت نظر الزائر الأقواس البرميلية التي بنيت أمام الساحة، والغرض منها زيادة مساحة الساحة الممتدة أمام القبر وتقويتها ، وأغلب الظن ان هذه الاقواس بنيت في القرن الخامس للميلاد ، عندما تحول المدفن الى كنيسة بيزنطية ، والدليل على ذلك ان الأروقة التي على جانبي الساحة لا تمتد فوق الأقواس.

يتألف كل رواق من خمسة أعمدة ذات تيجان من الطراز الدوري، وقد دمر الرواق الجنوبي (تعرض الى عوامل الحت والتعرية بسبب الرياح والأمطار) ولم يبقى منه إلا بعض قواعد الأعمدة، إما المدفن فهو من أعظم الواجهات على جبل الخبثة ، تزينه عضادتان وأربعة أعمدة ملتصقة ذات تيجان نبطية، وقد لاحظ المنقب بيتربار ان الإفريز مزين بمنحوتات بارزة، ربما كانت تمثل آلهة نبطية، ومن الملاحظ ان المثلث قد نحت على اتيكا وقد علته جره، ومثل هذه الاتيكا يوحي للزائر ان البناء بسقف مسطح، كما هي الحال في البيوت الشرقية وليس بسقف منحن.

كانت الخزائن التي تشاهد في الواجهة بين الأعمدة، تحتوي على تماثيل ربما جنائزية، وكانت الخزانة تستعمل للدفن، ومثل هذه الخزائن المغلقة بتمثال تكثر

في تدمر. وغرفة الدفن مربعة الشكل من الداخل يبلغ طول ضلعها حوالي 17.50 متر، وفيها ثمان خزائن لوضع النواويس، وقد اجري تعديل على الخزائن التي في صدر القاعة، فنحتت على شكل حنيات ثلاث، وذلك لتتلاءم مع الطقوس الدينية المسيحية، كما هي الحال في الكنائس، كما ويشاهد آثار دريزين أمام الحنية الوسطى كان يحيط بالهيكل. وعلى يسار الحنية الشمالية خططت باللغة اليونانية كتابة تذكارية بالحبر الاحمر. تقول بأن المطران جازون قد أعد هذا المكان المقدس عام 446 (بعد الميلاد)، وكلمة «أعد» تعني بأن الحجرة كانت تستعمل للدفن قبل ان تتحول الى كنيسة.

ان اسم المحكمة الذي يطلق على هذا المدفن، ليس له أساس من الصحة، بما ان الكتابة تشير الى استعمال المكان في العصر البيزنطي للطقوس الدينية.

14- قبر الحرير : Silk tomb770

يقع هذا القبر على بعد بضعة أمتار الى الشمال من ضريح الجرة (المحكمة) وقد سمي بهذا الاسم نتيجة لجمال الصخور الرملية التي تزين الواجهة الأمامية المتعددة الألوان حيث تتفاوت الألوان بين اللون الأزرق والبنفسجي والبرتقالي والرمادي ولا يوجد أية علاقة لمادة الحرير بهذا التسمية للقبر.

يبلغ ارتفاع واجهة القبر حوالي 19 متر. ويبلغ عرضها تقريباً حوالي 11 متر، و يتكون القبر من واجهة أمامية منحوتة تزينها في الأعلى خطوة الغراب وفي الأسفل هناك أربعة أعمدة نصفية (half columns) تزينها التيجان النبطية، كما وتوجد بوابة رئيسية لهذا القبر تعلوها فتحة مستطيلة للتهوية والضوء، ويعود تاريخ هذا القبر الى حوالي النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

□

15- الضريح الكورنثي: Corinthian tomb 766

ليس تسمية الضريح الكورنثي إلا اصطلاح لا يمت الى طراز المدفن بشكل، وإنما يشير الى تيجان الأعمدة التي هي اقرب الى الطراز الكورنثي، غير أنها زخرفة تشبه تيجان الخزنة، وهي على أي حال دليل على ان التيجان التي نسميها بالنبطية

هـي مـن الطـراز الـكـورنثي، ولـكـن تنقـصها الزخرفـة النباتيـة الـتي علـى التيجـان الكورنثية الأصلية.

لاحظ معظم المهتمين بالبتراء، ان الضريح الكورنثي هو نسخة عن الخزنة، ولكنها اقل من هذه الأخيرة زخرفة وفناً، اذ ليس عليها أية منحوتات حيوانية أو إنسانية ، كما انه لوحظ ان واجهة القبر متساوية تقريباً حيث بلغ ارتفاع هذه الواجهة حوالي 28 متراً ، وعرضها حوالي 27.5 متراً .

والواقع ان الطابق العلوي وحده، يشبه القسم العلوي من الخزنة فقط، أما الطابق الأول فهو مزخرف بثمانية أعمدة ملتصقة، وفوق الأعمدة الأربعة الوسطى مثلث مكسور، ومثل هذا المثلث قد رسم بالجبص على حائط قصر البنت الخارجي[1] ويلاحظ شبه كبير بين القبر التريكلينيوم (رقم 35) وبين الطابق الأسفل للقبر الكورنثي، وليس من المستبعد ان يكون التريكلينيوم نسخة عن الضريح الكورنثي.

يلاحظ أن الباب الأوسط قد نحت في القاعدة، وهي طريقة غير كلاسيكية في فن العمارة، كما وان للواجهة خمسة أبواب غير متناسبة في الزخرفة وغير متناسقة، اذ يوجد ثلاثة أبواب من جهة اليسار، وباب واحد من جهة اليمين، وقد يعني هذا التفاوت ان البابين اللذين الى اليسار قد أضيفا فيما بعد.

وعلى إي حال فإن تعدد الحجرات في الداخل، يدل على ان المدفن يخص عائلة ربما كانت ملكية، وغالب الظن أن الدفن قد انشأ في أواخر مملكة الأنباط، قبل عام 106 ميلادية.

16- ضريح القصر: **Palace tomb 765**

وهو الضريح الذي يشبه قصراً شرقياً ، وهو أكثر تناسقاً من الضريح الكورنثي، يبلغ ارتفاع هذه الواجهة أكثر من 46 متراً لان الطابق العلوي من هذا الضريح المبني من الحجارة قد تعرض للتدمير ، ويبلغ عرضه 49 متر. ويتألف من ثلاثة

---

(1) Konl, H., Kasr Firaun in Petra (vincent), RB, n.s., 7, 1910: 600.

ادوار (صورة رقم 15)، وقد زين الدور الأول بأثنتي عشرة عضادة، تلتصق بها الأعمدة.

ويفصل الدور الثاني عن الأول إفريز، ربما كان مزيناً بالرسومات، أما الدور الثاني فيزينه 18 عموداً وعضادتان، وبين بعض الأعمدة تظهر خزائن متناسقة للتماثيل أو للرسومات الجبصية، يتألف الدور الثالث، الذي بني بالحجارة المنحوتة، من 18 دعامة قصيرة تتلاءم مع دعامات الطابق الثاني، ولا نعرف في الواقع كيف ينتهي الدور الأخير لان أعلاه مهدم، وربما كانت تعلوه الشراريف كما هي الحال في معظم المدافن التي من الطراز النبطي.

ان هذه الواجهة، رغم تناسقها فهي ذات مظهر باروكي صارخ، وهي اقرب الى الواجهات الرومانية، خاصة تلك التي ترتفع خلف المسارح، مع أبوابها العديدة لدخول الممثلين، ولكنها تشبه بعض القصور الشرقية، كقصر آشور في بلاد ما بين النهرين، الذي يرجع الى العصر الهلنستي، وآيوان كسرى في المدائن، والتأثير الشرقي في جميع هذه المباني واضح، اذ تكثر فيها الأعمدة التي ربما وضعت بقصد الزينة فقط، دون أن يكون لها علاقة بمخطط البناء الداخلي.

وحتى في بلاد اليونان تظهر مثل هذه الواجهات، على بعض المدافن التي تعود الى العصر الهلنستي، وأهمها لفكاديا في مقدونيا الذي يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد، والذي يمتاز مثل الضريح 765 بتعدد الأعمدة والإفريز الذي يفصل بين دورين. ولذلك فإن التأثير الهلنستي واضح، ولابد ان يعود الضريح الى العصر النبطي في البتراء.

17- ضريح سكتيوس فلورنتينوس: **Sextius Florentinus 763**

هو الضريح الوحيد الذي تعلوه كتابة بالاتينية، تشير الى صاحبه وهو: سكتيوس فلورنتينوس، حاكم المقاطعة العربية في عهد الإمبراطور هدريانوس[1].

(1) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990,p.165.

وتقول الكتابة بأن ابنه انشأ هذا المدفن بناء على وصية أبيه. ولكن الغريب هنا ان يدفن حاكم المقاطعة العربية في البتراء، مع العلم ان مقره كان مدينة بصرى في حوران. ومن المعقول ان يكون سكتيوس فلورنتينوس، قد عزل من منصبه، فجاء ليقضي آخر أيامه في عاصمة الأنباط، كما وانه جعل مدفنه بين المدافن الملكية النبطية، وان كان قبره متواضعاً بالنسبة للمدافن الأخرى التي توجد في المنطقة.

يبلغ ارتفاع الواجهة حوالي 16.9 مترا ويبلغ عرضها 10.4 متر ، ونلاحظ قبل كل شيء ان هذا الضريح لا يختلف من ناحية الفن المعماري عن المدافن النبطية، وبينه وبين ضريح الجره شبه كبير. إلا ان المثلث الذي يزين الواجهة، لم يرسم على اتيكا كما هي الحال في ضريح الجره، ثم ان هناك قوساً، وبداخله تمثال غورغونا بين الزخارف النباتية، تشبه التمثال الذي فوق باب الخزنة الرئيسي داخل المثلث، ويعلو النسر الروماني قمة القوس[1].

18- بيت دورتيوس: **Dorutous House**

ان ضريح سكتيوس فلورنتينوس هو آخر الأضرحة في الخبثة. وهناك واجهة صخرية يعلوها مثلث، إلا ان النحات لم يتم عمله. وعلى بعد بضعة أمتار، تظهر عدة فتحات لبيت كان اسم صاحبه دورتيوس. ويظهر اسمه باليونانية على مصاطب التريكلينيوم (المضافة) التي تنيره ست شبابيك. وعند ارتقاء الدرج الذي يصل الى البيت (بيت دورتيوس) يلاحظ الزائر مصطبه وحنيه صغيرة فيها نصب الآله ذو الشرى على قاعدة.

وفوق بيت دورتيوس تجري قناة حفرت في الصخر كانت تنحدر من قناة وادي موسى (قناة المطاحة) (صورة رقم 2)، وتزود البيوت بالماء، وتتسرب منها قناة صغيرة تصل الى البيت. وهذا يعني ان المنطقة كانت مأهولة بالسكان. وكان لا بد من الماء على إي حال لأجل احتفالات الدفن والولائم التي تقام بهذه المناسبة.

19- مُغر النصارى: **Moghar en Nassara 649**

---

(1) Browning, I., Op. Cit. 1982, p. 224.

يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة الى الشمال من الخبثة، على سطح ام صيحون وهي تضم بعض المدافن اغلبها من الطراز النبطي. وأشهرها ما يسمى مغارة النصارى.

يرتفع هذا الضريح على علو 20متراً ويبلغ عرضه 12 متراً ونصف المتر، تزين واجهته عضادتان فقط، فوقهما كورنيش وإفريز، أما البوابة فهي ذات إطارين، وأهم ما في هذه الواجهة الإفريز الذي فوق الكورنيش، والذي يتألف من عضادات قصيرة، ارتفاع الواحدة منها متر، وبينهما في أقصى اليسار واليمين رأس غورغونا، وفي الوسط أربعة مجنات، اثنان مستديران، واثنان بيضاويان وبينهما درع.

ومثل هذه الأسلحة كثيراً ما تظهر على المدافن اليونانية، والرومانية، وعلى المباني الهلنستية، كما نرى ذلك في مدينة برغامون اليونانية على شاطئ تركيا. فإفريز الأسلحة يزين الشرفه مما يدل على ان النحات النبطي، قد تأثر بالفن اليوناني الهلنستي. وان العضادات القصيرة هي في الأصل طابق علوي، أو شرفه كما بينا ذلك في فصل الفن المعماري النبطي.

20- قلعة الوعيره: **Al-Waera fortress**

كانت البتراء تقع ضمن الخط الدفاعي، الذي أنشأه الصليبيون من الكرك الى العقبة، للسيطرة على شرقي الأردن، وعلى طريق القوافل من سوريا الى الجزيرة العربية فمصر. وكان دور القلعة مراقبة الطريق الجنوبية التي سارت عليها قوافل الأنباط قديماً، واختيارهم للبتراء التي كانوا يسمونها (وادي موسى) يدل على ان المنطقة ظلت تحافظ على أهميتها الإستراتيجية حتى في القرون الوسطى.

فمنذ عام 1115 قام بلدوين الأول بإنشاء قلعة الشوبك، ثم الوعيرة، والحبيس في البتراء. أما قلعة الحبيس التي تقع داخل المدينة فهي بمثابة مركز مراقبة، يسيطر على طرق القوافل الجنوبية والشمالية. أما الوعيرة فهي الموقع الدفاعي الرئيس.

أقيمت القلعة على مرتفع تحيط به الأودية السحيقة، ويفصلها عن منطقة

الرملة وادي شعب قيس، ويمكن الوصول إليها من وادي المطاحة ثم وادي الوعيرة. وفي الطريق يشاهد المرء قنطرة (قنطرة عرف الديك) تجلب الماء من بركة الرملة الى وادي المطاحة.

تشكل القلعة مستطيلا يبلغ طوله 300 متر تقريباً وعرضه ستين متراً. وهي محاطة بسور يتبع التضاريس الطبيعية للصخر. ويزود بأبراج لا تزال ثلاثة منها ظاهرة. ومن الجهة الجنوبية الشرقية خارج الاسوار، استعمل الصليبيون صخرة منعزلة، ونحتوا فيها برجاً للحراسة. ومن المعقول ان مدخل القلعة الأصلي، كان من الجهة الجنوبية الشرقية، وان جسراً كان يربط البرج بالقلعة.

في الزاوية الشمالية الغربية. داخل الاسوار يشاهد الزائر الكنيسة تتجه حنيتها الى الشرق، والتي كانت مسقوفة بأقواس قوطية مدببة، وأمامها تمتد باحة مستطيلة على شاكلة الكنائس البيزنطية.

أن بعض النقوش، وتيجان الأعمدة النبطية، والحجارة المنحوتة على طريقة الأنباط، تشير الى أن الموقع كان مأهولا قبل الصليبيين، وربما مركزاً دفاعياً للبتراء يحرس الطريق المؤدي الى وادي موسى (الجي).

21- الشارع المبلط: The Colonnaded Street

لم يبدأ التنقيب الأثري في البتراء إلا عام 1954، حيث قامت دائرة الآثار الأردنية في تلك السنة، ببناء سداً على ملتقى وادي موسى ووادي المطاحة، حيث كان السيل يجرف في موسم الأمطار قسما من آثار المدينة. وفي نفس الوقت جرى كشف جزء من الشارع المبلط، وظهرت عدة تماثيل أهمها تمثال الآله زيوس ذو الشرى، الذي يعلو حالياً مدخل متحف البتراء. ويمتاز هذا التمثال بملامحه الشرقية البارزة مثل الشعر الاجعد واللحية الكثيفة.

وفي عام 1955- 1956 وكلت دائرة الآثار السيدة ديانا كيركبرايد، الإشراف على حفريات جديدة في الشارع الرئيسي. وقد تم كشف هذا العمود الفقري للمدينة بطول 150متراً، وظهر البلاط الأصلي ويبلغ عرض الشارع ستة

أمتار فقط، وقد اصطفت على جانبيه الحوانيت الصغيرة، وأمامها رواق معبد كما هي الحال في معظم المدن اليونانية الرومانية. وفي العصر البيزنطي (القرن الرابع الى السابع)، طغت المنازل على الشارع نفسه، مما يدل على انتشار البيزنطية في الشرق، في سبسطية، وصور، وجرش. وهو دليل على تدهور المباني القديمة، خاصة في نهاية الحكم الروماني لمنطقتنا.

أهم ما وجد في الشارع كتابة يونانية ترجع الى الإمبراطور تراجان، الذي انتهت في عهده دولة الأنباط عام 106 ميلادية، ولكن هذه الكتابة لا تعني ان الشارع قد رصف في العصر الروماني، اذ أنها كانت في اغلب الظن فوق مدخل احد الأبنية والمعقول ان الشارع مثله مثل قصر البنت هو من أعمال ملوك الأنباط (راجع قصر البنت).

22- قوس النصر: Temenos Gate

تنتصب هذه البوابة عند نهاية الشارع المبلط، وبداية الساحة الممتدة أمام قصر البنت، ويعني انه كان مدخلاً لساحة المعبد الرئيس في البتراء.

بنيت البوابة من الحجارة الرملية الوردية اللون، حيث يتراوح طول المدماك من 40-60 سنتمتر، وقد تم تنظيمها بطريقة شبيهة بطرق البناء الرومانية[1]. للبوابة ثلاثة مداخل حيث يبلغ عرض المدخلين أقل من البوابة الوسطى.

تتكون الواجهة الشرقية من أربعة دعائم ذات قواعد عالية، وكل مدخل مزخرف بأعمدة، وما تزال افريزة القوس الجنوبي موجودة، وهي مزخرفة بورود وأوراق الأكانثوس. وكانت أعمدة البوابة الوسطى مزينه بلوحات مربعه، بداخلها تماثيل نصفية أو منحوتات لأشكال نباتية، والأعمدة في وسط الواجهة لها تيجان نبطية نباتية.

أما الواجهة الغربية، فهي مكونة من أربعة دعائم مركبة من أعمدة، على جوانبها أعمدة ربعيه، وبينها أعمدة نصفية، وجميعها تقف على قاعدة واحدة،

---

(1) Wright, G.R.H., Petra -The Arched Gate, 1959-60, PEQ, 39, 1961, PP. 124-135.

وتيجان هذه الأعمدة من النوع النبطي. وقد تم العثور على عدة بقايا معمارية، بالقرب من البوابة. فهناك إفريزه بزخارف نباتية، وهي شبيهه بالزخارف التي على تيجان البوابة. وهناك أربع منحوتات لتماثيل بارزه كانت جزء من البوابة، وهي عبارة عن تمثال نصفي لآله، ورأس مجنح، ومنحوتة بارزه للإله (Hermes)، وتمثال تايكي مجنحة تحمل جذع نخيل، ولها خصائص التماثيل النبطية. فمثلاً نجد ان العيون والجفون لمنحوتة الإله النصفية، مطابقة لعيون الرأس المجنح، ولها ذات البؤبؤ الغائر[1]. ولا تخلو من بعض الخصائص الهلنستية من حيث تصفيف الشعر والتناظر.

وهذا النوع من الزخرفة خاص بالأنباط، إذ لا يظهر في إي من المدن الرومانية المعروفة. وقد كان القوس ينتهي في الغالب بإفريز مؤلف من تماثيل الالهه، ومن الزخارف النباتية، ووجد بالقرب منه العديد من المنحوتات التي هي معروضة حالياً في متحف البتراء. ومنها تمثال لافروديت وآخر لمليومين آلهة التراجيديا تحمل قناع التمثيل، وأخر لأبي الهول على شكل امرأة لها جناح نسر وجسد لبؤة.

أن جميع الأدلة تشير الى أن القوس، قد أنشأ بعد الطريق المرصوفة، لان البلاط الأصلي كان قد خلع واستبدل ببلاط أخر اصغر حجماً. يضاف الى ذلك ان البوابة قد جاءت منحرفة قليلا بالنسبة للطريق. كما وقد ظهرت أثناء الحفريات قطع أعمدة وكورنيش كانت قد انهارت، في أساسات القوس، مما يدعو الى الظن بأن بناء أخر كان يقوم في المكان نفسه.

ليس من السهل تحديد تاريخ البناء، ولكن بعض التفاصيل المعمارية تشير الى ان القوس يرجع الى القرن الثاني بعد الميلاد.

وأهم هذه التفاصيل هو ان الأقواس الجانبية، اقل ارتفاعاً من القوس الأوسط، بحيث يصل أعلى القوس الجانبي الى منطلق القوس الأوسط. وهذه الظاهرة تميز الأقواس الرومانية في جرش وتدمر وفي شمالي إفريقيا.

---

(1) Mckenzie, J., Op. Cit., 1990, PP. 133-134.

23- المعبد الكبير The Great temple :

بني المعبد الكبير منذ ما يزيد عن ألفي عام ثم هجر وتحول الى خرائب ، ولم يكن ظاهراً ان هذا الموقع عبارة عن معبد حتى الثمانينات من القرن الماضي الا بعض الاعمدة المهدمة، الى ان تم الكشف عن اثار هذا المعبد في نهاية القرن الماضي من قبل جامعة براون الامريكية (Brown University) وبالتعاون مع دائرة الاثار العامة في 1993 م ، بلغت مساحة التنقيبات الاثرية في منطقة المعبد الكبير وما يشمله من مرافق حوالي 11523.95 م2 ،حيث بلغت المساحة التي شملها المعبد 7560 م2 ، حيث يعد من أحدى المعالم الاثرية الهامة في مدينة البتراء .

يعتبر المعبد الكبير من أهم المعالم المعمارية الرئيسية في المدينة ، فهو يمثل أضخم معبد منفصل كشف عنه في المدينة حتى وقتنا الحالي ، يقع صحن المعبد الى الجنوب الشرقي من بوابة التيمنوس وعلى بعد بضعة أمتار جنوب الشارع المبلط، حيث يرتبط مدخل المعبد بدرج مبني من الحجارة مع الشارع المبلط، ويفضي هذا الدرج الى ساحة واسعة مبلطة تتقدم منطقة قلب المعبد وفي الداخل توجد المنطقة المقدسة (قدس الاقداس)، بنيت ساحة المعبد على محور يتجه شمال شرق الى جنوب غرب كباقي المعابد النبطية ، ويعتقد بعض الباحثين ان أرتفاع المعبد عن الشارع المبلط بلغ حوالي 34 متراً .

وقد تم الكشف عن مسرح صغير يقع في وسط هذه المنطقة وهذا لربما يدل على ان هذا المكان كان قصراً لملك الانباط الملك الحارث الرابع وليس معبداً. ومن الجدير بالملاحظة وجود العديد من تيجان الاعمدة المنحوت عليها رأس للفيل، وهذا التقليد يظهر لأول مرة في الابنية والمنحوتات النبطية.

كما ان هناك نظاماً هاماً للمياه في ساحة هذا المعبد الامامية تتكون من قنوات وخزانات و يبدو ان هناك بركة واسعة للمياه في هذه المنطقة كانت تغذيها مياه قنوات السيق، وقناة نبع براق الذي يبعد حوالي 5 كيلو متر الى الحنوب من

المعبد[1]

24- معبد الأسود المجنحة: Temple of Winged Lions

يقع هذا المعبد الى الشمال من بوابة التيمنوس، وقد تم الكشف عن هذا المعبد من قبل جامعة يوتا الأمريكية، برئاسة فليب هموند منذ عام 1979 م، وقد سمي بمعبد الأسود المجنحة نسبة الى منحوتات الأسود المجنحة التي كانت تزين تيجان الأعمدة، وهناك ساحة رئيسية تتقدم هذا المعبد من الجهة الجنوبية تنتهي بدرج بني من الحجارة على جوانبه الشرقية والغربية تقع أقبية نصف برميلية، ويفضي الدرج الى قلب المعبد (قدس الأقداس) ويعتقد ان هذه المنطقة تحتوي المنصة الرئيسية التي كان الناس يطوفون حولها، كما هو الحال في معبد خربة الذريح في الطفيلة.

25- الحمامات : Baths

يقع هذا البناء جنوبي قوس النصر مباشرة، وله مدخل الى اليسار، ومدخل آخر لا يزال مغلقاً من الجهة الغربية.

ان الحفريات التي أجريت عام 1967- 1968، قد أزالت قسماً من الأتربة المتراكمة داخل الغرف. وقد وجدت بين الركام، بعض المنحوتات في حالة جيدة، منها تمثال مليومين إله التراجيديا. التي اشرنا إليها.

لقد طرأ تبديل على الحجرات عبر السنين، فأغلق بعضها وأضيف لها أبنية أخرى. ولكن الآثار الباقية تشير الى ان مدخل البناء، من جهة قوس النصر، كان مزيناً بالأعمدة ذات التيجان الدورية. كما وان الدرج الذي اكتشف من جهة الشرق، والمزينة جوانبه بالجبص الملون بالأصفر والأحمر، يشير الى ان البناء كان يتألف من دورين على الأقل.

ظهرت الى الجنوب حجرتان، الأولى مستديرة وتعلوها قبة، والأخرى مربعة وفوقها قبة ايضاً، ولكل واحدة من هاتين الحجرتين فتحة صغيرة في السقف

---

(1) المحيسن ؛ زيدون ؛ هندسة المياه والري عند الانباط ؛ ص 56 ؛ عمان ؛ 2002

للتهوية.

تحتوي الحجرة المستديرة على حنيات صغيرة، وهي مبلطة وفي وسطها ثقب صغير. وكانت الحنيات تحتوي في الغالب على أجران يسيل فيها الماء للاغتسال. وكانت تتزود منطقة الحمامات بالمياه القادمة من قناة نبع براق(1).

26- معبد قصر البنت : Qasr el –Bint

قام الباحث (Kohl) بتوثيق المبنى سنة 1910 (صورة رقم 16)، وتبعه رايت (Wright) سنة 1961. وقام بيتر بار (Parr) بالحفريات في المعبد سنة 1967-1968، وكذلك رايت وزيادين ولارشه وانجه مؤخراً، وقد بنى من الحجارة الرملية الوردية اللون (60×40سنتمتر) ووضعت فيها مونه، وأحياناً استعمل الخشب للتقوية ووضع على طول المدماك، واستعملت الحجارة الكبيرة (Orthostate) في المبنى، وهي التي كانت تعود لقواعد أعمدة مباني أقدم(2)، وقد زخرفت الحجارة الخارجية بخطوط محفورة على زاوية 45- 60 درجة. زخرف الجدار الشرقي الخارجي بألواح جصية، مكونه من خطوط عاموديه تعلوها كرنيشة. وفي الحائط الجنوبي بقايا زخارف جصية مكونه من المثلث ذي الدائرة (Pediment Segmental)، وعلى جانبيه المثلث المكسور (Broken Pediment). كما توجد ثقوب على هذه الجدران، كانت تستعمل من أجل تثبيت اللوحات الزخرفية الجصية(3)، أو كانت تثبت عليها قطع الرخام أو اللوحات الرخامية المزخرفة.

ومن بين آثار المبنى، نجد بقايا تيجان أعمدة نباتية مصنوعة من مداميك الحجر، وافريزة دورية مكونة من (Metopes) على شكل أقراص دائرية، أو شكل ورده بين أوراق نباتية، وأحياناً تكونت من تمثال نصفي كما نجد في

---

(1) المحيسن، زيدون، المرجع السابق، ص56

(2) Wright G.R.H., Structure of Qasr Bint Farشun, PEQ, 93, 196I, pp. 22-24.

(3) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990, P. 137.

منحوتة (Helios)، كما زخرفت الأعمدة نفسها بلوحات جصية مربعة الشكل، ومزخرفة بأشكال دائرية أو ثمانية الأضلاع، وقد وجدت أيضاً زخرفة البيضة والسهم الكلاسيكية.

ويرجع مجموعة من الباحثين الزخارف الجصية وأشكالها الى تأثير الإسكندرية، في تطوير التقنية الجصية، ومعالجتها في العالم الهلنستي، وقدرتها على إعطاء الأثر الكبير على الفن في البتراء، من خلال العلاقة التجارية التي كانت قائمة، كما أن هناك تأثير مراكز هلنستية أخرى في آسيا الصغرى مثل (Pergamon, Priene)، من خلال انطاكيا وسوريا. ومع هذا، فقد طور الأنباط هذا الفن بحيث تفوقوا على النماذج اليونانية وأبدو حساسية فنية وتنفيذاً دقيقاً في أعمالهم[1].

كان العالم الألماني كول أول من أجرى دراسة وافية للمعبد، وقد اهتم كول اهتماماً خاصاً بالجبص الذي يزين واجهات المعبد، والذي يكون أشكالا هندسية معمارية. ولم يستطع كول ان يبين تاريخ المعبد بوضوح، إلا انه كان يميل الى العصر الهلنستي (أو عصر ملوك الأنباط)، واهتم بيتر بار والمهندس رايت بالمعبد اثناء الحفريات التي جرت في البتراء، وقد نشر رايت دراسة كاملة عن المعبد، أصلح فيها أخطاء كول، ولكنه كان يميل الى الاعتقاد بأن القصر قد أنشأ في العصر الروماني وليس في عهد ملوك الأنباط.

وصف المعبد:

يشكل المعبد مربعاً ضلعه 30 متراً، ويرتفع الى حوالي 23متراً في الوقت الحاضر، يتجه المدخل نحو التمثال بدلا من الشرق، لأسباب نجهلها، ومن هذه الجهة يمتد درج من الرخام الأبيض أمام المدخل، ويؤدي هذا الدرج الى البهو الذي

(1) Zayadine, F., Decorative Stucco at Petra and other Hellenistic sites, SHAH, III, 1987, P. 142.

يتألف من أربعة أعمدة بين عضادتين، كانتا مربعتين وقد غطيت الواجهات بالجبص، الذي لا تزال آثاره باقية حتى الآن.

من البهو يدخل المرء الى حجرة مستطيلة الشكل، تليها حجرة أخرى من نفس النوع، إلا أنها مقسمة الى ثلاثة أجزاء، فالحجرة الوسطى كانت مزينة بقوس وبأعمدة ملتصقة من الداخل، وكانت تنتصب فيها تماثيل الالهه - أو أنصابهم - أو التماثيل والأنصاب معاً. أما الحجرتين الجانبيتين فكانت بدورين، وفي كل واحدة منها مطلع الدرج الذي يؤدي الى السطح، وقد زينت واجهة كل حجرة بالأعمدة.

كان سقف المعبد من الخشب، كما ان مداميك من الخشب كانت بين الحجارة، وذلك تحاشياً لأخطار الزلازل، وكان السطح مستوياً وليس مائلاً بشكل (جملوني)، كما هي الحال في المعابد اليونانية أو الرومانية. ويظن البعض ان طقوساً دينية كانت تقام فوق السطح، مثل إشعال النار المقدسة أو نحر الذبائح أو التذكير بالصلاة والطقوس الدينية. وقد ذكر سترابو بأن الأنباط كانوا يصعدون الى سطح بيوتهم لعبادة الشمس.

ان نظام قصر البنت الداخلي، هو شبيه بعدة معابد شرقية، بعضها في الأردن والبعض الآخر في سوريا ولبنان، ففي بلادنا يظهر هذا النظام في معبد قصر الربه، ففي قصر الربه نرى النظام الثلاثي للحجرة الداخلية، وكذلك الدرج، أما في سوريا فنذكر خاصة معبد الصنمين الروماني، وفي لبنان معابد بعلبك ومعابد ينحا في البقاع.

ليس من السهل معرفة أصل هذا النظام الداخلي للمعابد السورية، ولكن الكاتب الروماني لفيافوس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، والذي كتب عن المعابد الشرقية، ذكر ان معبد منبج يشبه نظام المعابد في آسيا الصغرى، وقد يكون هذا صحيحاً، اذ ان هذه المعابد كثيراً ما تحتوي على منطقة مستقلة احياناً، يوضع فيها تمثال الالهه. ولكن الشرقيين أضافوا الحجرتين، لإخفاء الأدراج التي تصعد الى السطح. ففي معبد بل في تدمر الذي يعود الى القرن الأول قبل الميلاد تظهر في الجهة الجنوبية حجرة الالهه، وعلى جانبيها غرفتان صغيرتان

للأدراج، أو لإخفاء كنوز المعبد، أو أدوات الطقوس الدينية. ولكن الحجرتين خاليتان من الزينة، كما هي الحال في معبد البتراء، وفي معابد بعلبك.

أقيم أمام قصر البنت هيكل مربع الشكل، يبلغ طول ضلعه 13 متراً تقريباً. وكان يرتفع على مستوى الحجرة الوسطى، بحيث يرى الكاهن الاله عندما يقدم القرابين لها.

تاريخ المعبد:

لقد قلنا بأن بيتر بار ورايت كانا يميلان الى جعل قصر البنت معبداً رومانياً. بينما كان ستاركي وارنست فيل يميلان الى أصله النبطي.

وقد جاءت الكتابة التي تشير الى ان هذا المعبد بني زمن الملك الحارث الرابع، لتؤكد نظرية هذين الآخرين، كما وأجرى بيتر بار بعض التنقيبات بجانب المعبد عام 1965، وقد خرج بنتيجة واضحة، وهي ان المعبد قد بني في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وليست هذه النتيجة غريبة على من يعرف المعابد الشرقية، مثل معبد بل في تدمر، ومعبد سيع في حوران، فقصر البنت هو حلقة في هذه المعابد، وطرازه وان يكن غريباً، إلا انه ذو صلة وثيقة بالفن الشرقي الهلنستي.

27- **قبر التركمانية**: Turkmaniyya tomb 633

يسيل وادي التركمانية من الشمال الى الجنوب، ويلتقي بوادي موسى، ووادي الدير، عند زاوية الحبيس الشمالية. وتكثر في هذا الوادي أشجار الدفلا الملتفة، كما ان بئراً ارتوازياً حفرت فيه، لتسقي بعض البساتين على جانبه. وعلى بعد 400 متر من مصبه يقع قبر التركمانية، وهو الوحيد الذي تعلوه كتابة نبطية.

ان هذا القبر هو من الطراز النبطي، اذ تزينه الشراريف المتقابلة على شكل درج، وتحتها كورنيشة مصرية. وفي الاتيكا نحتت أربعة دعامات قصيرة ذات تيجان نبطية، وتقابل هذه الدعامات أربعة أعمدة ملتصقة، ودعامتان في الجزء

السفلي من الواجهة، وبين العمودين المتوسطين، تظهر كتابة نبطية سنأتي على ترجمتها فيما بعد.

أما مخطط القبر فيتألف من حجرة خارجية، وأخرى داخلية، بينهما ممر ضيق يبلغ عرضه متران. وتوجد خزانة للدفن في صدر الحجرة الأولى فوق الباب، وأخرى في صدر الحجرة الثانية.

أما الكتابة فهي لا تذكر اسم صاحب الضريح، ولا تاريخ نحت الواجهة، كما هي العادة في قبور الحجر (مدائن صالح) وليس من السهل تعليل هذه النواقص. فقد ذهب برونوف ان عدم ذكر التاريخ يعني ان القبر قد نحت في العصر الروماني، لان من عادة الأنباط ذكر اسم الملك الذي كان على العرش اثناء نحت القبر، ولكن برونوف يخطئ في تقديره هذا، اذ ان نهاية الكتابة تذكر (ذو الشرى اله فولانا)، وكلمة (فولانا) التي جاءت في الكتابة النبطية تعني ملك الأنباط. ومن المستبعد ان يكون المعني هنا الحاكم الروماني ميلا أو الإمبراطور، بما ان ذو الشرى هو الآله النبطي المعروف.

أما عن عدم ذكر صاحب القبر فالأمر شديد الغرابة ايضاً. وقد يكن لسببين:-

أما ان ذكر صاحب القبر كان محضوراً في البتراء، وإما ان الكتابة كانت قد إعدت قبل ان يشتريه احد أغنياء الأنباط. فمن المعقول ان نحاتي المدافن كانوا يشكلون جماعات معروفة، تهيء الواجهات الصخرية قبل الحاجة أليها.

وعلى إي حال فان طراز الكتابة يرجع الى نهاية القرن الأول للميلاد. (حوالي 70 ب.م.) ويمكن مقابلة هذا المدفن بأحد المدافن المنحوتة في مدائن صالح والتي تحمل تاريخ 64 ب.م. إي من عهد مالك الثاني.

تشير الكتابة الى حجرتي الدفن، والى وجود غرفة للحفلات وبستان، وبرك ماء، وآبار. وقد ظهرت في المدة الأخيرة، نتيجة السيول الجارفة، بركة منحوتة في الصخر أمام الضريح، وهذه التفاصيل دليل واضح على ان القبور النبطية، كانت تشتمل على منشآت إضافية، مثل حجرات الضيافة، والحدائق، وصهاريج الماء.

ونلاحظ ايضاً ان المدافن كانت وقفاً لذو الشرى اله الأنباط، حتى لا يعبث بها احد، أو يبيعها أو يؤجرها. وبعض الكتابات في مدائن صالح تفرض عقوبات مالية، على كل من يخل بالقوانين المنصوص عليها في الكتاب والمحفوظ منها نسخة في دار الحكومة.

ترجمة الكتابة

ان هذا الضريح والحجرة التي بداخله، والحجرة الصغيرة التي خلفها، والتي تحتوي على خزائن الدفن، والساحة التي أمامها، وحجرات الضيوف، والمساكن، التي في الساحة، والمصاطب، والحدائق، وصهاريج الماء، والواجهات الصخرية، والجدران الاستنادية، وكل الأجزاء المعمارية التي في هذا المكان. وهي مقدسة ومكرمة لذى الشرى، وعرشه، وجميع الالهه هي التي سوف تشرف على تنفيذ هذه العقود، حتى لا يتغير أو ينقص أي شيء مما في العقود، وحتى لا يدفن في هذا الضريح أحد إلا الذي لديه تصريح بأن يدفن فيه.

يقع بقرب هذا الضريح واجهة صخرية من نفس الطراز، ويظهر ان نحتها لم يستكمل.

28- جبال المعيصرة: Jebel Mu~eisrah

يكون جبلا المعيصرة توأمان يفصل بينهما وادي عميق، ويسمى الأول جبل المعيصرة الشرقي، والثاني جبل المعيصرة الغربي.

وعلى قمة الجبل الشرقي نحت الأنباط خزانات للمياه ومضافات للحفلات، وربما كان هناك مذبحاً[1].

إلا ان جبال المعيصرة تضم نحو (120) مدفناً معظمها من الطراز النبطي، وليس فيها إلا اثنان مزينان بالمثلث.

ينتهي جبل المعيصرة الشرقي، بمنخفض تدريجي نحو وادي يسمى الذنيب،

---

(1) Tarrier, D., Op. Cit. 1983, Vol-II, pp. 71-87.

وهذه المنطقة تحتوي على مدافن عديدة تحت الأرض، وقد وجد في احدها أدوات فخارية تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد ، وفي المنطقة عدة كهوف استعمل بعضها للسكن من قبل عشائر البدول، عندما كانوا يقطنون في البتراء.

29- وادي السيغ : Wadi es Segh

عبارة عن نبع ماء يسيل نحو الغرب، ليصب في منطقة قصر ام رتام في وادي عربة ، يستقى منها البدو ، وتجمع مياهها في بركة حفرت في الصخر الجرانيتي الذي يكثر في المنطقة.

وعلى ضفة الوادي الشمالية ، وفي صخرة منعزلة تحت نصب الالهه اتارغاتيس إلهه منبج، كما تشير الى ذلك الكتابة النبطية ، ومنبج التي تقع شمالي حلب، واسمها اليوناني ايرابوليس (إي المدينة المقدسة)، كانت مشهورة بمعبدها المكرس للالهة السورية اتارغاتيس. وظهور نصبها في هذا الموقع، دليل واضح على العلاقات التجارية ، والدينية ، بين الحواضر السورية والبتراء. وهناك منحوتة للآلهة ايزيس محفورة في الصخر على جانب الوادي الأيمن، ويمكن الوصول إليه بواسطة درج مهشم.

هذا التمثال هو للآلهة ايزيس كما تشير الى ذلك الكتابة النبطية ، والتي ترجع الى عهد الملك عبادة الثاني، والتي تظهر الآلهة مرتدية ثوباً يونانياً وجالسة على كرسي، ولكن رأسها قد هشم. وبالقرب من الآلهة ، يوجد نصب بشكل سهم، هو فيما اعتقد رمز الآلهة ، وهنا نذكر التمثال الذي على طريق المذبح، قرب نافورة الأسد ، والذي يمثل آلهة نبطية وتحته نصبه المستطيل الشكل. كما وفي وادي وغيط على طريق النبي هارون، يوجد تمثال الآلهة جالسة على كرسي، ولكن ليس بقربها أية كتابة.

ان اسم الآلهة ايزيس المصرية ، في البتراء، برهان على معرفة الأنباط بالحضارة المصرية. وقد ذكرنا ان رمز الآلهة المصري، يظهر في واجهة الخزنة ، فوق المثلث الذي يعلو الطابق السفلي.

30- الطريق الى الدير:

ان الصعود إلى الدير يكلف الزائر بعض الجهد، غير انه يعتبر من أمتع المشاوير الأثرية في البتراء. ويمكن الوصول إلى هذا الموقع الشهير، عن طريق وادي الدير الذي يلتقي بوادي موسى، ووادي التركمانية عند الحبيس.

مضافة الأسد: Lion Triclinium

وبعد مسيرة عشرة دقائق، يستطيع الزائر ان يعبر في وادي ضيق، ليرى التريكلينيوم المسمى احياناً (ضريح الأسود)، لان أسدين يحرسان بابه. ومن الملاحظ ان جسم الأسد قد نحت وهو يمر جانباً، بينما رأسه يتطلع الى الناظر، وطريقة النحت هذه معروفة في الفن الفارسي، الذي ازدهر في بلاد ما بين النهرين، بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث بعد الميلاد. ولكنا نلاحظ هنا الشبه بين هذا الأسد، وبين الحيوان الذي يزين واجهة قصر العبد في عراق الأمير، والذي كان يستعمل كنافورة للماء، وتاريخ هذا البناء هو القرن الثاني قبل الميلاد.

غير ان واجهة البتراء (ضريح الأسود)، لا يمكن ان تكون قد نحتت قبل القرن الأول للميلاد.

كانت تنفتح فوق الباب كوة مستديرة، وتعلو الأعمدة الملتصقة بالدعامات تيجان ذات زخارف نباتية، تذكرنا بتيجان الخزنة ولو من بعيد، ويمتد في الأعلى إفريز دوري وتماثيل قد نحتت فوق كل دعامة. وفي المثلث تعود فتظهر الزخارف النباتية، وعلى زواياه جرار صغيرة، والى يسار الباب نصب الآله ذو الشرى في حنية صغيرة، ومثل هذه الأنصاب يشاهد على مداخل التريكلينيوم.

يرجع Browning هذا البناء الى بداية الفترة الكلاسيكية، والأعمدة الجانبية مركبة تعلوها تيجان نبطية من النوع النباتي، تحمل افريزة حيث الـ(Metope) مكونه من قرصين دائريين متحدي المركز، وعلى جانبيه نجد وجه (Medusa) داخل إطار مربع، ويعلو الإفريزة مثلث (Pediment) تميز بوجود جرار على زواياه. أما على جانبي البوابة، هناك أسدان مواجهان لها، وفوق البوابة نافذة

دائرية، ويحمل الأسد رموزاً دينية متأثرة بحضارة بلاد ما بين النهرين[1].

يتابع الزائر طريقه عبر ممر ضيق، قد كادت تسده صخره هوت من قمة الجبال، إلا أنها تفسح المجال لشخص واحد ان يعبر الى منطقة مفتوحة. وعلى جانب الوادي الى اليمين تظهر بعض القبور التي لم يستكمل احدها.

وأجمل هذه المدافن الذي يقع في وادي خروبة، وهو وادي صغير يلتقي بوادي الدير، وفيه بوابة لحجرة مزينة بدعامتين وعمودين ملتصقين وفوقهما مثلث، وفي داخل الحجرة توجد ثلاث مصاطب (تريكلينيوم) ويوجد قبر تحت المصطبة الوسطى[2].

قطار الدير:

يعود الدرج المنحوت في الصخر الى الظهور مرة أخرى، وبعد ان يرتقي المرء منه بضع درجات، يصل الى منصة مربعة الشكل، ينطلق منها بقايا درج مهشم. وكان هذا الدرج يرتقي الى المكان المسمى اليوم (قطار الدير)، وهو عبارة عن وادي ضيق تنزح من جانبه الأيسر مياه شحيحة، وتتجمع في أحواض صخرية، والمكان ملتقى للطيور التي تأتي لتشرب من الماء الراكد في الأحواض. ولكنه كان قديماً احد المناطق الدينية عند الأنباط، اذ يبرز على الواجهة الصخرية نصب، وعليه هذه المرة صليب اللورين، وهذا الرمز ليس مسيحي كما يظن البعض، ولكنه تعبير عن الملامح البشرية، كما نراه على بعض النقوش الصفوية والثمودية، وكما وجد منحوتاً في عين القطار في وادي رم.

والى اليمين من النصب، نقشت كتابة نبطية متآكلة، ولكن العالم مليك توصل الى قراءتها كما يلي:-

هذا نصب بصرى، الذي عمله (عبد) الله ابن، ......

---

(1) Browning, I., Op. Cit. 1982, P. 155.
(2) Tarrier, D., Op. Cit. 1983, PP. 58-59.

من اجل حياته وحياة رابيل ملك الأنباط.

والمقصود هنا رابيل الثاني (71- 106 ميلادية) والمقصود بنصب بصرى (في حوران) نصب الالهه التي في المدينة. والمعروف ان بصرى كانت عاصمة الالهه، في عهد رابيل الثاني، وأيام الحكم الروماني أصبحت مركز المقاطعة العربية.

يوجد تريكلينيوم محفور في الصخر قرب النصب، مما يدعو الى الظن ان احتفالات دينية كانت في الموقع، بالقرب من المكان المدعو الحمام، والذي هو عبارة عن تسمية محلية، ويوجد موضع آخر تنزح منه المياه وتتجمع فيها برك صغيرة، إلا انه لا يوجد هناك أية كتابات.

يتابع الزائر مسيرته صعوداً، ويترك عن يمينه صومعة مسيحية، كان يقطنها بعض النساك من الرهبان، ولا شك ان الدير الذي أطلق على الواجهة الصخرية الضخمة كان ذا علاقة بالصومعة.

31- الدير : Ed-Deir (Monastery)

تبدو من بعيد جرة الدير وكأنها أمل قريب المنال بعد الجهد المضني من المسير، وليست إلا بضع دقائق حتى يصل الزائر أمام الواجهة الضخمة.

يقع الدير في أعلى الوادي الرئيسي بالقرب من جبل الدير، ويمكن الوصول إليه بواسطة درج منحوت في الصخر، وهو عبارة عن مضافة (تريكلينيوم) تستعمل في مناسبات معينة دينية. وقد خصصت هذه المضافة الدينية تخليداً لذكرى الملك النبطي عباده الأول[1].

أما الواجهة فهي شبيهة بواجهة الخزنة ولكنها خالية من الزخارف المعقدة[2] (صورة رقم 17).

---

(1) Tarrier, D., Op. Cit. 1988, Vol. I, P. 64 and 155.
(2) Browning, I. Op. Cit. 1982 P. 186.

يبلغ ارتفاع واجهة الدير حوالي 48,3 متراً ، ويبلغ عرضها حوالي 46,7 متراً، تتكون الواجهة من قسمين كما في الخزنة، ويتكون الجزء السفلي من ثمانية أعمدة، حيث نجد الجانبية منها مكونة من أعمدة ربعيه، والوسطى منها أعمدة نصفية. وهذه الأعمدة بدون قواعد، ولها تيجان نبطية أيونيه (Pseudolonic)، وفي وسط الواجهة السفلى بوابة تحيط بها أعمدة وشكل المثلث (Pediment)[1]، في الواجهة السفلية من الدير نلاحظ نحت فتحتين (كوات) كان يوضع بداخلهما التماثيل وفي أعلى الفتحات يوجد افريز دوري يعلوه نصف قوس، يقابلهما في الطابق العلوي ثلاثة فتحات (كوات) كان يوضع أيضاً بداخلهما التماثيل.

يتكون الجزء العلوي من الواجهة، من ثمانية أعمدة أمامية وثمانية خلفية، والأعمدة الوسطى هي عبارة عن أعمدة نصفية ملتصقة بالمبنى الدائري، أما الأعمدة الجانبية فهي "ثلاثة أرباع" (Three quarter columns) وتحمل مثلث مكسور Broken Pediment)، ولها قواعد دائرية وتيجان نبطية من النوع الأول. كما نجد ان تيجان أعمدة المبنى الدائري تتبع شكل الدائرة وليست أمامية.

تعلو الأعمدة إفريزه من أقراص إسطوانية الشكل تمثل الـ(Metope)، وهي ليست عميقة، أما المبنى الدائري فهو شبيه بالذي وجد على واجهة الخزنة، وله سقف مائل يشبه الخيمة، على قمتها تاج من النوع الثاني النبطي، يحمل قاعدة عليها جرّة، وقد غطت الواجهة علامات دقيقة محفورة[2]. ولا شك بأن هناك درج كان مبنياً من الحجارة يتم بواسطته الدخول الى الدير وقد تعرض للتدمير لاحقاً ، إما بوابة المضافة فتزينها عضادتين مع إفريز دوري يعلوهما المثلث (Pediment) . وهكذا، فإننا نجد في هذا المبنى معظم العناصر المعمارية النبطية في زخرفة

(1) Mckenzie, J., Op. Cit. 1990 ,P. 160.
(2) Ibid, PP. 160-161.

الواجهة. ويبدو ان الدير كان عبارة عن مضافة هامة ورئيسة عند الأنباط[1].

ان الشعور بالثقل الباروكي يعترى المرء، من أول نظرة يلقيها على هذا البناء الصخري، الذي يستوي نسبياً فيه الارتفاع والعرض، ولعل هذا الشعور ناجم عن عدم وجود قاعدة تحمل الواجهة، كما هي الحال في الخزنة.

وعلى أي حال فقد أراد المهندس النبطي، ان يجعل شيئاً من التناسق بين مختلف الأجزاء، اذ لجأ الى التنويع بتهيئة مناطق فارغة وأخرى ممتلئة، بحيث يقع الفراغ فوق منطقة ممتلئة، ولكن هذا المجهود لا يكفي لان يزيح هذا الشعور الذي ذكرناه، والذي يجعلنا نظن ان الدير لم يكن إلا تقليداً غير ناجح للخزنة. وهذا البناء هو اقرب الى الباروك الروماني، ويشبه الى حد بعيد بعض الواجهات الرومانية التي تعود الى القرن الثاني الميلادي.

إلا ان هذا لا يعني انه أنشأ في اثناء الحكم الروماني، اذ ان جذور الفن الباروكي كانت تمتد الى العصر الهلنستي، ففي داخل الحجرة، نحت محراب يعلوه قوس، وله درج من اليمين الى الشمال، وفي صدر هذا القوس تبرز نصب الآله ذو الشرى، فوق قاعدة مربعة، ولكنه أزيل في عصر متأخر وبقي مكانه ظاهراً، وربما قضي على هذا النصب في العصر البيزنطي، اذ أن بعض الصلبان قد نقشت على الجدران الصخرية.

وعلى نفس الواجهة، الى الشمال من الدير وجدت كتابة نبطية هذا نصها:-

(ليذكر عبيد وابن زقا وأصحابه من جماعة عُبادة الآله).

وكلمة جماعة (مرزاح بالنبطية)، تعني انه كان للأنباط منظمات دينية شبه سريه، تجتمع بإنتظام وتقوم بأداء طقوس معروفه مثل شرب الخمر، والرقص، والغناء.

أما عُبادة المذكور هنا، فهو عُبادة الأول ملك الأنباط الذي دفن في عبدات

---

(1) Tarrier, D., Op. Cit. 1982, PP. 58-59.

في النقب، وربما كان الدير ضريحه التذكاري.

وفي احد الأودية الواقع شمالي الدير نحت فريد من نوعه، يمثل رجلان يقودان جملين، ويتجهان نحو نصب الآله ذو الشرى، وبما ان الجمال بدون ركائب، فهذا يعني أنها تقدمه للآله.

يمكن للزائر ان يتمتع بمغيب الشمس إذا اتجه الى الغرب من الدير حيث يمكنه مشاهدة مزار النبي هارون، على قمة أعلى جبل في المنطقة، كما ويمكنه رؤية وادي العربة وقد حجبه ضباب ناعم، وقد انحدرت إليه أودية سحيقة، تبرز فيها بعض الصخور الغرانيتية الداكنة.

الكهف 468 :

مقابل الدير في الجهة الجنوبية على بعد تقريباً 150 متر جنوباً سيشاهد الزائر كهفاً له بوابة تفتح باتجاه الدير ويوجد في صدرهذا الكهف من الداخل واجهة منحوته في الصخر، تتكون واجهته من عضادتين ذات تيجان نبطية ، يعلوهما أفريز دوري وعلى جانبي الافريز منحوتات بارزة على يمين ويسار الفريز ، تمثل هذه المنحوتات نحت لرجل ملتفعاً رداءاً ، وملامح الوجه غير واضحة بسب تعرضها للتهشيم والتحطيم ، يعلو الافريز شكل المثلث Pediment ويلاحظ انه نحت على أتيكا ينتهي رأس المثلث بقاعدة ربما كانت تحمل أحدى التماثيل. وبين العضادتين في الوسط نحت نيش (كوة) يتكون من عضادتين اصغر حجماً تحمل تاج دوري يعلوهما افريز دوري يحتوي على زخرفة Triglyphs and Metopes حيث جاءت Triglyphs على هيئة ثلاثة خطوط عامودية مكررة بينهما مسافة Metopes حملت زخرفة على هيئة أقراص دائرية بارزة كما هو الحال في واجهة ضريح الجرة وواجهة الدير، تبلغ ابعاد هذه الواجهة 4.5 متر × 3 متر.

32- قلعة الحبيس: Al-Habis fortress

في أعلى هذا الجبل المشرف على قصر البنت ومدينة البتراء، والذي يسمى احياناً الاكروبوليس، أنشأت قلعة صليبية صغيرة. وكان الطريق أليها قد شق من صلب الجبل، من الجهة الشرقية، وهو اليوم صعب الاجتياز بسبب تراكم الحجارة المتساقطة من القلعة.

عندما يبدأ الزائر بالصعود، يلاحظ في الواجهة الصخرية وعلى ارتفاع شاهق، آثار منازل كانت مغطاة بالجبس ومزينة بالأعمدة، وفي نفس الواجهة نحتت قناة للماء كتب تحتها بأحرف نبطية كبيرة:-

(سلام لفصائل، ملكة الأنباط)

وفصائل هذه هي احدى بنات الحارث الرابع، ومن المعروف ان بنات الملك كن يحملن لقب (ملكة) ولا يحق لأولاده ان يحملوا هذا اللقب، إلا من كان منهم ولياً للعهد.

هناك ايضاً واجهة صخرية قد بوشر بنحتها من الأعلى ولم تستكمل، وهي دليل واضح على ان الأنباط، إنما كانوا ينحتون المدافن والمنازل من أعلى الى أسفل. وهي طريقة توفر عليهم وضع سلالم من الخشب، كما وتضمن سلامة العمال الذين قد يتعرضون لانهيار صخري إذ هم نحتوا الواجهة من أسفل الى أعلى.

يصعد الطريق الى القلعة باتجاه الجنوب، ثم ينحرف فجأه الى الشمال، والقصد من هذا الانحراف المفاجئ، ان يضطر المهاجمون لتغيير طريقهم ولتعريضهم لسهام القناصة المرابطين على الاسوار.

ينتهي الطريق الى ساحة صخرية منبسطة، عند الطرف الجنوبي من الجبل، ومنها يتجه الزائر شمالا ليلج عبر السور الأسفل بواسطة درج صخري. ولا بد له ان يتسلق منحدراً صعباً ليصل الى السور الأعلى، ثم يدخل من بوابة صغيرة الى الساحة الثانية، ففي الجهة الجنوبية من هذه الساحة تتكوم أنقاض مبان كانت مساكن للحرس، وقد بقي من هذه المباني قوس واحد يصل الجزء الأسفل بالأعلى.

على قمة الجبل الشمالية، وفوق كتلة صخرية كروية الشكل، أنشأ البرج الرئيسي وهو مربع الشكل. ان هذا البرج الذي كان يشكل حجر الزاوية في الإستراتيجية الصليبية ينعزل عن الاسوار وهذه الميزة إنما هي من تأثير الفن الحربي النورمندي. ولا تزال الاسوار من الجهة الشمالية بحال جيدة، وهي ترتفع 18 مدماكا فوق الصخر، ولا تزال فيها مرامي السهام. كان في القلعة عدة أبار لجمع مياه الأمطار، مما كان يساعد المحاصرين على الصمود في وجه الأعداء. لا يمكن اعتبار قلعة الحبيس، نقطة رئيسية في خط الدفاع الصليبي من الكرك الى العقبة، وذلك لصغر حجمها، ولكنها بفضل موقعها، كانت من أهم مراكز المراقبة، إذ تشرف على الطريق الشمالية والجنوبية القادمة من مصر، والتي كان الصليبيون يتوقعون منها خطر جيوش صلاح الدين، وهي على أي حال كانت بمثابة خط دفاع أولي بالنسبة للوعيرة، التي هي أهم منها حجماً وتحصيناً.

وعندما وصف النويري رحلة السلطان بيبرس من مصر الى الكرك، ذكر انه مر أمام جبل هارون الذي كان على يساره، ثم وصل الى قلعة يسميها النويري (اسويط) وزارها السلطان وتأكد من مناعتها. وكلمة اسويط هي على ما أظن كلمة صليبية حرفت من كلمة السواد التي أطلقها العرب على منطقة شرقي الأردن.

ويرفض هموند الذي أجرى مخططاً للموقع، ان تكون قلعة الحبيس هي المعنية في وصف النويري لأنها صغيرة الحجم. ويظن ان السلطان إنما زار قلعة الوعيرة، ولكن الوعيرة كانت معروفة في القرون الوسطى، لكل من قدم عن طريق الثغرة، ثم قلعة (اسويط) وبعدها يصف المنازل المنحوتة في الصخر، والمزدانة بالأعمدة التي لا يمكن إلا ان تكون الخزنة، اذ ان السلطان تابع سيره نحو وادي موسى عبر السيق.

ولكن لماذا لا يذكر المؤرخ العربي قلعة الوعيرة، ربما لأنها كانت قد تهدمت بعد ان ضربها صلاح الدين، ولم تعد تستحق الزيارة. ثم ان الحبيس كانت

أسهل مسلكاً من الوعيرة، واقل مشقة.

على الجانب الغربي للحبيس توجد بعض المدافن المتفرقة، التي لم يذكرها برونوف في موسوعته، وأهمها مدفن مزين بالمثلث والدعامات الملتصقة. وفي منطقة تشرف على وادي السيغ نحتت عدة مدافن، بينها تريكلينيوم مكشوف. ومن الملاحظ ان الجهة الشمالية من الحبيس، استعملت مقالع للحجارة، ربما لبناء الحبيس، أو المعبد النبطي والمباني الأخرى.

33- أم البيارة : Umm el- Biyara

يقع هذا الجبل الى الجنوب من الحبيس، يفصله وادي خروبه ابن جريم وعن جبال البره وادي برقع، بحيث يبدو حصناً طبيعياً منيعاً. ويمتاز عن سائره من الجبال، ان قمته تتبسط حتى تشكل مساحة واسعة، تتسع لإقامة المنشآت العمرانية، ويصعد الى هذا الجبل طريق ضيقة، بحيث لا تتسع احياناً إلا لرجل واحد.

وهنا لا بد ان يذكر القارئ، الوصف الذي جاء في تاريخ ثيودورس الصقلي، حين كتب عن حملة انطونيوس القائد اليوناني على البتراء:-
(توجد في بلاد الأنباط صخرة عظيمة المناعة لها طريق واحد يستطيع ان يستخدمه عدد قليل من الرجال) (صورة رقم 18).

وقد سجل المؤرخ اليوناني، ان الأنباط لجأوا الى هذا الحصن المنيع، عندما حاصرهم جيش ديمتريوس ابن انتيقونس، ولما لم يجد فائدة في رفع الحصار، رجع أعقابه بعد ان تقبل بعض الهدايا.

وقد ظن بعض العلماء، ومنهم هورسفيلد، ان ام البيارة لها علاقة بحدث تاريخي آخر، ففي القرن الثامن قبل الميلاد شن امصيا ملك يهوذا (896- 781 ق.م) حملة على بلاد الادوميين واسر عشرة آلاف مقاتل، كما تقول التوراة، ورمى بهم من فوق صخره شاهقة تسمى (سلع).

ولما أرادت السيدة كريستل بنت من المدرسة البريطانية للآثار، ان تتحقق

من صحة معادلة ام البيارة لسلع، التي وردت في التوراة، أجرت حفرية تجريبية في أعلى الجبل عام 1960، ثم اتبعتها بموسمين من الحفريات عام 1963 وعام 1965، في ظروف صعبة نظراً لعدم توفر الماء ومشقة الوصول الى الموقع، وقد اشتركت بهذه التنقيبات المديرة التوراتية للدومينكان في القدس، بإشراف الأب ديفو[1].

شملت الحفريات مساحة تقارب 700 م2، وكشفت عن قرية صغيرة، ذات منازل متلاصقة، تتألف من عدة حجرات مربعة الشكل، وأمامها ممر ضيق يمتد عادة من الشمال الى الجنوب. بنيت جدران المنازل بصفائح من الحجارة الرملية غير المنحوتة، وليس بين هذه الحجارة أي نوع من المونة، بحيث تظهر في شكل مزري وفقير. ولعل القصد من عدم استعمال المونة، هو ان تقاوم الجدران العواصف الشتائية، التي تجتاح هذه القمة الشاهقة. وعلى أي حال، فربما كانت هذه المنازل مؤقتة يلجأ أليها أصحابها اثناء الحروب. أما داخل الحجرات فلم يكن أحسن حالا من خارجها، فقلما كانت الجدران متساوية، واحياناً كان الصخر يستعمل كأرضية للمنازل، أو تفرش الأرضيات بكسر الحجارة الرملية. وقد وجدت حجرتان مطليتان بالجبص. وتظن السيدة كريستل بنت إنهما استعملتا لخزن الماء، ام السقف فكان من الخشب والقصب المغطى بالطين، كما هي الحال في بعض منازلنا القروية، وكانت دعامة من الحجارة غير المنتظمة تحمل السقف احياناً.

لقد طرأ على هذه الأبنية بعض التعديل في فترة متأخرة، وتمتاز أبنية الفترة الأخيرة، بجدران أضخم من الفترة الأولى، وبالدعامات التي وضعت في الجدران لتقويتها أو لتحمل السقف. ولم تستطع المنقبة البريطانية أن تؤرخ الفترة الثانية، لان الفخار لم يتغير شكلاً حسب رأيها، وان طرأ على مادته شيء من التبديل. وفي بعض منازل الفترة الثانية، اكتشفت مخازن صغيرة لحفظ المؤن، وهي تحتل زاوية الحجرة احياناً على شكل نصف دائرة، إلا انه لم يظهر فيها إي نوع من الحبوب،

---

(1) Bennett, C.M., Fouilles d'Umm el Biyarah -Rapport Préliminair, RB, 73, 1966, PP. 372-403.

وان كانت قد وجدت نواة التمر والزيتون.

كانت المشكلة الرئيسية في هذا الموقع المنعزل هي مشكلة الماء، ولكن السكان الأوائل تغلبوا عليها بحفرهم عدة صهاريج لجمع مياه الأمطار، وعددها ثمانية، ومن هنا سمي الجبل (ام البيارة) وقد دل التنقيب في احد الآبار انه استعمل في عهد الأنباط.

ان الحقبة السكنية الأولى قد انتهت بحريق هائل التهم القرية، ومن الصعب ان نعرف إذا كان هذا الحريق طبيعياً، ام انه نتج عن مداهمة الأعداء للموقع وتدميرهم له. وفي طبقة الحريق هذه وجد ختم عليه صورة أبي الهول المجنح، وفيه تأثير مصري واضح. وقد كان أبا الهول غالباً رمزاً للفرعون المصري، وعلى الختم بعض الأحرف بالخط الفينيقي الآرامي:-

لقوس ج (جبر)

ملك أ (دوم)

إن اسم الملك يتألف من (قوس) هو اله آدومي معروف ومن (جبر) بمعنى عظيم، وكان قوس جبر احد ملوك الادوميين في عهد اسر حادون (669- 680 ق.م) وفي عهد آشور بانيبال الذي تولى الحكم عام 668 ق.م. وكان الختم دون شك مطبوعاً على رسالة ملكية لم يبق منها اثر.

والى جانب الختم وجد تمثال من الألبستر، يمتاز برأس امرأة وجسم مستطيل الشكل، تزينه دوائر صغيرة. وتشبه هذه التعويذة، بعض الأصداف التي وجدت في العراق، ومصر، واليونان. وقد نحتت أسفل الصدفة على شاكلة رأس إنساني، بينما زين ما تبقى من الصدفة برسومات هندسية أو حيوانية احياناً.

وربما كان مصدر هذه الأصداف بلاد فينيقيا، اذ ان الرسومات التي عليها هي من أصول الفن الفينيقي المتأثر بحضارات عديدة.

ام البيارة وسلع:

لقد اشرنا الى ان الهدف من الحفريات، التي قامت بها المدرسة البريطانية برئاسة السيدة كريستل، كان التحقق من معادلة ام البيارة لسلع التوراتية، والجدير بالذكر، ان هذه المعادلة قد أنشأت على أساس ان كلمة سلع تعني الصخرة، وتساوي كلمة بترا اليونانية. ولكن حفريات كريستل دلت على ان ام البيارة لا تحتوى على آثار تعود الى عهد الملك امصيا، وكل ما اكتشف يرجع الى نهاية القرن الثامن والقرن السابع قبل الميلاد. زد على هذا ان النصوص التوراتية متضاربة فيما بينها، اذ تبدو سلع احياناً في الشمال، واحياناً أخرى في الجنوب، والواقع ان هناك موقعاً أخر بالقرب من بصيرة في منطقة الطفيلة لا يزال يعرف الى اليوم تحت اسم السلع. وهذه الصخرة المنيعة ترقى أليها طريق ضيقة وقد وجدت فيها قطع فخارية من العصر الحديدي الثاني. ولذا فإن سلع التوراتية هذه اقرب إلى سلع قرب بصيرة منها الى البتراء.

لقد دلت حفريات ام البيارة، على ان المنطقة كانت مأهولة في عهد الادوميين، قبل الانباط بعدة قرون. وقد لجأوا إليها لخزن بضائعهم اثناء الحروب. وقد وجدت لهم آثار معمارية على قمة الجبل، وإفريز يمثل اله الحب كيوبيد بين الزخارف النباتية، وعلى إي حال فان ام البيارة ان لم تكن سلع التوراتية، إلا أنها دون شك تلك الصخرة التي ذكرها ثيودورس الصقلي، كما اشرنا الى ذلك في أعلاه.

34- الطريق الى المذبح :

يقع هذا المكان المقدس على قمة جبل (صورة رقم 19)، انشأ في سفحه الشرقي المدرج الذي وصفناه سابقاً. ويمكن للزائر ان يصل الى هذا الموقع، إما من جهة المدرج، أو من جهة وادي فرسا. والأفضل ان يصعد من مكان وينزل من مكان أخر.

أما الطريق الذي ينطلق من وادي فرسا، فهو يبدأ عند قصر البنت، ويصعد الى الكاتوته ماراً بمعبد صغير لم يبق منه إلا عمود واحد، يسميه البدو عمود فرعون.

أما تلة الكاتوته فقد أجرى فيها المنقب بيتر بار بعض الحفريات، وقد ظهر بناء عظيم ذو حجرات متعددة كان داخلها مطليا بالجبص ومدهوناً بالذهب. مما يدل على تقدم الأنباط العمراني، ويعود تاريخ هذا البناء الى القرن الأول للميلاد.

وقد اكتشف دخيل الله قبلان، من عشيرة البدول كتابة نبطية، بينما كان يحرث أرضه القريبة من الموقع، وهذه الكتابة غير كاملة ولكن يمكن فهمها بوضوح.

هذا المعسكر (أو القصر) قد بناه...... ابن

ديودوروس قائد الفرسان ....

من اجل حياة الحارث ملك الأنباط

وهجير الملكة ... (زوجة؟)

مالك ملك الأنباط وأبنائه

في شهر شباط عام 18.

فالكتابة إذن ترجع الى عهد الحارث الرابع ملك الأنباط والى السنة الثامنة عشر من حُكمه أي الى عام 9 للميلاد.

وليس الغريب ان يكون الموقع قصراً، وفي الوقت نفسه موقعاً لمراقبة الطريق القادمة من بلاد مصر.

ربما سميت التلة (التكاتوته) لان الأنباط كانوا يلقون على سفحها الغربي نفايات المدينة، ولهذا يشاهد فيها المرء اكواماً من كسر الفخار الملون أو غير الملون النبطي.

وقد كان هورسفيلد قد أجرى بعض التحريات عن أسوار المدينة من هذا الجانب، ولكن هذه الاسوار غير واضحة المعالم في مجملها.

وادي فرسا : Wadi Farasah

ينزل هذا الوادي من سفح جبل المذبح، حتى يلتقي بوادي خروبة ابن جريم، بين ام البيارة والحبيس، ويزدحم في الوادي الضيق، مجموعة من الأضرحة معظمها من الطراز النبطي، (طراز الحجر خاصة). ولعل وجود واجهات معمارية متطورة،

إنما تشير الى كون المقبرة النبطية، التي تقع حول المدرج على السفح الشرقي، قد انتقلت الى هذه الجهة على الأقل في القرن الأول للميلاد.

35- قبر البستان Garden Temple Complex 244 :

وأهم المدافن التي تطالع الزائر المدفن رقم 244، ان العناصر المعمارية لهذه الواجهة لا تزال جلية المعالم. وتتألف من دعامتين، وعمودين ملتصقين فوقهما مثلث. وفوق الباب قوس تحمله دعامتان، تعلو كل واحدة منهما دعامتان قصيرتان. ومثل هذا القوس يعلو واجهة احدى المدافن من الجهة الشرقية للمذبح (رقم 154). أما حجرة القبر فليس فيها اية خزانة للدفن .

36- قبر الجندي الروماني : Tomb of the Roman Soldier 239

يقع هذا القبر في بداية وادي فرسا الشرقي الذي يقع أسفل جبل المذبح ، حيث يضيق الوادي حتى يصل الى قبر الجندي ،يبلغ ارتفاع هذه الواجهة تقريباً حوالي 13 متر ويبلغ عرضها تقريباً حوالي 12 متر ، تمتاز هذه الواجهة ببساطتها التي تتحاشى الرتابة التي تغلب على الفن المعماري النبطي، نحتت ثلاثة حنيات بين الأعمدة، وضعت فيها تماثيل لجنود رومان، وتمثال الجندي في الوسط انتزع رأسه، ويحيط به تمثالان آخران، وكون الجندي يرتدي الزي العسكري الروماني، لا يعني مطلقاً انه كان رومانياً، إذ ان الجنود الأنباط كانوا ولا شك يرتدون الزي الغربي.

يعلو الأعمدة مثلث مرسوم على اتيكا، مما يدل على ان السطح كان مستوياً، كما اشرنا الى ذلك عند الحديث عن قصر البنت، وتلك هي ميزة الأبنية المتأثرة بالفن المعماري الشرقي يزين الباب دعامتان فوقهما حنت ايوني، وإفريز دوري يعلوه مثلث. وتمتد امام المدفن ساحة، بني لها جدار استنادي، والساحة مزدانة بالأعمدة. ان الضريح مع ساحته، وقاعة الحفلات، تذكرنا بالكتابة التي تعلو قبر التركمانية، فهو شديد الصلة بالتقاليد الجنائزية النبطية. وليس من حرج ان نجعل من هذه الواجهة مع التريكلينيوم المقابل لها، احد منتجات الفن النبطي في بداية

القرن الثاني للميلاد. ولهذا فان اسم ضريح الجندي الروماني، الذي أطلق على هذا المدفن، إنما هو خاطئ في نظري.

تريكلينيوم وادي فرسا

ويقابل المدفن حجرة التريكلينيوم التي تحطمت واجهتها الأمامية، ولم يراعى الأنباط جمال الصخر الطبيعي داخل هذا التريكلينيوم، اذ ان الجدران كانت مغطاة بالجبص الملون (الفريسكو)، ولا تزال بقاياه على الكورنيش التي فوق الأعمدة.

ان وجود خزان الماء، فوق التريكلينيوم، مع حجرة ذات مدخل مزدان بالأعمدة، يخص المنشآت التي تتبع الضريح، فقد كان للخزان مصرف تتسرب منه المياه عند الحاجة، لتسقي حديقة كانت تمتد أمام الحجرة رقم 244 والتي تسمى (ضريح البستان) (صورة رقم 20)، وما أظنها كانت قبراً، لعدم وجود خزائن للدفن في داخلها.

37- نافورة الأسد : Lion monument

أمام الحجرة رقم 244، يصعد درج ضيق وصعب الى المذبح، ويصل هذا الدرج الى أسد ضخم نحت في الصخر الرملي وهو فاغرفاه، وتدل قناة صغيرة فوق رأسه، على ان المياه التي كانت تتجمع في خزان صغير، ثم تنزل من فم الأسد، ربما لتروي ظمأ الصاعدين الى المذبح. ومثل هذا التمثال اكتشف في قصر العبد في وادي السير، وهو يرجع الى القرن الثاني قبل الميلاد، ومما يشير الى صلة الحضارة النبطية بالحضارة الهلنستية.

38- ذو الشرى ونصبه :

على بعد 30 متراً من نافورة الأسد، وفي صخرة تشرف على وادي فرسا، نحت تمثال الآله ذو الشرى، بارزاً في إطار مستدير، وقد علا الغار رأسه، وذراعاه مزينتان بخلخال، كما كانت العادة عند الشرقيين. ان الازدواجية في تمثيل الآله بملامحه البشرية، وعلى نصب حجري، هي من خصائص الفن النبطي. وقد لاحظنا في القبر ذي المسلات الأربعة، ان هناك ازدواجية في وجود المسلات الأربعة، وبينها

تمثال إنساني، يخص دون شك احد الموتى.

على صفحة الصخر المائل للسواد، قبل ان يرقى الزائر منحدراً صعباً، يلاحظ عدة كتابات نبطية، وبينها رسم جنائزي وبقربها هذه الكتابة:-

ليذكر تيم بن عمران بالخير

ومثل هذه الكتابات، إنما نقشت على طريق المذبح، ليقرأها الحجاج الى المكان المقدس.

39- المذبح: High Place of Sacrifice

تلتقي الطريق الصاعدة من وادي فرسا، والطريق الصاعدة من المدرج، عند مصطبة صخرية تجثم فوقها مسلتان هرميتان. وقد اختلف العلماء في تحديد وظيفتهما، فمنهم من اعتبرها ذات طابع جنائزي، وآخرون ظنوا إنهما يمثلان آلهة نبطية. والواقع ان اعتبارهما نصبان جنائزيان صعب، اذ ان لا كتابة تشير الى ذلك، كما أنهما ليسا نصباً للآلهة، والمسلة مستطيلة الشكل غالباً. ولا بد ان نذكر هنا ان أمام المعابد المصرية كانت ترتفع مسلتان، لهما علاقة بعبادة الشمس، وان الديانة النبطية، كانت تقيم الشعائر الدينية للكوكب المضيء، كما أشار الى ذلك الجغرافي سترابو.

يحيط بالمذبح سور من الحجارة المنحوتة، والتي قطعت من المصطبة التي تعلوها المسلات، وهذا السور مزود بالأبراج، مما يجعل من حرم المذبح مكاناً اميناً، ربما لجأ إليه الأنباط اثناء الأخطار.

أما المكان المقدس، وهو واحد من الامكنة المقدسة المنتشرة في البتراء، فهو أجمل مذبح لا يزال محفوظاً، دون ان يطرأ عليه تغيير لكونه منحوتاً في الصخر. ويضم المذبح الأقسام التالية:

1- ساحة مستطيلة (6.50م×4.50م) يمكن للحضور ان يجلسوا على جوانبها الثلاثة، وفي وسطها قاعدة مستطيلة، كان يقف عليها عريف الحفلة، أو

ربما كانت لتمثال الآله أو تقيد فوقها الأضحية.

2- قاعدة مرتفعة فيها حفرة مستطيلة يثبت فيها نصب الإله، وأمامها درج صغير.

3- الى اليسار من هذه القاعدة، يقع المذبح الذي كانت تنحر عليه التقادم، وفي وسطه حفرة مستديرة يتجمع فيها الدم، ثم يسيل في أخدود صغير، ليتجمع في حفرة اكبر، واغلب الظن ان جزءا من الدم كان يرشق على نصب الآله.

وهناك حفرة أخرى، كانت توضع فيها المياه للاغتسال قبل نحر الذبيحة، ويلاحظ ان بركة صغيرة قد نحتت في الصخر شرقي المذبح لضمان كمية كافية من المياه.

ان الأعياد التي كانت تقام في الموقع، كانت دون شك موسمية، فقد كان للأنباط اعياداً سنوية، وأخرى في كل خمسة سنوات، يطلق عليها اسم (ذو سارية)، نسبة الى ذو الشرى، وهي تشبه الألعاب الاولمبية التي كانت تقام كل خمس سنوات.

يصعب معرفة نوع التقادم، التي كانت تقرب على المذبح، ولكنها لم تكن على أي حال بشرية، وربما كانت من الظأن والإبل، ويذكر القديس ابيفانيوس البيزنطي (القرن الرابع) ان الأنباط كانوا يحيون أعيادهم بالأناشيد والترانيم، وربما كانت آلات الطرب ترافق مثل هذه الأغاني الدينية(1).

يشرف الزائر على جزء كبير من البتراء من أعلى جبل المذبح، فيرى الى الشرق قرية وادي موسى، ثم الى الشمال جبال الخبثة، الذي يعلوه مذبح، يشابه الذي وصفناه، إلا ان الوصول إليه صعب. والى الغرب يرى الحبيس وقصر البنت، ثم جبل ام البيارة فجبال البره. فجبل هارون يعلوه مزار النبي هارون ذو القبة البيضاء.

40- الطريق الى مقام النبي هارون:

ينطلق الدرب الى مقام النبي هارون من قصر البنت، ويتجه الى الجنوب،

---

(1) Robinson, G.L., The Newly discovered "High Place" at petra, BW, 17, 1901, PP. 6-16.
Savignac, R., Le haut -Lieu de petra, RB. 1903, PP. 280-288.

ماراً بالكاتوته، وينحدر منها نحو وادي خروبة ابن جريم، حتى سفح ام البيارة، حيث يقوم عدد من المدافن النبطية. وتلك هي الدرب القديمة التي سارت عليها قوافل الأنباط، باتجاه مصر، وساحل غزة، وقد نحت الصخر احياناً ليسهل المرور للمسافرين، خاصة عند الموقع المسمى الثغرة. وتتجمع في هذا الموقع عدة مدافن أهمها (قبر الحية)، وهو عبارة عن كتلة صخرية مكعبة الشكل، تجثم فوقها حية ضخمة، قد التفت على نفسها، وبدأ رأسها مهدداً المارة. والمكعب غير مجوف، وهناك مدفناً يقع تحته، وفيه عدة خزانات للموتى. والحية هنا إنما تقوم بدور الحارس على المدافن، كما اشرنا الى ذلك عند الحديث عن قبر الحيتين عند مدخل البتراء. ويقع غربي الحية مدفن يرتفع على شكل برج، مزين بصف من المسننات، والصف الآخر قد زال لأنه بني من الحجارة المنقولة.

وفي جبل البرة، غربي الثغرة، يقع مدفن تعلوه الشراريف، وله باب مزين بالعضادات، وفوقه حنية يعلوها المثلث. واغلب الظن ان هذه الحنية، كانت تحتوي على تمثال جنائزي، وهناك خمسة فتحات في واجهة المدفن تشبه مرامي السهام.

يصعد الطريق نحو الجنوب، ويلاحظ المرء آثار قناة منحوتة في الصخر، كانت تصب في بئر تجمع أمطار الشتاء.

عند الموقع المسمى مقبرة البدول، حيث يدفن البدو أمواتهم، عندما كانوا يسكنون داخل البتراء. يستطيع الزائر ان ينحدر الى وادي وغيط، الذي يمتد عند سفح جبل هارون الشرقي، ثم يسيل نحو الغرب ليلتقي بوادي عربه.

في هذا الوادي الضيق، نقشت كتابات نبطية عديدة، ونحتت أنصاب الآله ذو الشرى، وعلى ضفة الوادي الشرقية، في حنية مستطيلة، أقيم تمثال آلهة جالسة على كرسي، بينما ترتكز قدماها على منصة خشبية، والآلهة ملتفعة برداء إغريقي، وقد حطم رأسها عمدا، وهي تطل على الوادي، وحولها كتابات نبطية، تركها المتعبدون، كما ان هناك آثار أقدام عديدة محفورة في الصخر، هي غالباً أقدام الحجاج.

يشبه هذا النحت البارز، التمثال الذي وصفناه في وادي السيغ، والذي

يخص الآلهة ايزيس، كما تشير الى ذلك الكتابة التي بقربه. وربما كان هذا النحت، يمثل الآلهة نفسها، لما هناك من شبه كبير بين التمثالين.

تستمر الطريق صعوداً نحو سطوح هارون، ثم تبدأ بتسلق الجبل بجهد كبير، حتى ليضطر المسافر ان ينزل عن راحلته عدة مرات، ثم ما يلبث ان يصل الى فسحة منبسطة، يشرف منها الى الغرب على وادي عربه، لا بل ويمكنه ان يرى قسماً كبيراً من الدير.

حفر عند كعب الجبل خزان للماء، رمم حديثاً وهو مغطى حالياً بالاسمنت، وكان سقفه محمولا على قناطر بينها بلاطات حجرية كما هي العادة عند الأنباط[1] من الخزان يصعد الزائر في درج مستقيم، فيه بعض الأخطار احياناً.

أما مزار النبي هارون، فهو عبارة عن حجرة مستطيلة أبعادها (6×7 متر)، ينفتح بابها الى الجنوب، ويرتفع سقفها على عقود فوقها قبة. وفي داخل الحجرة، قبر مغطى بقماش اخضر، وعلى واجهته الصغيرة المقابلة للباب كتابة عربية:-

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله إلا الله محمد رسول الله

أمر بإنشاء هذا المقام ..... المبارك مولانا السلطان الملك الناصر المجاهد المرابط الشاعر ناصر الد ....

والد

وتعود هذه الكتابة الى عصر المماليك.

يدعي البدو ان هذا القبر هو لحصان النبي هارون، لان قبر النبي هو تحت الحجرة. وفي الحائط الذي يقابل الباب على ارتفاع متر ونصف المتر، وضع حجر اسود، يتبرك به الزائرون، وتحت الحجرة يقع قبر النبي هارون، وينزل إليه درج مظلم على شكل قبة صغيرة، مغطاة بقماش اسود، وأمامه حاجز من الحديد.

ان وجود قبر النبي هارون، في قمة هذا الجبل المنعزل، يعود الى تقليد

(1) المحيسن، زيدون، المرجع السابق، ص67

قديم، اذ يذكره المؤرخ اليهودي يوسيفوس، وربما كان يعود الى القرن الثاني قبل الميلاد، أي الى عهد المكابيين. ومن المؤكد ان البيزنطيين أقاموا كنيسة في هذا الموقع، اذ ان الفسيفساء الزجاجية تكثر في المكان. كما وان المزار قد بني بحجارة قديمة منحوتة، وفي الجدار بعض قطع الأعمدة.

واغلب الظن ان الموقع كان مقدساً عند الأنباط ايضاً، وهو خاص بهم، ولا عجب في ان يحتل سكان البتراء، هذا الجبل الشاهق، اذ انه كان من أهم مراكز المراقبة التي ذكرها ثيودورس الصقلي، والتي كانت تسمح للأنباط، بالسيطرة على الطرق التجارية، وكشف تقدم العدو، حتى لا يتفاجأوا كما حدث ذلك اثناء حملة انتقونس.

للنبي هارون مقام عظيم بين بدو البتراء وسكان وادي موسى، فهم يصعدون الى قبره مرة في كل عام، بعد موسم الحصاد، وينحرون له الذبائح، ويقيمون له الصلوات.

واعتقد ان هذا الموقع لا يدل لا من قريب أو من بعيد على ان هنالك قبر للنبي هارون فهو عبارة عن مكان أصبح مزاراً للناس المحليين، خاصة من مناطق البتراء، ووادي موسى، وقد بني في أعلى هذا الجبل مسجد صغير يرجع الى العصر المملوكي. ويذكر ستاركي ان هذه المنطقة استعملت لإقامة الزيارات، وعمل انواعاً من التقاليد والفلكلور الشعبي، وليس له علاقة بالنبي هارون، الذي لا يوجد له قبر هنا[1].

-41 الكنيسة البيزنطية: Byzantine church

اكتشف مبنى الكنيسة أثناء مسح أثري قامت به البعثة الأمريكية للبتراء خلال عام 1975، غير أنه لم يعط أية أهمية للمبنى عندئذ، وقد عاد كنيث راسل الذي كان قد شارك في المسح المذكور الى الموقع عام 1990، حيث قام برسم مخطط أولي للمبنى بمعاونة كارول بالمر، وتعتبر هذه الكنيسة أولى الكنائس المبنية من الحجارة المعروفة في مدينة البتراء.

(1) Starkcy, J., Op. Cit. 1966. Col. 899-900.

ابتدأ العمل في مشروع الحفرية للكنيسة في عام 1992، وكشفت أعمال التنقيب عن وجود كنيسة ذات ثلاثة أروقة (صورة رقم 21)، بطول 28 متر شرق - غرب، وعرض 17 متر شمال - جنوب باستثناء الساحة والبرج الى الغرب، والغرف الجانبية الى الشمال والشرق، وللكنيسة ثلاثة مداخل رئيسة الى الغرب، في حين كشف عن المحاريب في الناحية الشرقية، كما وجدت ثلاثة مداخل جانبية في الجدار الشمالي تعود الى غرف تابعة للكنيسة في تلك الجهة، ولم توجد أية مداخل وغرف جانبية في الناحية الجنوبية للمبنى، يفصل صفان من الأعمدة بين الأروقة الثلاثة للكنيسة تاجياتها من طراز مركب مكون من جزأين: الأسفل كورنثي والأعلى ذو زخارف نباتية.

ومما يميز أروقة الكنيسة الثلاثة أرضياتها حيث رصفت أرضية الرواق الشمالي والجنوبي بالفسيفساء الملونة، بينما رصفت أرضية الرواق الأوسط ببلاط رخامي، وجد معظمه منزوعاً بعد دمار الكنيسة، وربما استعمل لتبليط أبنية لاحقة، ووجدت أمام المحراب الأوسط، منصة تصعد إليها درجات رخامية وجد معظمها مسروقاً، وعثر على احدى الدرجات التي أعيد استعمالها داخل برج الكنيسة، وقد بنيت المنصة في مرحلة لاحقة وهي مبلطة ببلاطات مربعة ومثلثة من الرخام والحجر الرملي، بينما بلطت أرضية المحرابين الشمالي والجنوبي بفسيفساء على شكل معينيات باللونين الأبيض والأصفر.

أما بالنسبة لزخارف الكنيسة بشكل عام، فقد وجدت الجدران الداخلية والأعمدة مغطاة بقصارة بيضاء. كما وجدت فسيفساء زجاجية من المتوقع أنها كانت تغطي أعالي الجدران والسقف، ذات أشكال هندسية بألوان متعددة جميلة (الأصفر، الأحمر، البرتقالي، البنفسجي، الأزرق والأخضر). كما وجد العديد من المكعبات الزجاجية المطلية بقشرة من الذهب، بالإضافة الى مكعبات من الرخام الأبيض، ولقد تركز وجود المكعبات وكسر الفسيفساء الجدارية في المحاريب وبين صفوف الأعمدة، مما يدل على أن لوحات الفسيفساء كانت تغطي أعالي تلك

المناطق.

ومن زخارف الكنيسة المميزة اللوحات الرخامية، حيث اكتشف عدد من أجزاء اللوحات المهشمة تصور زخارف جميلة، كما اكتشف في المحراب الجنوبي ستارة المذبح الرخامية وهي ايضاً مهشمة في موضعها الأصلي، وتم ترميمها حالياً ووضعت في مكانها الأصلي. ومن اللقى الرخامية النادرة، إناء كبير من الرخام الأبيض المموج بالأسود، يوجد على طرفيه لبؤتان، وعثر على هذا الإناء محترقاً ومهشماً بين صف الأعمدة الفاصل بين الرواقين الجنوبي والأوسط، ولكنه رمم وأعيد الى وضعه الطبيعي تقريباً.

بالنسبة لطريقة سقف الكنيسة، فلم تكشف أية حجارة مقوسة تدل على وجود أنصاف قباب فوق المحاريب، أو أقواس حجرية لرفع السقف بين الأعمدة، لكنه عثر على كميات كثيرة من ألواح الخشب المحترقة ومعظمها باتجاه شرق غرب، بالإضافة الى أعداد هائلة من القرميد، مما يدل على ان السقف كان عبارة عن جملونة مكسورة أو كاملة، مكونة من الخشب المغطى بالقرميد، كما وجدت كميات من الأخشاب بمحاذاة الجدارين الشمالي والجنوبي، ربما كانت تستعمل كمقاعد خشبية، ويمكن تتبع آثارها على طول هاذين الجدارين، ويعتقد أنها كانت تستعمل كمقاعد للعجزة وكبار السن.

أما بالنسبة لتأريخ الكنيسة فلم يعثر على أية كتابة تشير الى تاريخ بنائها، غير انه تم العثور على خندق في أساس الجدار الجنوبي، وقد إحتوى على كميات من الكسر الفخارية التي تعود الى القرن الخامس الميلادي، مما يدل على أن بناء الكنيسة تم في أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس الميلادي.

أما بالنسبة لأرضية الكنيسة، فأرضية المحراب الشمالي والجنوبي، طغى عليها الطابع الهندسي، حيث ظهرت على شكل معينيات هندسية، أما بالنسبة لمنطقة الرواق الشمالي، فقد احتوت على 28 صفاً، كل صف يحتوي على ثلاثة دوائر، تحتوي على تصاوير حيوانية ونباتية وآدمية. أما الرواق الجنوبي فقد قسم الى قسمين بالإضافة للمحراب، القسم الأمامي منه احتوى على ثلاثة صفوف، وكل

صف يحتوي على دائرتين متشابهتين، عليها تصاوير لحيوانات متقابلة ومتشابهة، أما القسم الخلفي فقد احتوى على أشكال هندسية دائرية ومستطيلة، داخلها رسومات فسيفسائية تمثل الفصول الأربعة وآله البحر والأرض والمعرفة(1).

البيضا : Beiyda

تقع البيضا على مسيرة ساعة ونصف مشياً على الأقدام شمالي البتراء، ويمكن الوصول الى الموقع عن طريق وادي موسى، الشوبك بواسطة السيارة، من مكان يسمى بئر الدباغات، فمن هذا المكان تتفصل طريق معبدة باتجاه الغرب، عبر تلال لا تزال تحتفظ ببقايا غابات السنديان ثم تتحدر هذه الطريق نحو منطقة البيضا والسيق البارد التي هي امتداد لجبال البتراء الرملية، ولكن لون الصخور في هذه المنطقة يميل الى الأصفر والرمادي، شأنها شأن جبال الرملة عند مدخل السيق.

كما تم قبل عدة سنوات فتح طريق معبد يربط وادي موسى بمنطقة السيق البارد.

أشرفت السيدة ديانا كيركبرايد هليبك، من المدرسة البريطانية للآثار في القدس، على سبعة مواسم من الحفريات من عام 1967- 1961، شملت مساحة دونمين تقريباً، وأسفرت عن اكتشاف قرية تعود الى الفترة النطوفية أو العصر الحجري الحديث (Neolithic)، ما بين 7000 و6600 ق.م.

وهي أقدم قرية تظهر في الأردن. مرت المستعمرة الصغيرة، بثمانية مراحل متعاقبة، إي بثمان طبقات الواحدة فوق الأخرى. سوف نصفها بإيجاز من أسفل الى أعلى:

---

(1) Peterman, G.L., Sensationnelle decouverte: des manuscrits byzantins a Petra. MDB, 88, 1994, PP, 40-41.
Fiema, Zbigniew T., The Petra Project, ACOR Newsletter, Vol. 5.1, 1993, PP. 1-3.
Frosen, J., and Fiema Zbiegniew T., The Petra Papyrii, ACOR Newsletter, Vol. 6-2, 1994, PP. 1-3.

الطبقة الثامنة:

وقد اختبرت تحت الطبقات 2و3 كانت عبارة عن منطقة مكشوفة، مكونة من عدة طبقات من الرمال، التي ظهرت فيها آثار استيطان ترجع الى العصر النيوليثي. ولم تختبر هذه الطبقات إلا على عمق متر واحد.

أما الطبقة السابعة:

فهي عبارة عن أرضية من الجص، وجدت فيها حفر مستديرة ربما كانت تشير الى وجود أعمدة خشبية، تحمل خياماً أو اكواخاً من القصب.

الطبقة السادسة:

تظهر أقدم البيوت التي وجدت في هذه القرية، وهي شبيهه بخلايا النحل، ذات استدارة غير منتظمة. وقد أقيمت الحجرات حول هيكل خشبي، مؤلف من أعمدة مغروزة في الأرض، وملتصقة بالجدران، يبتعد الواحد عن الأخر ما بين 30 الى 50 سنتمتر، وهذه الأعمدة كانت مشدودة الى عمود، مثبت في وسط الحجرة، بحيث تشبه عجل دراجة، وكان يعلو هذه الحجرات سقف من الخشب، والقصب، والشجيرات البرية، وكان مقصوراً بالجص من الداخل، ومن الخارج كانت تعلوه طبقة من الصلصال.

كانت كل خلية من المنازل، ذات جدران متداخلة، وبينها ممرات ضيقة احياناً، بينما تسهل أدراج صغيرة، التتقل من كان الى أخر. وعلى أي حال فان الأدراج دليل على أن الحجرات كانت تحت مستوى الأرض بقليل.

ان فن العمارة هذا متأثر دون شك بالمنازل البدائية، التي كانت تبنى من القش والطين، والتي تراءت آثارها في الطبقة السابعة.

الطبقة الخامسة:

فالتطور فيها واضح، اذ ان المنازل لم تعد متلاصقة في شبه خلايا النحل، بل أصبح كل منزل منفصل تماماً عن الآخر. لا بل أصبحت الحجرات اكبر حجماً، وأكثر اتقاناً في البناء. حتى بلغ قطر احدها ستة أمتار ونصف، وقد ثبت على مدارها 19 عموداً خشبياً، وآخر في وسطها بلغ قطره خمسين سنتمتراً.

وقد وجد سقف هذه الحجرة محروقاً، بحيث ان معالم كل عمود خشبي، كانت واضحة تمام الوضوح.

ظهرت في هذه الطبقة حجرات شبه مستطيلة، ولكن الجدران والزوايا لا تزال فيها بعض الاستدارة.

الطبقة الرابعة:

اختفت في هذه الطبقة الأعمدة الداخلية، التي كانت تشكل هيكل البناء، وفي نفس الوقت ظهرت المواقد، التي كانت فيما سبق تعتبر خطراً على المنازل.

ظلت البيوت مستقلة وبعضها مستدير، والبعض الأخر مستطيل، مع انحناء خفيف في الجدران والزوايا، وقد بلغ أبعاد أحدها 5×6 أمتار. كانت الأرضيات والجدران مغطاة بالجص، ومن المؤسف ان داخل المنازل كان نظيفاً، بحيث لم تجد المنقبة اثاراً لتحدد وظيفة هذه المنازل.

وتشير المنقبة، ان بعض بيوت الطبقة، تدل على بعض الغنى والرفاهية، بحيث يمكن التكهن بوجود طبقات اجتماعية متفاوتة الدخل.

الطبقتان الثالثة والثانية:

فتمتازان ببيوت مستطيلة الشكل، لها مدخل واحد على الجهة الضيقة. وتقسم البيوت من ستة حجرات صغيرة أبعادها (1×1.50متر)، كل ثلاثة منها تنفتح على ممر في الوسط، عرضه متر، وطوله ستة أمتار وبينها جدران متقابلة، وتظن المنقبة، ان هذه البيوت كانت حوانيت تقام فيها الأعمال اليدوية، من صناعة الأواني الحجرية والصوانية، وتظن الباحثة ايضاً، ان هذه البيوت كانت تحمل دوراً علوياً، لهذا فان القصد من الجدران الداخلية، ربما كان دعم الطابق العلوي.

وعلى إي حال، فان هناك شبها كبيراً بين هذه الأبنية، والمنازل القديمة في بعض القرى الأردنية، إلا ان المدخل في هذه الدور يوجد غالباً على الجهة الكبيرة، وان الجدران الداخلية هي في الواقع جزء من قنطرة، ولعل منازل البيضا كانت قناطر ايضاً، لم يبق لها اثر.

وعلى إي حال، فان هذه المنازل هي فريدة من نوعها في الشرق في ذلك العصر، اذ ان البيوت التي تحتوي على جدران داخلية، إنما تظهر في بلاد الأناضول في العصر الحجري النحاسي (Chalcolithic).

بقرب هذه المنازل، كشف التنقيب عن مساحات واسعة، محاطة بجدران، بحيث تشكل حظائر للحيوانات، ومن المعلوم ان سكان البيضا كانوا قد دجنوا الماعز البرية.

كانت منازل الطبقة الأولى غير واضحة المعالم، لأنها قد تعرضت للعوامل الطبيعية، ولكنها في مجملها تشبه بيوت الطبقة الرابعة.

تم العثور في القرية على 43 قبراً، معظمها لأطفال، بينها عشرة لأشخاص بالغين، وكان الأطفال يدفنون تحت أرضيات المنازل، ولكن معظم القبور كانت تحفر في البيوت المهجورة، كما وانه وجدت بعض الجماجم المفصولة عن هيكلها، مما يجعل هناك صله بين البيضا وأريحا النيوليثية، لا بل بينها وبين تل الرمد قرب دمشق.

كان سكان قرية البيضا، يتعاطون زراعة القمح، والشعير، ويجمعون الفستق البرى. كما وإنهم كانوا يعبدون الغزلان، والبدن، والثور الوحشي. وتدل بعض المكتشفات، على أنهم كانوا وثيقي العلاقة بسكان أريحا في العصر النيوليثي، وحتى بسكان آسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين. ولعل هجر القرية كان بسبب جفاف طرأ على المنطقة.

دلت بعض الطبقات، ان الموقع قد كان مأهولا في العصر الحجري المتوسط (Epipaleolithic)، أي حوالي 7000 -9000 قبل الميلاد[1].

---

(1) Kirkbride, D., The Excavation of a Neolithic Village at Seyl Aqlat, Beidha, near Petra ,PEQ, 92, 1960: 136-145, p1. 25-30.
Kirkbride, D., Beidha 1967: An Interim Report, PEQ, 100, 1968, PP. 90-96.

السيق البارد : es-Siq el-barid

كانت البيضا وأراضيها الزراعية السهلية الخصبة تزود البتراء بالغذاء، وخاصة مختلف أنواع الحبوب، كما زرع الأنباط هذه المناطق بالعنب، وقد تناثرت السلاسل الحجرية والجدران في مناطق واسعة من بيضا، ونحت في المناطق الصخرية القريبة من الأراضي الزراعية عدد كبير من نظم الري والخزانات، التي كانت تجمع فيها مياه الأمطار، وتم حصر العشرات من معاصر العنب المنحوتة في الصخور، وكانت تتوزع هذه المعاصر بجانب بساتين العنب. (لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن مراجعة موضوع نظم الري والزراعة عند الأنباط التي أشرنا إليها في أحد المواضيع السابقة). كما عثر على العديد من المضافات الدينية والإجتماعية التي كانت في العراء (أي لم تكن داخل غرف منحوته باستثناء بعض الأمثلة الموجودة داخل السيق البارد وفي المناطق القريبة منه)، كما عثر على بعض الرسومات والكتابات التي تتعلق بالديانة النبطية[1].

أما السيق البارد فقد سمي بالسيق كونه يشبه السيق الموجود في البتراء، ولكن السيق البارد عبارة عن شق في الصخر، ضيق جداً يصل أحياناً وخاصة قرب المدخل الى عرض متر واحد، كما أن طوله لا يتعدى مائتي متر. أما تسميته بالبارد فبسبب مناخه الجميل في أوقات الصيف، حيث أن أشعة الشمس تكون بعيدة عنه في معظم الأوقات، وأيضاً لكون السيق منطقة مفتوحة لمرور الهواء الطلق من خلاله. ويفضي السيق البارد الى المنازل والمضافات المتعددة المنحوتة بشكل جميل في الصخور. ويبدو ان هذه المنطقة كان يقطنها طبقة غنية من الأنباط، وجاء غناهم هذا بسبب مرور القوافل التجارية من مناطقهم، قادمة أو ذاهبة للبتراء مروراً بالبيضا (سيق ام العلدا)، وحتى وادي عربه، غرباً الى صحراء النقب وسيناء كذلك الى البحر المتوسط. كما كان سكان السيق البارد أصحاب الأراضي الزراعية الواسعة التي كانت تزود البتراء بمحاصيلها المختلفة.

(1) المحيسن، زيدون، **هندسة المياه والري عند الانباط العرب**، عمان،2002

وظهر غنى هؤلاء السكان من خلال منازلهم ومضافاتهم المنحوتة بشكل فني وجميل، سواء الواجهات الخارجية أو من الداخل (صورة رقم 22)، فقد إمتازت جدرانها بقصارتها الجميلة (الفريسكو) وأحياناً الملونة، والتي وجدت بعض الأمثلة منها في البتراء، وخاصة أحد البيوت في وادي السيغ، وقد اشتهر هذا الفن ووجد شبيه له في مدينة بومبي في إيطاليا، التي دمرها بركان فيزوف عام 79 ميلادي. وتعود هذه الفنون بالرغم من طابعها المحلي الى التأثر بالفنون الهلنستية. وظهرت فنون الفريسكو بشكل واضح في المضافة ذات المصطبتين أو البيكلينيوم (Biclinium) (صورة رقم 23)، الموجودة في السيق البارد، الذي يؤدي إليه درج منحوت يصعد من أرضية السيق البارد الى المنطقة العلوية، حيث تتواجد هذه المضافة التي زينت جدرانها بالقصارة البيضاء اللون، والمشكل عليها أشكالاً مستطيلة تشبه الجدران الحجرية، وقد طليت أضلاع هذه المستطيلات باللون الأحمر الداكن. وفي صدر هذه المضافة يوجد حنية على شكل نيش ضخم، سقفه نصف برميلي غطي بالقصارة، ورسم عليها بالفريسكو أوراق وقطوف العنب، وبعض أغصان الأشجار والأزهار، كما رسمت أنواع مختلفة من الطيور كالهدهد واللقلاق، ورسم الكيوبيد وبيده القوس، وكيوبيد آخر يحمل طيراً وكذلك رسماً للإله بان (Pan) يعزف الناي، وقد نحت داخل هذه الحنية أربعة كوات (نيش) إثنان في الصدر، وإثنان على يمين ويسار الحنية[1].

ويلفت الإنتباه أيضاً في السيق البارد إحدى الصالات (الحجرات) المحفورة في الصخور والتي أعطاها دلمان (Dalman) الرقم 841، وأعطتها تاريه (Tarrier)

---

(1) Tarrie, D., Graffiti et dessins rupestres relevées à Petra, Liber Annuus, 1992, pp. 359-361.
Abel, M., Le monument funéraire peint dصel-Bared, RB, III, 1906, PP. 587-591.
Dalman, G., Petra und Seine Felsheiligtumer, Leipzig, 1908, P. 347.
Horsfield, Op. Cit. 1908, PP. 79.
Tarrier, D., Op. Cit, 1988, PP. 90-91.

الرقم 97، وتقع هذه الصالة (الحجرة) ما بين التريكلينيوم رقم 840 والتريكلينيوم رقم 842[1]، كانت الجدران الداخلية لهذه الصالة مغطاة بألواح رخامية، لم يبقى منها إلا العشرات من الثقوب المحفورة، والتي كانت تثبت داخلها المسامير والمشابك الحديدية التي تحمل الألواح الرخامية. وكانت أعالي الجدران مغطاة بالقصارة. أما السقف فكان أيضاً مقصور ومشكل عليه المربعات والمستطيلات، ويوجد في مركز سقف الصالة، نحت على شكل دائري يشبه قرص الشمس، ربما رمز هذا الى إعتقاد الأنباط بآلهة السماء والكواكب، وإذا كان هذا صحيحاً فإن هذا الإعتقاد قد نقله الأنباط عن المصريين القدماء، الذين آمنوا بآلهة السماء وبالشمس خاصة، ويظهر التأثير المصري على الديانة والمعتقدات الدينية عند الأنباط، في المسلات المختلفة وتمثال الآلهة ايزيس، كما ان عادات الدفن واحدة تقريباً، أما أرضية الصالة فقد نحتت على جوانبها مقاعد لجلوس الأشخاص، ويبلغ عرض هذه المقاعد 35 سنتمتراً وارتفاعها 40 سنتمتراً، كما نحت نيش في صدر هذه الصالة بطول 1.40متر، وكان يوضع داخل النيش صنماً لأحد الآلهة النبطية. ونحتت في أرضية الصالة أيضاً مقابل المدخل، خطوط غائرة شكلت مستطيلين متصلين مع بعضهما، طول كل مستطيل 1.70 متراً وبعرض 1.30 متراً، حيث يمكن ان تكون هذه المستطيلات، مخصصة لعملية الإستقسام والضرب بالأقداح، عند صنم الآله الموجود داخل النيش، أما المقاعد فكانت للمحكمين أو للمشاهدين لعلمية الإستقسام. واستذكر هنا ذكر ابن الكلبي لعادات العرب في الجاهلية، عندما كانت العرب تستقسم وتضرب الأقداح أمام أحد الأصنام، ليكون شاهداً على ما فعلوا، وكانوا يفعلون ذلك أذا اختلفوا على أمرٍ ما[2]. أو ان هذه الصالة استعملت لبعض الألعاب النبطية وذلك لتوسطها بين

(1) Dalman, G,. Op. Cit, 1908, pp. 348-349.
Tarrier, D., Op. Cit, 1988, PP. 294-295.

(2) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1924 ، ص28

المضافتين.

ومن الجدير ذكره أن منطقة بيضا والسيق البارد، كانت تعتمد في حاجاتها المختلفة من المياه على الأمطار، حيث لا يوجد أي نبع مياه قريب. وتتوزع خزانات المياه المنحوتة في الصخور الأرضية للسيق البارد بإحجام مختلفة الأبعاد، كما وجدت السدود في أعلى جبال منطقة السيق البارد بأحجام مختلفة، وكانت مياه الأمطار تتجمع داخل هذه السدود، وعن طريق شبكة من قنوات المياه المنحوتة على الصخور العلوية، يتم تزويد هذه السدود، أيضاً بمياه الأمطار حتى تمتلئ بالمياه وكانت السدود تزود الخزانات الأرضية المنحوتة في داخل السيق البارد بالمياه الزائدة[1].

صبرا : Sabra

أحدى الضواحي النبطية الهامة التي تقع إلى الجنوب الغربي من البتراء، وتبعد حوالي ثمانية كيلومترات عنها. كانت صبرا إحدى المحطات التجارية التي تصلها القوافل القادمة من صحراء النقب ووادي عربة مروراً بمنطقة غرندل وموقع السادة احدى المحطات النبطية الواقعة على الطريق التجاري ومن ثم الى موقع صبرا، أما السادة فتبعد حوالي تسعة كيلو مترات عن موضع صبرا[2]. وتميز موقع صبرا بوجود مسرح منحوت داخل الصخور (صورة رقم 24)، وكان يستعمل للإجتماعات والحفلات المختلفة، كما تتناثر في المنطقة المنبسطة العديد من المنازل المبنية من الحجارة، وتم التعرف فيها على أحد المباني الذي خصص لسكن الجنود[3]، وربما كانت صبرا بالإضافة الى موقعها محطة للقوافل التجارية، كانت منطقة مراقبة وحماية عسكرية، خاصة وأن هذه المنطقة تعتبر جسراً مفتوحاً للدخول الى وسط مدينة البتراء. ويوجد في وسط الموقع نبع للماء، كما يوجد سد

---

(1) Al-Muheisen, Z., Op. Cit., 1986, PP. 102-104.
Al-Muheisen, Z., Maitrise de L'eau et agriculture en Nabatene: l'exemple de Petra, ARAM, 2, 1990, PP. 205-220.
(2) Al-Muheisen, Z., Op. Cit. 1986, PP. 130-132.
(3) Browning, I., Op. Cit. 1982, PP. 181-183.
Al-Muheisen, Z., Op. Cit, 1986, PP. 130-132.

ضخم في الجبال العلوية فوق منطقة المدرج، تتجمع فيه مياه الأمطار وكان يزود الموقع بالمياه.

خربة الذريح : khirbet edh-Dhrih

تقع خربة الذريح على الضفة الشرقية لوادي اللعبان، احد روافد وادي الحسا، بالقرب من الطريق المعبد، الذي يربط مدينة الطفيلة بمدينة الكرك، على بعد حوالي 20 كيلو متر شمال شرق مدينة الطفيلة، وعلى بعد حوالي 8 كيلو متر جنوب موقع خربة التنور.

لعب هذا الموقع دوراً هاماً ومميزاً في العصور الماضية، وبخاصة في الفترة النبطية، نتيجة لقربه من الطريق الملكي "طريق تراجان" ولطبيعته الجغرافية والزراعية، ولقربة من مصادر المياه، إضافة لقربه من الينابيع المعدنية الحارة في مناطق عفرا، والبربيطة، التي تقع على بعد بضعة كيلو مترات، الى الغرب من موقع خربة الذريح. كل هذه المزايا مجتمعة، جعلت لهذا الموقع أهمية إستراتيجية واقتصادية مميزة.

تعد فترة نهاية العصر الحجري الحديث، ما يقارب عام 5000 قبل الميلاد، من أقدم الفترات التي تم اكتشافها لغاية الآن في خربة الذريح، والتي تدل على استيطان جماعي في هذا الموقع، وتبعد منطقة الإستيطان هذه حوالي 400 متر الى الغرب من منطقة المعبد. وتم التنقيب أيضاً في منطقة تبعد حوالي 300 متر جنوبي المعبد، حيث كشف عن بعض الجدران، وآثار لأسوار مهدمة، وبعض القطع الفخارية التي تعود في تاريخها الى فترة الأدومية. ولقد أصبح للموقع أهمية كبيرة في الفترة النبطية، كما عثر على بعض الدلائل التي تشير الى استمرارية الإستيطان في هذا الموقع، خلال الفترات الرومانية والبيزنطية، والفترات الإسلامية المختلفة، ولا يزال هذا الموقع، يُستغل في زراعة الحبوب حتى وقتنا الحاضر ويشتهر بأشجار الزيتون والعنب، وبزراعة مختلف أنواع الخضار[1].

---

(1) المحيسن، زيدون، وفيل نيف، خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان، حولية دائرة الآثار العامة،34 ، عمان،1990 ، ص185

لم تكتشف لغاية الآن أي إشارة قديمة لأسم هذا الموقع (الذريح)، ونجد بعض الناس يطلق عليه اسم (الضريح)، وتعني المقام أو البناء الذي شيد فوق قبر، لشخص يكون في أغلب الأحيان رجل دين أو ذا شأن، كما تعني كلمة الضريح أحياناً القبر أو الشق في وسط القبر (حفر للميت ضريحاً)[1]. لكن الاسم الشائع عند غالبية الناس هو "الذريح"، كما وتشير الى هذا الأسم أيضاً سجلات دائرة الأراضي والمساحة. أمّا معنى كلمة الذريح فتجمع معظم المصادر التاريخية، ومعاجم اللغة بأن الذريح عبارة عن إسم مشتق من الذروحة أو الذريحة أو الذراح أو الذراريح، وهي عبارة عن حشرة طائرة أكبر من الذبابة، ومنقشة بألوان سوداء وحمراء وصفراء، ويقال ان لهذه الحشرة سم قاتل[2]. وكلمة ذرح تعني مزج (خلط اللبن بالماء)، فنقول (ذرح اللبن بالماء)، ويقال عسل وحليب مذروحٌ (مخلوط)، وترد أحياناً: طعام مذروح (طعام مذرح) وتعني مسموم[3]. غير أن كلمة الذريح بمعنى الهضاب[4]، تبقى من أقرب الأدلة على موقع خربة الذريح، حيث تتواجد فوق

---

(1) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج2،1968 ، ص 526
الفيروز، أبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، 1977 ، ص235
المنجد في اللغه والاعلام،1960 ، ص449

(2) ابراهيم، مصطفى، المعجم الوسيط، ج2،1980 ، ص310
ابن دريد، ابي بكر محمد بن الحسن الزدي البصري، كتاب جمهرة اللغة، ج2، القاهرة،1926
ابن مظور، المرجع السابق، ص441
الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس، ج2،1969 ، ص377
الفيروز أبادي، المرجع السابق، ص219
الازهري، ابي المنصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج4،1964 ، ص463
المنجد في اللغة والاعلام،1960 ، ص234

(3) ابراهيم، مصطفى، المرجع السابق، ص310
الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، اساس البلاغه، ج1، ط3،1980 ، ص296
الازهري، المرجع السابق، ص463
المنجد في اللغه والاعالم،1960 ، ص234

(4) ابراهيم، مصطفى، المرجع السابق، ص310
ابن منطور، المرجع السابق، ص441
الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج1،1956 ، ص363

هضاب متباينة الارتفاعات، وأحياناً ترد كلمة ذريح لتعني اسماً لصنم[1]. كما وتعني أحياناً الأمير (أمير لجماعة من الناس)، أو فحل من الإبل[2] ونأمل أن تكشف التنقيبات الأثرية في المواسم القادمة عن الأسم القديم لهذا الموقع.

يعتبر البريطانيان ايربي ومانغليس، أول من اكتشف خربة الذريح وذلك عام 1818[3] وتوالت زيارات الرحالة لهذا الموقع الأثري[4]، وتركزت الدراسات على منطقة المعبد، دون الإشارة الى موقع القرية أو المقبرة أو غيرها من الدلائل، ويعتبر نلسن جلوك من أوائل الأثريين، الذين كتبوا عن معبد خربة الذريح[5]. وذكر هذا الموقع أيضاً أثناء المسوحات الأثرية التي قام بها بيرتون ماكدونالد لمنطقة وادي الحسا[6].

وفي الأعوام 1983 و1985 و1987 كشفت التنقيبات الأثرية، التي قامت بها دائرة الآثار العامة، برئاسة زيدون المحيسن والمعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى برئاسة فرانسوا فيل نيف، عن معالم هامة في هذا الموقع النبطي، وقد تم نشر مقال عن بعض مواقع التنقيبات الأثرية في خربة الذريح في عام 1988[7]، تبعها نشر

الزبيدي، المرجع السابق، ص377
الفيروز أبادي، المرجع السابق، ص219
(1) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، 1979، ص6
(2) ابن منظور، المرجع السابق، ص441
الجوهري، المرجع السابق، ص363
الزبيدي، المرجع السابق، ص377
الفيروز أبادي، المرجع السابق، ص219
(3) Irby, C. L., and Mangles, J., Travels in Eqypt and Nubia, Syria and the Holy land, London, 1868, reprint 1985, p. 114.
(4) Brunnow, R.E. and von Domasweski, A., Die Provincia Arabia, 3 Vol., Strasbourg, 1904, 1905, p. 108.
(5) Glueck, N., Deities and Dolphins, The Story of the Nabataeans, London, 1965, p. 48.
(6) McDonald, B. et al., The wadi el Hasa Survey 1981, ADAJ 26, 1982, pp. 117-131.
(7) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Fouilles a Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987: Un village, son sanctuaire et as nécropoles aux époques nabatéenne et romaine (ler -lVème sieclès

عشرات المقالات العلمية، كما سيصدر المجلد الأول باللغة الفرنسية عن النتائج المفصلة للتنقيبات الأثرية للمواسم 1984- 1987 في هذا الموقع[1].

ومن أهم الأسباب التي ساعدت على الإستيطان في الموقع، منذ الفترات القديمة، توفر مياه الينابيع فيه، حيث توجد ثلاثة ينابيع (عين اللعبان وعين الذريح وعين الفضيح) ويعد نبع عين اللعبان من أشهرها وأهمها، حيث ورد إسم نبع الماء هذا ضمن نقش تم العثور عليه في خربة التنور[2]. ويذكر النص إسم شخص نبطي يدعى (ناتريل بن زيد أيل)، كانت تناط به مهمة إدارة وتوزيع مياه عين اللعبان، وقد أورد النص بالنبطية (راش عين اللعبان)، وتعني رأس أو رئيس عين اللعبان[3]. ومن المؤكد ان المنطقة التي عناها النقش المذكور هي منطقة خربة الذريح، التي توجد فيها نبع عين اللعبان، والتي تعتبر من أقرب المواقع النبطية الى موقع خربة التنور، ويبدو كذلك ان موقع خربة الذريح كان المكان الذي سكنه القائمون والمشرفون على إدارة معبد التنور. ومن الجدير ذكره أن إسم عين اللعبان، وما زال يطلق على منطقة النبع الحالية في موقع خربة الذريح، وما زال يطلق اسم اللعبان على الوادي المجاور لهذا الموقع، ويعد وادي اللعبان أحد الروافد الرئيسية لوادي الحسا.

وتم العثور في الموقع على مجموعة من قنوات المياه المنحوتة داخل الحجارة، تشبه الى حد بعيد نحت القنوات المائية في مناطق البتراء وما حولها[4]، وكانت هذه

---

ap. J-C.), Comptes -rendus de l'Academie des Inscriptions et Belles -Lettres, Paris, 1988, pp. 458-479.
المحيسن، زيدون، وڤيل نيف، فرانسوا، خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان، حولية دائرة الاثار العامة،34، 1990، ص5- 17

(1) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbet edh-Dharih, I-III, 1984-1987, Supplement de Syria, (Forthcoming.(

(2) Savignac, R., Le dieu nabatéen de la'ban et son temple, RB 42, 1937, pp. 405-422.

(3) Starcky, J., Le temple de Khirbet Tannur, RB 75, 1968, pp. 206-235.

(4) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Jordanie: Dharih, Le Monde de la Bible, 89, Paris, 1994, pp. 41-45.

القنوات تجمع مياه الينابيع في الموقع لتسقي منها مناطق القرية السكنية، والمعبد، وبعض الأراضي الزراعية المحيطة. كما قام الأنباط بجلب مياه الينابيع الموجودة في منطقة شيضم، الواقعة على بعد حوالي 6 كيلو متر جنوب شرق خربة الذريح، بواسطة قناة رئيسة كانت تزود الموقع بالمياه من الجهة الجنوبية الشرقية، وتم اكتشاف مجموعات كبيرة من الجدران الإستنادية، التي كانت تحافظ على تسوية المنحدرات، للحفاظ على عدم إنجراف التربة، ومن أجل تسهيل عملية ري المحاصيل. ويبدو أن أهم ما إشتهرت به خربة الذريح في القديم - كما هو الوضع حالياً - زراعة أشجار الزيتون وأشجار الكرمة، حيث تم الكشف عن معصرة للعنب، تقع الى الجنوب الشرقي من المعبد، وتتكون هذه المعصرة من مجموعة من الأحواض المستديرة المنحوتة في الصخر كما يوجد مربع محفور داخل الصخور، بالقرب من الأحواض الدائرية، كان يعصر في داخله العنب بالأرجل، ومن ثم كان ينقل الى داخل الأحواض المجاورة، ولقد كان الأنباط مشهورين بعمل معاصر العنب، كما هو الحال في مناطق البيضا قرب البتراء(1). ومن خلال اتساع مساحة هذه المعصرة وتعدد الأحواض المنحوته في داخلها، يبدو أنه كانت لها أهمية تجارية، تتمثل في تصدير وبيع النبيذ.

كما تم الكشف عن معصرة للزيتون، تقع الى جنوب من المعبد، وتوجد داخل القرية السكنية بين المنازل. تتكون المعصرة من بناء مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده 7متر×12.5متر، جدرانه الخارجية شبه منتظمة، وكانت الأرضيات مبلطة بحجارة غير منتظمة، ومثبتة ببعضها البعض بواسطة مونة كلسية، وتوجد بوابة

Al -Muheisen, Z., Maîtrise de l'eau et agriculture en Nabatène: l'exemple de Petra, ARAM, 2, 1990, pp. 205-220.

(1) Al -Muheisen, Z., Exemples d'installations hydrauliques et de techniques d'irrigation dans le domaine nabateen, in B. Geyer ed. Techniques et pratiques agricoles traditionnelles en domaine irrigue. Approches pluri -disciplinaires des modes de culture avant la motorisation en Syrie. Actes du colloque de Damas, BAH CXXXVI, Paris, 1990, pp. 507-513.

لهذه المعصرة في الجدار الشرقي. يحتوي هذا البناء في داخله على معصرتين للزيتون، موزعتين بشكل متناظر، وتقعان بالقرب من الجدار الشمالي الغربي. وكان نظام بناء هاتين المعصرتين مألوفاً في الفترة الهلنستية، أما طريقة هرس الزيتون والحصول على الزيت في هذه المعصرة، فإنها تعود الى نهاية القرن الأول قبل الميلاد[1]. أما بالنسبة لقطع العملة التي تم العثور عليها داخل هذا البناء، فتعود في مجملها الى الفترة الواقعة ما بين عام 70- 40 ميلادي.

وكان عصر الزيتون يتم في هذه المعصرة، على مرحلتين مختلفتين، في الأولى يوضع الزيتون داخل صحن حجري كبير، ويتم هرسه بواسطة دولاب ثقيل متحرك من الحجر (بَدّ)، يدور داخل الصحن الحجري. وفي المرحلة الثانية يتم عصر الزيتون المهروس، بواسطة حجر ثقيل يتحرك الى الأعلى والأسفل، فوق حجر ذي سطح مستوٍ، يعصر عليه الزيتون، وتسيل هذه العصارة، في داخل قناة محفورة على أطراف الحجر المسطح، وتنتهي هذه القناة بفتحة يخرج منها الزيت، ويصب في حوض شبه دائري يقع في أسفل أرضية المعصرة. إن وجود هذه المعصرة الكبيرة، يدل على إشتهار هذا الموقع الأثري بزراعة الزيتون. وتم العثور في داخل هذه المعصرة، على العشرات من القطع الفخارية النبطية الملونة، وغير الملونة كالزبادي والصحون، وتم العثور على سراج من البرونز.

ويبدو أن منطقة المعصرة، كانت قد تعرضت لحريق رافق زلزالاً ضرب الموقع، بل من المؤكد أن هذا الزلزال وبالتالي الحريق الموافق قد حصل في وقت قطف الزيتون (يقطف الزيتون حالياً في خربة الذريح في نهاية شهر تشرين الأول)، أي أن الحريق قد حصل أثناء عمل هذه المعصرة بدليل العثور على المئات من ثمار الزيتون المتفحمة داخل أحواض الزيتون الموزعة في المعصرة، كما أن طريقة تنظيم وترتيب الأدوات والأواني الفخارية توحي بذلك. وفي المواسم اللاحقة تم العثور على عدد آخر من معاصر الزيتون في الموقع.

أقيمت على ضفتي وادي اللعبان وخاصة الضفة الشرقية مجموعة من

---

(1) Pliny, Natural History, XVIII, p. 317.

طواحين الماء، التي كانت تستخدم لطحن القمح، وتدار بواسطة قوة وضغط مياه الأمطار، التي تسيل في أوقات الشتاء، والربيع في هذا الوادي، وكانت تحول مياه الوادي، بواسطة قنوات ضخمة تبنى بشكل مائل، لتساعد على سرعة جريان المياه وقوتها، لكي تقوم بإدارة أحجار الرحى داخل تلك الطواحين، وهناك أمثلة مشابهة لهذه الطواحين في مناطق وادي عفرا القريبة من موقع الذريح وفي وادي موسى وفي فينان في وادي عربة[1].

معبد الذريح

يقع المعبد في الجهة الشمالية من خربة الذريح، على الضفة الشرقية لوادي اللعبان. وقد أقيم المعبد على منطقة منبسطة تبلغ أبعادها 45متر×115متر (صورة رقم 25)، ويتكون المعبد من ساحتين كبيرتين. وبني المعبد في الجزء الشمالي من الساحة الثانية، بشكل مستطيل أبعاده 16.8متر × 22.8متر، وفي موسم التنقيبات الأثرية الأول لعام 1984، وعندما أزيلت الأنقاض من أمام أرضية المعبد ووسطه، بدا لنا واضحاً وجلياً شكل هذا المعبد وتخطيطه. أهم ما يلفت النظر في هذا المعبد، هو الواجهة الأمامية ذات التصميم والزخرفة البالغة الدقة والجمال، ولكن للأسف تهدمت الجدران العلوية لهذه الواجهة بفعل الزلزال، غير أنه كان بالإمكان إعادة تصميمها (على الورق)، بعد إزالة الأنقاض عن الحجارة المتساقطة من هذه الواجهة، وكانت مواضيع الزخرفة المنحوتة، على حجارة هذه الواجهة بشكل خاص، والواجهات الأخرى بشكل عام، تمثل لوحات هندسية ونباتية وأحياناً أدمية، منحوته داخل إطارات يغلب عليه الطابع الهلنستي المتأخر، وتشبه الواجهة الأمامية لهذا المعبد، بعض الواجهات النبطية المنحوتة في البتراء، وبخاصة بعض واجهات القبور النبطية كقبر الجندي الروماني. أما منطقة المنصة المقدسة فهي مربعة الشكل محاطة بالأعمدة، وقد بنيت هذه المنصة فوق حجرتين صغيرتين، ربما استعملتا الأغراض دينية تقام داخل هذا المعبد، وكان يحيط بهذه المنصة

---

(1) Al-Muheisen, Z., Modes d'installations agricoles nabatéennes dans la région de Petra et dans le wadi Arabah, SHAJ 4. 1992, pp. 215-219.

المقدسة في الأسفل، ممر يبلغ عرضه 75 سنتمتر زينت مداخله الأمامية بزخارف نباتية وهندسية منحوتة تشبه كثيراً الزخارف المنحوتة في معبد خربة التنور، التي - على ما يبدو - قد نحتت وزخرفت في نفس الفترة، وربما في نفس المشغل، كما ان هذه الزخارف تشبه كثيراً الزخارف المنحوتة على بوابة قوس النصر في البتراء. وتم العثور على بعض تيجان الأعمدة التي تحمل زواياها منحوتات لرؤوس الأسود، وتجدر الإشارة هنا الى أوجه الشبه بينها وبين رؤوس تيجان الأعمدة التي وجدت في معبد الأسود المجنحة في البتراء. وكانت بعض الجدران الداخلية لهذا المعبد، وخاصة جدران الممر، مغطاة بطبقة سميكة من القصارة مرسوم عليها أشكال هندسية بنية وحمراء وسوداء اللون.

نلاحظ أن المظاهر المعمارية، والأنماط الزخرفية في معبد خربة الذريح، تنتمي الى الطرز والمظاهر المعمارية، التي كانت سائدة ومعروفة في الفترات الهلنستية، وخاصة المتأخرة منها، كما في بعض المباني التي اكتشفت في آسيا الصغرى وبعض المدن اليونانية. ولكن يجب التركيز هنا على الطابع النبطي الخاص، الذي غلب على مخطط هذا المعبد والذي يشبه مخططات معبد التنور، ومعبد الأسود المجنحة في البتراء، ومعبد اللات في وادي رم، ولقد امتاز هذا المعبد عن غيره من المعابد النبطية بزخارفه المعمارية النادرة (صورة رقم 30)، وقد تأثرت منطقة المعبد بالزلزال الذي رافقه حريق كان تأثيره كبيراً في منطقة المعبد، ويدل هذا على احتواء المعبد على الأخشاب المستعملة في البناء، وقد تم العثور على قطع أخشاب متفحمة في داخل طبقة الرماد.

كشف المجس الأول، أن المعبد يمتاز بوجود حرمين أحدهما داخلي، والآخر خارجي، وكشف في المجس الثاني، عن بوابة الحرم الخارجية، التي أغلقت في الفترة البيزنطية، وترك فيها باب صغير أغلق في الفترة الإسلامية، والمجس الثالث، الذي نُقب فيه كان في الجهة الشرقية من حرم المعبد، حيث يُعتقد أنّها تحتوي على الباب الشرقي، الذي يفضي الى البناء المستطيل(الإداري)، وبقية المنشآت المعمارية النبطية في ذلك الإتجاه. وكان من نتائج هذا المجس أن عُثر على

بعض الجدران، وعلى العتبة العليا، ذات الزخارف النباتية والهندسية.

تم التنقيب في منطقة وسط المعبد، والتي أعيد استعمالها في الفترة البيزنطية ككنيسة. ومن أهم الدلائل على هذه الكنيسة منطقة المحراب، التي تقع في الجهة الشرقية، كذلك العثور على نحت للباب منحوت عليه صليب. كما عثر على أحد الأبواب الحجرية، منحوت عليها أشكال مختلفة من الصلبان. وقد تواصلت أعمال الترميم والصيانة لمنطقة المنصة الرئيسة للمعبد وبعض الغرف الصغيرة، تمهيداً لفتح المجال أمام السواح والزوار لزيارة هذا المعلم الأثري الهام.

ووجد أمام المدخل الرئيس الخارجي لبوابة المعبد تمثال حجري ضخم للإله "هيرمس ميركوري"[1]، مكسور منه قطعتان، وذلك إثر سقوطه من الجدران العلوية الخارجية، أثناء الهزة الأرضية التي ضربت منطقة المعبد. وعثر على هذا التمثال بين الطبقتين الأثريتين النبطية والبيزنطية، وهو مصنوع من الحجر الجيري الأبيض، ويعد من أكبر التماثيل التي تمثل الإله "هيرمس ميركوري"، التي عثر عليها في خربة التنور وفي البتراء، كما يعتبر التمثال الوحيد الذي لم يتعرض لأعمال التخريب، وبقيت ملامحه محافظة على جمالها ودقتها. وهناك أمثلة عديدة في المواقع النبطية الأخرى، لتمثال هذا الإله والذي كان يقدسه الأنباط. ومن أشهر

---

(1) Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbet edh -Dharih, Liber Annuus, XLIII, Jerusalem, 1993, pp. 486-489.
Al -Muheisen, Z., and Villeneuve. F., Jordanie: Dharih, Le Monde de la Bible, 89, Paris, 1994, pp, 41-45.
Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, Khirbet edh -Dharih, AJA, 1995, pp. 521-522.

زيدون المحيسن، فرنسوا ڤلينوف، مولاي حانيف
خربة الذريح إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم، أدوماتو،2004 ، الرياض، ص ٣٤-٨٥
لمزيد من المعلومات عن خربة الذريح مكتوبة بالعربية، انظر رسائل الماجستير التالية تمت بإشراف المؤلف
بعاره، الزخارف المعمارية في خربة الذريح،1993
شديفات، عادات الدفن النبطية في خربة الذريح،1994
الروسان، العمارة السكنية النبطية في خربة الذريح،1995

الدراسات عن هذا الإله أعمال العالم الأب جان ستاركي، والذي ذكر علاقة هذا الإله مع الإله النبطي (الكتبا)، المعروف أيضاً في العالم النبطي، وخاصة في العاصمة البتراء، وعلاقته أيضاً بالإله العربي (رضا). ويعتبر الإله "هيرمس ميركوري" حامياً وراعياً للتجارة والقوافل التجارية، التي كانت تلعب دوراً مهماً في حياة الأنباط الإقتصادية، وهذا يعزز أهمية موقع خربة الذريح، ودورها الإقتصادي الهام في التجارة. كما عثر على مجموعة أخرى من التماثيل المختلفة، وكان لبعض هذه التماثيل علاقة بالإله النبطي ذو الشرى (ديونيسيوس، زيوس، بعل). كما تم العثور على تمثال يمثل رأس المدوزة (إحدى الفرعونات الثلاثة)وهذا التمثال معروف أيضاً في العالم النبطي وخاصة في البتراء. ووجود هذه التماثيل المهمة وتنوعها، يدل على أهمية هذا المعبد، وهذا الموقع الأثري. وفي المراسم اللاحقة تم العثور على مجموعة كبيرة من التماثيل النبطية التي تمثل الأجرام السماوية (صورة رقم 1 ورقم 26). وهذه الاكتشافات الهامة أدت الإستمرار في عمليات التنقيب في هذا الموقع والتركيز على عمليات الصيانة والترميم، لإعادة واجهات هذا المعبد الى مكانها الأصلي. وكشفت أعمال التنقيبات في الساحة الخارجية للمعبد، عن مزيد من المباني التي تعود للفترة البيزنطية والأموية والفترات الإسلامية اللاحقة، وهي مبنية على أرضية المعبد المبلطة، وتمثل هذه المباني استيطاناً بيزنطياً وأموياً مهماً، تمثل بوجود العديد من الغرف والممرات، التي استعملت غالبيتها للسكن. كما كشف عن حمام بخاري نبطي في هذه الساحة، وتم العثور مؤخراً على المذبح في الجهة الشرقية من المعبد.

المبنى الإداري المستطيل (F.R)

يمثل هذا البناء أحد المباني الرئيسية في الموقع (صورة رقم 27)، والتي بدأ العمل بها منذ عام 1985 وأظهرت الشكل المستطيل أو المخطط العام للبناء

الضخم، الذي يتراوح حجمه ما بين (15، 16م- 20، 22م)، وقد أطلق عليه الإسم السابق بناء على شكله، وأطلق عليه أحياناً إسم القصر أو المبنى الإداري للتدليل على أهميته ووظيفته التي لم يتأكد للآن طبيعتها، ولكن بناءً على ضخامته وموقعه المميز والقريب من منطقة المعبد وبالتحديد الى الشرق منه.

لقد أعتمد بالبداية على أسلوب الحفر الطولي؛ الذي يسمح بكشف أكبر مساحة ممكنة من المنطقة، دون الإهتمام بالوصول الى الأرضيات. وكان الهدف من ذلك التعرف على طبيعة المخطط العام لهذا البناء؛ وهو ما يسمح بالتعرف على شكله وأبعاده وتصميمه الداخلي قبل الإنتهاء من حفر المبنى كاملاً.

وبناء على ما تم العمل به في المنطقة، فقد كشف عن عدد من الغرف الصغيرة نسبياً تقع في الجهة الشرقية من المبنى، واعتبرت كل منها وحدة منفصلة وأخذت الأرقام (R-4, R-3, R-2) من الشمال الى الجنوب. كانت الغرفة (R-2) تمتاز بوجود بوابة صغيرة تقع في الجهة الغربية للغرفة الوسطى رقم (1) أما وظيفة الغرفة السابقة فقد أقترح أنها أستخدمت لأغراض التخزين، والجدير بالذكر هنا أن تلك الغرف قد بني فوقها طابق ثان من الغرف التي تهدمت؛ والتي يعتقد أنها كانت ترتبط بالغرف السفلية عن طريق فتحات في السقف، تم الوصول منها الى غرف الخزين السفلى، ربما بوجود سلالم خشبية، وقد دل على الطابق الثاني وجود أقواس تقع فوق مستوى سطوح الغرف بإرتفاع مناسب يسمح بوجود غرف إضافية علوية.

بمحاذاة الغرف الصغيرة السابقة والى الغرب منها، كشف عن جدران خاصة بغرفة مستطيلة كبيرة نسبياً، أطلق عليها رقم (R-1) والتي يتوسطها عدد من الأعمدة الحجرية، بلغت ستة أعمدة وقسمت الغرفة الى قسمين متوازيين أو متماثلين. حجارة الغرف الصغيرة بشكلها غير المنتظم، إختلف عن حجارة جدران الغرفة الكبيرة (R-1) بتشذيب حجارتها بصورة جيدة، والذي يدعو الى الأستفسار. أما تقنية البناء فقد تمت بوضع صفين متوازيين من الحجارة الكبيرة، والتي ملئت الفراغات فيما بينها بحجارة متوسطة وصغيرة الحجم وطبقات من الطين، بالإضافة

لأستخدام الجص كمونة أحياناً، والذي لا زالت آثاره باقية للآن. بالإضافة لعثورنا على كميات من قطع الجص الكثيرة التي كانت بالتأكيد مادة بنائية هامة أستخدمت أحياناً كأرضيات لتشكيل العديد من الزخارف والأشكال الملونة (فريسكو) وقد إمتازت بوجود رسومات هندسية ملونة باللون البرتقالي والبني والأسود على أرضية أو خلفية بيضاء. أما أرتفاع هذه الجدران فقد تراوح من جهة لأخرى تبعاً لإنحدار المبنى نحو الشمال، الذي وصل الى أدنى مستوى له بتأثير الإنجرافات وغيرها، وأمّا في الجهة الجنوبية فقد وصل الى أعلى مستوى له والذي لم تسقط سوى القليل من حجارته العليا.

لقد أقترح في المواسم السابقة أن المبنى يتكون من طابقين، دلّ عليه عدم وجود نوافذ تهوية وإنخفاض مستوى السقف، بالإضافة لوجود الأعمدة وحجارة الأقواس، والتي أقترح أنها وجدت لحمل الطابق الثاني.

وأمّا اللقى الأثرية ضمن الغرف السابقة للمبنى، فقد تراوحت بين الكميات الضخمة من قطع الفخار الملونة وغير الملونة، العائدة لفترات مختلفة (نبطي، روماني، بيزنطي)، بالإضافة للعديد من قطع العملة البرونزية (الرومانية)، وهناك قطع الجص المختلفة التي تمثل إحداها وجهاً بشرياً، والأخرى قطع من الفريسكو الملون، والعديد من الأسرجة الفخارية وسراج برونزي أرّخ للفترة الرومانية، بالإضافة لكميات من عظام الحيوانات وبعض القطع الزجاجية.

وتم التنقيب في المنطقة الواقعة الى الغرب من الغرف الأرضية، وكشف عن البناء المستطيل الذي يقع أمام الغرف، وكان عبارة عن صالة واسعة مستطيلة الشكل، يغطيها سقف يرتكز على قناطر حجرية مزدوجة، وتتصل هذه الصالة ببناء آخر تابع للمبنى، يقع في الجهة الغربية، عن طريق بوابة تقع في الجهة الشمالية الغربية، وهذا البناء عبارة عن صالة مستطيلة واسعة استعملت للضيافة "تريكلينيوم"، حيث بنيت مصاطب هذه المضافة، على طول الجدران الغربية والجنوبية والشرقية، وقد تم العثور على أساسات للقناطر التي تحمل سقف هذه المضافة في الجدارين الشرقي والغربي، وكشف في داخل الجدار الجنوبي عن ستة

فتحات مستطيلة بشكل كوة "نيش"، كانت تستعمل لوضع العديد من الحاجيات المستخدمة في هذه المضافة. وتعتبر هذه المضافة "تريكلينيوم" البناء النبطي الوحيد المبني من الحجارة الذي لم يعثر على مثيل له لغاية الآن، ومن الجدير ذكره ان جميع المضافات النبطية الدينية والرسمية والخاصة والجنائزية منحوته داخل الصخور وتتوزع في مناطق العاصمة البتراء والسيق البارد ومدائن صالح. وفي المواسم اللاحقة تم الكشف عن مضافات عديدة تقع إلى الجنوب من المعبد، وحمام بخاري.

المبنى الرئيس (القصر)

بدأت التنقيبات في هذه المنطقة في الموسم الخامس 1992، إذ تم فتح حوالي اثني عشر مربعاً بمساحة تعادل 200 متر مربع. وتم الكشف عن مجموعة من الغرف الكبيرة الحجم ذات الأرضيات المبلطة، وكانت سقوف هذه الغرف ترتكز على عدد من الأقواس (القناطر).

في الموسم السادس 1992، فتحت مربعات جديدة في هذه المنطقة، بلغت 21 مربعاً، وتم الكشف عن بناء ضخم يتجه شمال غرب - جنوب شرق، له مدخل يبلغ عرضه 1.5متراً يقع في منتصف الجدار الشرقي (المربع ON12). يؤدي هذا المدخل الى ساحة كبيرة بطول حوالي 9.30متراً وعرض 8.25متر، وقد تبين ان هذه القاعة تعود الى الفترة الأولى لإستعمال هذا البناء، أي الفترة النبطية، وقد أعيد استعمالها في الفترة النبطية المتأخرة، وكذلك في الفترة البيزنطية، وفي الجهة الجنوبية الشرقية من هذا المبنى، تم بناء غرفتين مربعتين كبيرتين (رقم 1و2)، تبلغ أبعادهما حوالي 5.20×5.20متراً، وكان سقف كل غرفة يرتكز على قنطرتين (عقدين) في الجهة الشرقية والغربية من كل غرفة، ويبلغ عرض كل قنطرة حولي 60 سنتمتراً. بنيت هذه العقود من حجارة جيرية متقنة الصنع والتشذيب. وتفتح أبواب هاتين الغرفتين على الجهة الشمالية، من الجدار الغربي للغرفة رقم 2 بأبعاد 4.60×4.50متراً، احتوت الغرفة الثالثة على مدخلين، الأول يؤدي الى الجهة الشمالية بعرض 1متر، والثاني يؤدي الى الجهة الجنوبية بعرض 90 سنتمتراً، ويحيط بهذه الغرفة موزع (ممر) من ثلاثة جهات، ومن الممكن ان يكون

هـذا الممـر وهـذه الغرفـة رقـم (3)، علـى إرتبـاط مباشـر بغرفـة حمـام التـسخين (المرجل)، حيث كانت تستخدم كمخزن للحطب وللتهوية، وهنـاك درج منحـوت في الصخر، يقع الى الجهة الشمالية من هذا الممر، ويؤدي الى فتحة المرجل.

أمـا غرفـة الحمـام (الـساونا) رقـم 17 فتتكـون مـن قـسمين، القـسم الأول: الـسفلي، وهـو الفـرن أو المرجـل، والـذي يـزود الجـزء العلـوي بـالحرارة. وقـد بنيـت الجـدران الداخليـة لهـذا القـسم الـسفلي مـن الحمـام، مـن الطـوب الحـراري الأحمـر، حتـى يقـاوم الإحـتراق. وكانـت أرضـيته ترتكـز علـى أعمـدة مـن الطـوب الأحمـر المستدير الشكل. ويتكون كل عمود من 13 قطعة مستديرة من هذا الطوب، يبلـغ قطرهـا 16 سنتمتراً وسمكها 5سنتمتراً، وقد ثبتت هـذه القطـع مـع بعضها بواسـطة مونه (بلاستر) رقيق، لتكون عموداً حاملاً للسقف العلوي للفـرن، الـذي يعتمـد علـى عشرين عموداً توزعت في أرضية الفرن (المرجل) بشكل شبكي، وتعلو كل عمـود قطعتـان مـن القرميـد أو الآجـر (الطـوب الحـراري الأحمـر) مربعـة الـشكل 23×23 سـنتمتراً، تحمـل سـقفاً مغطـى في الأسـفل بالقرميـد الأحمـر، تبلـغ أبعـاد كـل لـوح قرميدي 50×50 سنتمتراً وبسمك 2.50 سنتمتراً. وقد وجـدت مجموعـة مـن القنـوات المحفورة بشكل عمودي داخل الجدارين الجنوبي والغربي للحمام، يبلـغ عرضـها 12 سـنتمتراً وعمقهـا 11 سـنتمتراً، وضـعت في داخـل الفـرن لتنقـل الحـرارة الى غرفـة الحمام في الأعلى، وكذلك لأبعاد الدخان الناتج عن حـرق الحطـب داخـل الفـرن الى أعلى سقف الحمام.

أما الغرفة رقم 16 المشتركة جدرانها مع غرفة الحمام، فهي تشكل وحدة واحدة مع غرفة الحمام، وربما كانت للبخـار. وتـرتبط هـذه الغرفـة مـع الممـر والموزع الرئيس في المبنى، عن طريق بوابة تقع في النهايـة الـشمالية للجـدار الـشرقي مـن هـذه الغرفـة. وقـد تم العثور أيضاً علـى مجموعـات أخـرى مـن الغـرف الـكبيرة والـصغيرة المتعددة الإستعمالات، واسـتخدم بعضها للطبـخ، وكانـت جميـع جـدران غـرف هـذا المبنـى مغطـاة بالبلاسـتر، وبعـض الغـرف كانـت تحمـل داخلـها رسـومات (فرسـكو) ملونة.

وعثر داخل الغرفة رقم 15 المتجهة شرق غرب، والتي تبلغ أبعادها 4×4 متراً على معصرة للعنب في زاويتها الجنوبية الغربية، وتتكون المعصرة من حوض كبير كان مرصوفاً ببلاطات حجرية، يتصل بحوض صغير له قناة ضيقة تؤدي الى الحوض الرئيس لهذه المعصرة، وهذا الحوض مقطوع في الصخر بشكل مستطيل بطول 77.5 سنتمتراً وعرض 63.5 سنتمتراً وعمق 36 سنتمتراً.

من خلال المكتشفات الفخارية والزجاجية وبعض قطع المسكوكات، التي عثر عليها داخل مربعات هذا البناء، استطعنا تأريخ هذا المبنى الى القرن الأول الميلادي، واستمر استعماله في القرون اللاحقة، وكذلك في الفترة البيزنطية، كما عثر على الفخار النبطي الملون الرقيق، في مناطق متعددة من هذا المبنى. كما تجدر الإشارة الى وجود آثار تدل على تدمير حصل بفعل هزة أرضية، أرخت فترة هذا الدمار الى النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، ويبدو أن هذا البناء كان قصراً لحاكم المنطقة، نظراً لضخامة حجمه وموقعه المطل على المعبد، ولقربه من منطقة المبنى الإداري (F.R).

المنطقة السكنية

تتكون هذه المنطقة من مجموعة من المنازل الكبيرة والصغيرة، المنتظمة البناء ذات الحجارة المشذبة، والتي بنيت بطريقة متينة الصنع، وتتوزع المنطقة السكنية الى الشرق والجنوب الشرقي من منطقة المعبد فوق هضبة مرتفعة. تم اختيار الموقع داخل المنطقة السكنية للتنقيب فيه، ويبعد حوالي 30 متراً جنوب شرق المعبد، وهو عبارة عن بناء منتظم الشكل أبعاده 35متراً × 35متراً.

تم الكشف في داخل هذا البناء عن حجرة مربعة أبعادها 5متر× 5.50مترا، تتكون جدرانها من حجارة منتظمة الشكل مثبته بواسطة مونه كلسية، وبنيت هذه الجدران فوق الصخر الجيري، وقد غطيت الجدران الداخلية بطبقة من القصارة. أما أرضية الحجرة فيه غير مستوية، ومغطاة بخلطة من مونه

كلسية، وضعت فوق الصخر مباشرة، وقد كان سقف هذه الحجرة يرتكز على قوس منتظم من حجارة جيرية متقنة الصنع، ويبدو أن دمار هذا المنزل وتأثره بالزلزال، قد حصل في فترة استعماله كسكن، كما كان عليه الحال في منطقة معصرة الزيتون، وقد تم الكشف عن أدوات للطبخ في هذه الحجرة، شملت أنواعاً مختلفة من الجرار وأوان فخارية، وبقايا موقد للطبخ بالقرب من البوابة، وحوضاً حجرياً صغيراً للماء، وتدل هذه المكتشفات على أن هذه الحجرة كانت بمثابة مطبخ ملحق بالبناء الرئيسي، وقد دلت القطع النقدية البرونزية، وبعض الأسرجة الفخارية، المكتشفة داخل هذا المطبخ، على أنه يعود الى القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي.

وكشف عن منزل نبطي الى الجنوب الشرقي من المعصرة، يتكون هذا المنزل من ثلاث حجرات متلاصقة تمتد باتجاه شمال جنوب، وتمتلئ منطقة المنزل بالحجارة الضخمة، الساقطة من الجدران والسقف، مما تطلب جهداً كبيراً لرفعها من أماكنها، حتى يتسنى تحديد معالم هذا المنزل النبطي ومخططه، وقد لوحظ ان الحجرتين الوسطى والجنوبية متشابهتان؛ إذ أن سقف كل واحدة منها قد بُني بأقواس (قناطر) لا تزال قواعدها الحجرية ماثلة. وعُثر في الحجرة الوسطى، على حوض عند الزاوية الجنوبية الغربية، بداخله كسر فخارية تعود الى النصف الأول من القرن السادس الميلادي، ويشير هذا الى إعادة استخدام هذا المنزل في الفترات اللاحقة. وتمتاز الحجرة الشمالية بفخامة جدرانها. ومن المميزات العامة لهذا المنزل. ان السقف قد بُني برقائق حجرية كبيرة، بلغ طول بعضها المتر تقريباً، وعرضها حوالي 70- 50 سنتمتراً.

المقبرة الأولى

تتوزع المقبرة في مساحة واسعة مستوية تقع في الجهة الشرقية من القرية، ولم تسلم بعض القبور من العبث قديماً وحديثاً، حيث تم العثور على نصائب جنائزية كثيرة أخرجها العابثون بالآثار، مصنوعة من الحجر الجيري المتقن الصنع، والمنحوت عليها أشكالاً للمسلات النبطية (نفش)، التي ترمز لروح الشخص

المتوفى، وحملت إحدى هذه النصائب بعض الحروف اليونانية، كما وجدت بعض النصائب (نصيبة القبر) التي تحمل منحوتات لأشكال مختلفة من الصلبان، التي تعود الى الفترة البيزنطية. أهم ما تم الكشف عنه في منطقة المقبرة هو مدفن جماعي مكون من بناء مربع الشكل، بني بحجارة جيرية متقنة الصنع داخل الأرض، على شكل بئر مكون من ست حفر (قبور)، وتتكون كل حفرة من خمس حجرات للدفن، مبنية فوق بعضها البعض على شكل طوابق يفصل بين كل طابق (قبر)، بلاطات (شبائح) حجرية مثبتة بواسطة طبقة سميكة من المونة أو الملاط، وربما استعمل هذا المدفن لطبقة حاكمة أو عائلة كبيرة كان لها أهميتها. وتم العثور على دلائل تشير الى وجود بناء جنائزي (ضريح) متهدم حالياً كان على شكل غرفة أساساتها نهاية الطوابق العلوية لأطراف هذا الضريح، ويبدو أن أساساتها كانت مبنية بشكل مدرج. وتدل التنقيبات الأثرية على أن معظم المقابر العلوية في هذا الضريح، قد أعيد استخدامها للدفن في فترات لاحقة، وقد كانت عادة الدفن في هذا المدفن الجماعي، ان يوضع الميت على ظهره، والرأس مُتجهٌ الى الأعلى، وكان الشخص المتوفى يكفن بداخل كيس من الجلد، وقد عثرنا على قطع نقدية داخل أفواه الموتى، (وهذا التقليد يوناني معروف حيث تدفع النقود كأجرة للإنتقال الى العالم الآخر)، ومعظم هذه النقود من الدراخمات تعود الى نهاية فترة حكم الإمبراطور الروماني تراجان 110 ميلادي - 115 ميلادي، وقد استمر استعمال هذا المدفن حتى القرن الرابع الميلادي، وتم العثور في داخل هذا المدفن على سوارين وقرط من الذهب، متقنة الصنع كما تم العثور على ختم اسطواني وبعض الكسر الفخارية والكسر الزجاجية والخرز.

المقبرة الثانية

في موسم عام 1991 عثر على قبرين نبطيين، ضمن التلة المطلة على وادي شرهة من الجهة الشمالية، مقابل المقبرة العامة الواقعة الى الجنوب والجنوب الشرقي، والتي دعيت بالمقبرة الأولى.

إمتازت المدافن في هذه المقبرة بدقة بنائها وتشذيب حجارتها، وكانت هذه

المقابر في غالبيتها فردية وغطيت من الأعلى بعدد من الشبائح الحجرية، وقد وجد هيكلان عظميان داخل قبر واحد.

وكانت المقابر السابقة بالغة الأهمية؛ إذ أنها أعطت تصوراً جيداً عن عادات الدفن النبطية، وفتح القبران السابقان المجال الى أهمية البحث عن مدافن جديدة بالمنطقة، لتأكيد أو نفي ما تم دراسته منها، فالقبر الأول كان بالغ الأهمية اذ عثر به على تابوت خشبي، فيه هيكلان عظميان احدهما لرجل والآخر لإمرأة، وذلك بناء على دراسة الهيكلين والعثور على خلخال وأساور في إحدى يدي وساق المرأة، وعثر على عقد من الخرز الأزرق الغامق، وجزء من حذاء جلدي خاص بالمرأة، وبعض الملابس والصوف. وهنا تم تكفين الجثتين بغطاء أو كفن من الجلد الحيواني، عثر على بقاياه محيطاً بالهياكل بالإضافة لوجود بعض بذور العنب والزيتون.

أما القبر الثاني والمجاور للتابوت الخشبي الأول، فقد كان معداً لشاب صغير السن لكن بدون مرفقات جنائزية، وربما أن هذه الظاهرة وتفسيرها تتحدد بجنس المتوفي من جهة، ووضعه الإجتماعي من جهة أخرى؛ إلا أنها جميعها مهمة في فهمنا لعادات الدفن النبطية في المنطقة.

وقد وجدت المدافن السابقة بمحاذاة بعض الجدران والأساسات الخاصة ببناء سكني لم يتم الكشف عنه كاملاً.

تم حفر مربع في المنطقة الشمالية الغربية، وكشف عن قبر أعطي رقم (001)، وقد تعرض القبر للدمار. وعثر على حجر بازلتي وحجر نسيج، وتراوحت القطع الفخارية المكتشفة في هذه المنطقة بين الفترة النبطية والبيزنطية والفترات الإسلامية.

أما السوية رقم 004 فكانت تحوي قبراً نبطياً في زاوية المربع الشمالية الغربية، وقد قسمت هذه السوية حسب القبر المكتشف الى ما يلي:

السوية رقم 004.1 وتحوي الشبائح الحجرية التي كانت تغطي القبر.
السوية رقم 004.2 تحوي مكاناً الدفن.
السوية رقم 004.3 وتحوي جوانب القبر الخارجية.

وكانت الشبائح الحجرية مكونة من حجارة جيرية بيضاء، وعددها سبعة حجارة متفاوتة المساحة، أما الجانب السفلي منها فمشذب، وتم تثبيتها لتغطي القبر بوساطة المونه البيضاء. وكان يغطي العظام المكفنة بالجلد طبقة ترابية صلبة نتيجة لترسب المياه والتربة، حيث كان وضع العظام غير منتظم، ويبدو أنها تعود لهيكلين عظميين دفنا فوق بعضهما بعضاً، ويعودان لرجل وإمرأة.

وفي السوية رقم 005 عثر على قبر نبطي آخر رتب حسب السوية السابقة كما جاء في القبر رقم 004، وقد تعرض هذا القبر للعبث.

السوية رقم 006 عثر في داخلها على قبر نبطي، يحوي هيكلاً عظمياً كاملاً، ممدداً على ظهره باتجاه شمال جنوب، وكانت الجمجمة في الجهة الجنوبية وموجهة للغرب، وتم العثور على بقايا للجلد والقماش، كما تم العثور على قطعة نقدية فضية كانت موضوعة داخل الفك تعود الى بداية القرن الثاني الميلادي.

وعثر على مجموعة من المقابر الفردية المبنية من الحجارة الجيرية المشذبة والتي بنيت وثبتت ببعضها بواسطة مونة بيضاء "بلاستر"، وقد كانت الهياكل العظمية الموجودة في داخل هذه المقابر مكفنة بالجلد، الذي حيك بشكل متقن وجميل وظهرت على بعض الجلود مجموعة من الزخارف الجميلة. وعثر أيضاً على آثار أقمشة مع هذه الهياكل. ونحن الآن بصدد دراسة هذه الهياكل العظمية ودراسة الأكفان الجلدية والأقمشة، آملين التعرف على المزيد من المعلومات عن عادات الدفن النبطية.

كما سبق الذكر يمتاز موقع الذريح بتنوع آثاره النبطية، وقد استطعنا خلال عشرة مواسم من التنقيب العلمي الدؤوب، الكشف عن جزء كبير من هذه الآثار، وإلقاء الضوء بالتالي على بعض مظاهر التنظيم الديني والاجتماعي - الاقتصادي للأنباط خارج عاصمتهم البتراء:-

أ- الجانب الديني:

بالنسبة لهذا الجانب، يقدم موقع الذريح معلومات مهمة تتجاوز العمارة الدينية، لتشمل جوانب تتعلق بطقوس العبادة وطريقة تنظيمها داخل المعبد، الذي مرّ

بناؤه بمرحلتين اثنتين: في المرحلة الأولى، وتقع في القرن الأول الميلادي، كان المعبد عبارة عن مبنى صغير يضم منصةً متواضعةً يقع إلى الغرب منها مذبحٌ صغيرٌ. خلال النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، أدخلت على المعبد الأول تغييرات جذرية فَضُمَّ الكل داخل معبد أكثر اتساعاً (17×23م) تَكَوَّن مِن رواق جنوبي غير مسقوف يليه المقدس، وكلاهما احتلا كل عرض المعبد، ثم من قدس الأقداس الذي شغلت مركزه في أقصى شمال المعبد منصةٌ مربعة الشكل (صورة رقم 28)، يبلغ طول ضلعها ستة أمتار، حولها رواق ضيق يوصل إلى قبوين أسفل المنصة، ويحيط بالكل أربع غرف جانبية. استخدمت المنصة لاحتواء الحجارة المقدسة أو الأنصاب، التي اعتقد الأنباط أن أرواح الآلهة تسكنها. ويبدو أن الجزء الداخلي من المعبد، أي الجزء الأكثر قداسة قد خُصِّصَ لعبادة الأنصاب والأصنام، تماماً وفق الصورة التي عرفناها عند عرب الجاهلية. فقد كان هذا الجزء من المعبد يشهد خلال موسم معين كلَّ سنة (موسم حج؟) احتفالات طقوسية كانت تقدم خلالها الأضاحي للآلهة، الممثلة بأنصاب حجرية، توضع على منصة أو قاعدة عرفت عند الأنباط باسم الـ»موتاب«[1]. اتخذت منصة الذريح الواقعة في عمق المعبد شكل »موتاب« تذكاري تم فيه تحديد الحفر التي كانت تثبت فيها أنصاب ثلاثة، وضعت وفق خط منحرف، أحدها شغل مركز المنصة، والآخران طرفيها. أثناء الاحتفالات الطقوسية، كان يتم أولا تقديم أضاحي من الحيوانات، على مذبح صغير، أو على مذبح أكبر في حالة الأضاحي كبيرة الحجم. وحتى لا يدنس المعبد بدم الأضاحي، فإن عملية التضحية كانت تجرى خارج المعبد. بعد ذلك كان يجمع دم الأضاحي، ليسكب على الأنصاب الموضوعة على الـ»موتاب«، وقد كان يرافق هذا الطقس، طواف جماعي حول الـ»موتاب«، تصحبه ترانيم، ثم يتم بعد ذلك أكل لحوم الأضاحي ضمن ولائم طقوسية، وفي الأخير كانت تجمع الأنصاب

(1) أصل هذه الكلمة هو الجذر السامي "ي ت ب" جلس، قعد وبذلك فإن الـ "موتاب" كان بمثابة "مجلس" للآلهة حيث كانت تنصب عليه الحجارة التي اعتُقد أن هذه الآلهة تسكنها

لتوضع في الأقبية أسفل »الموتاب«.

تكتسب هذه الاكتشافات أهمية كبيرة، إذ توضح لنا جانباً أساسياً من ديانة الأنباط، وهو الجانب النبطي أو العربي تعميماً، الجانب الخالص من أي تأثير يوناني أو روماني. ومع أن موقع خربة الذريح قد أصبح تحت السيادة الرومانية، كباقي أجزاء المملكة النبطية، منذ نهاية القرن الأول الميلادي، إلا أن أدنى تأثير روماني لم ينل طقوس العبادة النبطية، كما كانت تمارس الطقوس الدينية في قدس أقداس معبد خربة الذريح طيلة ما يزيد عن ثلاثة قرون. ولا ندري حقيقة ما إذا كانت ممارسة هذه الطقوس، قد اقتصرت على نخبة معينة من الناس، هم فقط الذين كان يُسمح لهم بالوصول إلى قدس أقداس المعبد، وبالتالي الاتصال المباشر بالآلهة، كما أن معرفتنا بطريقة استقبال الحجاج، تظل غامضة، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن المبنى ذا الشكل المستطيل الواقع مباشرة خارج الساحة الرئيسية للهيكل، كان مبنى تابعاً للمعبد جرت العادة أن يتم فيه إيواء الحجيج، أو ربما نخبة خاصة منهم.

إذا انتقلنا من هذا الجزء إلى واجهة المعبد، وهي في الواقع أغنى واجهة وصلتنا حتى الآن من معبد نبطي، فإننا سنخرج من إطار حضاري نبطي محلي، إلى إطار أوسع مُشبع بالتأثيرات اليونانية والرومانية. ذلك أن واجهة معبد الذريح، التي كانت ترتفع حتى علوّ 12.50م، قد خضعت في سماتها العامة للقواعد التي اتّبعت في واجهات المعابد اليونانية والرومانية. لقد أولت التنقيبات منذ بداية انطلاقتها، وبإمكانيات متواضعة، اهتماماً بهذا الجزء من المعبد، فتم القيام بين سنتي 1984 و1987 بأسبار أمام وخلف الواجهة، كان الهدف منها هو التحقق من وجود عناصر هذه الواجهة، حيث اتضح أن جزءاً كبيراً منها تطمره الأنقاض، وأن مسؤولية المواسم اللاحقة هو الكشف عن هذه العناصر ووضع تصور للواجهة. في هذا الإطار تم التنقيب بكثافة بين سنتي 1991 و1999 في منطقة المعبد، وهو ما أسفر عن نتائج تخطت كل الآمال. أهم ما كشفت عنه هذه التنقيبات هو عناصر واجهة المعبد، التي وصلتنا في حالة جيدة بشكل عام، على الرغم من الزلازل التي ضربت

المنطقة خلال فترات مختلفة، وعلى الرغم من حركة تحطيم الصور، التي دمرت المنحوتات الآدمية والحيوانية خلال القرن الثامن الميلادي.

زينت رباط الأعمدة زخارف نباتية، جداً غنية تمثلت أساساً في عناقيد العنب، وأوراق الكرمة المتعاقبة، مع أشكال آدمية وحيوانية، وهي كلها أشكال ذات وظيفة زخرفيه خالصة، لم يقصد منها التعبير عن أية دلالات دينية. أما إفريز الواجهة فلم تتضح هويته قبل موسم 1999، ذلك أن الكشف عن تمثال مكسور الرأس يحمل على صدره شكل الميزان لم يدع مجالاً للشك بأن هذا الإفريز كان يتشكل من منحوتات آدمية تمثل الأبراج الاثني عشر، كل برج يتعاقب مع تمثال لآلهة النصر. وإذا كانت السلسلة لم تكتمل بعد، فإن ما عثر عليه (أربعة تماثيل نصفية تجسد من اليسار إلى اليمن أبراج الثور والجوزاء والسرطان والميزان، كل برج يعقبه تمثال لإلهة نصر) (صورة رقم 1)، كفيل بوضع تصور واضح عن واجهة معبد الذريح. والواقع أنه إذا استثنينا معبد خرية التنور، فإن أي معبد نبطي لم يقدم لنا واجهة مماثلة، خصوصاً هذه المزاوجة بين الأبراج الإثني عشر وإلهات النصر، وهو ما قد يعكس تصوراً كونياً رومانياً، تم فرضه على المنطقة بعد ضم مملكة الأنباط لروما سنة 106 ميلادية، فجسد على واجهتي الذريح والتنور. أما القوصرة أو الجبهة المثلثة التي علت الواجهة فتشكلت زخارفها المتماثلة محورياً من وحش أو إله هجين، هو عبارة عن قنطور بحري (تمثال نصفي آدمي، قائمين أماميين لحصان وذنب وحش بحري)، عرفه اليونان باسم (تريتون)، يحيط به نسر واقف، وهو رمز السيادة، وإلهة نصر، وفي أقصى جانبي القوصرة هناك شكل سمكة (صورة رقم 29).

يتضح إذن أن معبد الذريح تقاسمه اتجاهان دينيان: اتجاه لم يسع إلى تجسيد الآلهة وفق أشكال آدمية أو حيوانية، وهو الاتجاه العربي النبطي الخالص، الذي كرسته عبادة الأنصاب في قدس أقداس المعبد، واتجاه تجسيمي صور الآلهة وفق أشكال آدمية أو حيوانية، وهو الاتجاه الهلنستي، الذي تمثل في منحوتات واجهة المعبد. بيد أنه ما من مجال للشك في أن كلا الاتجاهين، قد خضعا لسمات

الفن والإبداع المحليين، فالفنان الذي قطع الأنصاب الحجرية، هو نفسه الذي نحت الأشكال الآدمية، والحيوانية، والنباتية الرائعة، التي زينت واجهة المعبد (صورة رقم 30)، إنه الفنان النبطي، الذي استوعب الاتجاهين واستطاع الإنفتاح على حضارة وثقافة الآخر، دون التنكر لحضارته.

ب- الجانب الاجتماعي والاقتصادي:

مع أن القرية النبطية في خربة الذريح، لم ترق من حيث الأهمية إلى مستوى أهمية المعبد وضخامته، إلا أن المعلومات التي قدمتها لنا عناصرها هي في غاية الأهمية، إذ تلقي الضوء على التنظيم الاجتماعي - الاقتصادي في قرية صغيرة استمر فيها الاستيطان بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد. تشكلت هذه القرية من عشرين منزلاً، برز بينها منزل رئيس، كان يشرف مباشرة على الهيكل والمعبد، ويتميز مقارنة مع المنازل الأخرى بكبر حجمه (مربع يبلغ طول ضلعه 35 متراً) وحسن بنائه، فقد جاءت كل أجزائه مبلطة بما في ذلك الفناء. وبالنظر إلى غنى مرافقه التي تمثلت في غرفتي استقبال واسعتين شغلتا جناحه الجنوبي، كما في حمام بخاري شغل جناحه الغربي، فلا بد أن هذا المنزل كان يعود للأسرة الأهم في القرية، وربما في منطقة وادي اللعبان كلها.

هذا التمايز الاجتماعي، نجده أكثر وضوحاً من خلال المعطيات الجنائزية، التي قدمتها لنا مقبرتان وضريح تذكاري. تضم مقبرتا الذريح الواقعتان شرق القرية القديمة قبوراً بسيطة استخدمها فلاحو القرية، خلال الفترة النبطية - الرومانية، ثم أعيد استخدامها بعد ذلك، من قبل سكان المستوطنة البيزنطية الأموية، التي احتضنها الهيكل بين القرنين الميلاديين السادس والثامن. اتخذت هذه القبور شكل حفر حددت جدرانها بحجارة وضعت بشكل طولي، وغطيت ببلاطات، في حين جرت عادة الدفن فيها دائماً بتوجيه رؤوس الموتى نحو الغرب، في حين أن هناك قبراً تفرد بين هذه القبور باحتوائه تابوتاً خشبياً. وقد كانت تعلو هذه القبور خلال الفترة النبطية - الرومانية مسلات تضمنت ما أطلق عليه الأنباط اسم

»ن ف ش« »نفس، روح« أي هرماً متطاولاً تتخلله منحوتة قليلة البروز ترمز إلى روح الميت.

إذا كانت هذه القبور البسيطة قد عادت لفلاحي القرية، فإن ثمة ضريح تذكاري ضخم، يبدو أن استخدامه كان قصراً على أفراد الأسرة الأرستقراطية، التي سكنت المنزل الرئيس المشار إليه أعلاه، تكون هذا المدفن الذي كانت تعلوه غرفة جنائزية، على شكل برج من ستة قبور، دفن في كل قبر خمسة موتى، دفنوا فوق بعضهم البعض، في أكفان من جلد الماعز، كانت غاية في الزخرفة، بينهم الجد المؤسس، الذي دفن في الوقت الذي تم فيه تشييد الضريح، قبيل أو بعيد سنة 106 ميلادية، أي سنة ضم المملكة النبطية لروما. وقد تم تحديد تاريخ بناء الضريح، الذي ظل مستخدماً حتى سنة 363 ميلادية، بناءاً على القطع النقدية، التي وضعت في أفواه الموتى، لتسديد رسوم المرور لشارون، الساهر على عبور المتوفين، وهو ما يمكن اعتباره مؤشراً اجتماعياً كذلك، إذ أن قلة من الموتى، كان بمقدورهم تسديد هذه الرسوم، وبالتالي العبور إلى العالم الآخر.

لا شك أن اقتصاد القرية، كان اقتصاداً زراعياً رعوياً، احتلت فيه زراعة الزيتون ومُنتجها، مكانة أساسية سواء خلال الفترة النبطية - الرومانية، أو في الفترات اللاحقة. يتضح ذلك من خلال معاصر الزيتون التي تم الكشف عن ثلاث منها ورابعة تم تحديد معالمها. تكتسب هذه الاكتشافات أهمية خاصة، فهي من جهة تدحض ما قاله الجغرافي اليوناني سترابو (حوالي 63 ق.م - 24 ب.م)، الذي زعم أن الأنباط لم ينتجوا قط زيت الزيتون، وأنهم استعاضوا عنه بزيت السمسم، وهي من جهة أخرى، تبين إلى أي حد ظلت معاصر الزيت محافظة على شكلها، وعناصرها التقنية طيلة سبعة قرون أو يزيد. كانت غرف المعاصر مبلطة ويتوسطها وعاء دائري ثابت، تدور عليه عجلة كبيرة لهرس الزيتون الذي كان يعصر بعد ذلك، في مستويات أكثر ارتفاعاً، وذلك باستخدام جذوع أشجار، توضع بشكل أفقي ثم يضغط عليها باتجاه الأسفل لاستخراج عصارة الزيتون، التي تصل بعد ذلك إلى أحواض جامعة ومن ثم إلى أحواض تصفية.

الآن وقد اتضحت المعالم العامة لموقع خربة الذريح، فقد بقي الكثير لعمله، من أجل صيانة هذا الموقع الهام والمحافظة عليه. في هذا الإطار جرت العادة، على القيام بأعمال صيانة وترميم، عند نهاية كل موسم من مواسم التنقيب، الهدف منها هو إعداد موقع تسهل زيارته والتعرف على مختلف معالمه. وستحاول المواسم القادمة التي ستستمر حتى سنة 2004م تحقيق هذا الهدف وذلك بالسعي إلى إكمال أعمال الصيانة والترميم التي أنجز الجزء الأعظم منها في المعبد، وهي أعمال تهدف إلى تقديم بقايا المعبد كما كان في بداية القرن الثاني الميلادي، وكذلك بقايا المنشأة المسيحية التي شهد الهيكل قيامها في القرن السادس الميلادي. ومع أن عملية الترميم الكامل تستحيل بالنظر إلى أن بعض حجارة البناء الضخمة قد اندثرت، إلا أن ثمة إمكانية لترميم أجزاء المعبد حتى ارتفاع يتراوح بين ثلاثة وستة أمتار.

الموسم الثاني عشر للتنقيب والترميم 2004

الذريح موقع ريفي متوسط الحجم ، يقع على بعد 100 كيلومتر إلى الشمال من البترا، قريبًا من "الطريق الملكيّ"، أحد أهمّ طرق القوافل التي تصل الشمال بالجنوب في الشرق الأدنى. والمنطقة، تعدُ، كثيرة الماء وفيرته. وكان التنقيب الأثريُّ عن الموقع بدأ عام 1984 ، وتناول الجوانب المختلفة فيه كلّها:

- التسلسل الزمنيُّ ، ويشمل العصور والفترات التالية: العصر الحجريّ الفخّاريّ "أ"، والعصر البرونزيّ المبكّر، والفترة الأدوميّة من العصر الحديديّ الثاني، والفترة ما بين القرن الأوّل الميلاديّ ومنتصف القرن الرابع الميلاديّ، والفترة ما بين نهاية القرن السادس الميلاديّ حتّى بداية القرن التاسع الميلاديّ. أمّا الفترة الأخيرة؛ فترجع إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديّين تقريبًا.
- الحرم النبطيُّ الكبير الفخم، وهو حرم في وادٍ يتّصل بالحرم العالي في خربة التنّور القريبة جدًّا من خربة الذريح، والتي نقّب عنها في الثلاثينات من القرن العشرين، ويغلب أنّ حرم خربة التنّور كان مخصّصًا لإقامة مواسم دينيّة

موسميَّة، لا سيَّما تلك المقامة في فترة الاعتدالين الربيعيِّ والخريفيِّ.

- القرية الصغيرة الراجعة إلى الفترة ما بين القرن الثاني والقرن الرابع الميلاديِّين، وتتألَّف من بيوت فلاَّحين، ومعاصر زيت، وبيت كبير فخم لكبير القرية.
- المدفن المكوَّن من مقبرتين، حيث ينتصب قبر ضخم لأكثر الأسر نفوذًا في الموقع، وقد بُني في حوالي عام 1100 ميلاديَّة.
- الآثار الزراعيَّة والمائيَّة الكثيرة.
- العزبة الراجعة إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة، وقد كانت مسيحيَّة أوَّل الأمر، ثمَّ غدت إسلاميَّة. وظلَّت العزبة محصورة في الفناء الشماليِّ من الحرم النبطيِّ الرومانيِّ.

وقد بات هذا الموقع الجميل الواقع في واد كبير غير مأهول يجذب زوَّارًا من المنطقة وسائحين أجانب، لوقوعه على الطريق السياحيِّ الرئيسيِّ في الأردنِّ. ثمَّ إنَّ خربة الذريح – بالإضافة إلى الحُميمة الواقعة جنوب البترا، والتي نقَّب عنها فريق أميركيٌّ – الموقع النبطيُّ الوحيد في الأردنِّ الذي دُرِس دراسة وافية، ومخلَّفاته الأثريَّة أكثر تنوُّعًا وأحسن حالاً من المخلَّفات التي عثر عليها في الحُميمة.

ومعلوم أنَّ التنقيب عن مثل هذه المواضع قد يستغرق عقودًا بحالها، لكنَّ هذا لم يكن نهجنا في التنقيب عن خربة الذريح؛ فقد اختتمنا التنقيب شيئًا فشيئًا عن المقابر، وعن القرية، وعن البقايا الأثريَّة المحيطة بالموقع. وقد وُثقت الآثار في هذه المواضع توثيقًا حسنًا، وننوي الآن اختتام التنقيب عن منطقة الحرم وملحقاتها في أسرع وقت ممكن، وإنجاز تقديم الموقع نهائيًّا إلى الجمهور.

وكان الموسم الثاني عشر من مواسم التنقيب أُجري في صيف عام 2004، وكانت الغاية منه، في المحلِّ الأوَّل، إجراء عمليَّات تنظيف وترميم كبيرة، بالإضافة إلى حفر مجسَّات في الحرم وفي المناطق القريبة منه. وشمل العمل الميدانيُّ الفترة من 26 حزيران حتَّى 29 آب من عام 2004، واستعنَّا في عملنا برافعة كبيرة من جامعة اليرموك، وبجرَّافات من بلديَّة الطفيلة. وتكوَّن فريق التنقيب من 35

شخصًا، 13 منهم أردنيُّون، و17 فرنسيُّون، ومغربيٌّ، وجزائريٌّ، وبحرينيٌّ، والأخير طالب في جامعة اليرموك، وسويسريٌّ، وبلجيكيٌّ يدرِّس بكندا. وعمل في المشروع ما يقرب من 60 عاملاً من منطقة الطفيلة. وقد تلقَّى فريق التنقيب زيارات من مجموعة من الآثاريِّين العراقيِّين، ومن عدد كبير من الأساتذة الأردنيِّين، ومن السفير الفرنسيِّ بعمَّان.

وبالإضافة إلى أعمال التنقيب نفسها، أُجريت عدَّة دراسات مختصَّة في هذا الموسم، فقد بدأ هـ. غوتيه H. Gautier دراسة للفحم والحبوب من خربة الذريح، وما تزال عيِّنات الفحم قيد الدراسة، أمَّا الحبوب؛ فقد تبيَّن أنَّ أكثرها حبوب قمح وشعير، ونوى خوخ وعنب وزيتون. أمَّا الباحث الأميركيُّ م. بيري M. Perry؛ فقد أدرج خربة الذريح في دراسة مهمَّة له تهدف إلى قياس نسب عنصر الأسترونتيوم في العظام البشريَّة والحيوانيَّة، فأتى بنتائج أوَّلية تسترعي الاهتمام، ولكنَّها محيِّرة في وقت معًا؛ إذ توحي بأنَّ المدفونين في خربة الذريح في الفترات القديمة كلِّها، لم يكونوا من أهل المنطقة، بل ربَّما جاءوا من منطقة البترا والقويرة .

أعمال التقوية والترميم

أوليت هذه الأعمال عناية خاصَّة في هذا الموسم، فقد أزلنا مئات الأطنان من الطمم الذي تراكم خلال المواسم الأحد عشر من التنقيب ، وكان ذلك في الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة من المعبد. ثمَّ إننا قوَّينا عشرات الأمتار من الأسوار القديمة، وأزلنا أجزاء قليلة من أسوار العزبة الراجعة إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة في منطقة الحرم النبطيِّ، وعملنا على استبناء المخلَّفات النبطيَّة الرومانيَّة التي كانت قائمة في الموقع نفسه. كما أجرينا عمليَّات ترميم واستبناء شملت قَطع الحجارة وزخرفتها في السور الشماليِّ (الخلفيِّ) للمعبد على المصطبة الطقوسيَّة للمعبد، وفي الجزء النصف الدائريِّ من الكنيسة البيزنطيَّة المبنيَّة داخل المعبد. وإلى ذلك، رُمِّمت كلُّ القطع المعدنيَّة، وعشرات من القطع الفخَّاريَّة .

أعمال التنقيب والحفر

جرى أكثر التنقيب في المنطقة A، في الطريق المقدَّسة المفضية إلى الحرم، وفي أقصى المنطقة الجنوبيَّة من الحرم S7، وفي المناطق الخارجيَّة من المعبد، إلى الشمال S9، وإلى الشرق S10، وفي البوَّابة الشرقيَّة المفضية إلى الحرم - S2B S11B، وفي الأجزاء الشرقيَّة من الفناء الرئيسيِّ (الشماليِّ) S2 التي ترجع إلى ما قبل الفترة النبطيَّة.

وأكَّدت نتائج التنقيب في عدَّة أماكن من الموقع وجود سكنى في الفترات المتأخِّرة من العصر البرونزيِّ المبكِّر، وفي الفترة الأدوميَّة. ويُشار بصورة خاصَّة إلى وجود طبقة سميكة جدًّا من التدمير راجعة إلى المرحلة الرابعة من العصر البرونزيِّ المبكِّر في المنطقة A كلِّها، تحت المباني الراجعة إلى الفترة ما بين القرن الأوَّل والقرن الثالث الميلاديَّين مباشرة. أمَّا الطبقة الأدوميَّة، وإنْ كنتَ لا تجدها في المنطقة A، إلاَّ أنها موجودة في المنطقة B الواقعة على بُعد أمتار إلى الشرق.

آثار القرن الأوَّل الميلاديِّ

ساهمت الاستكشافات الإضافيَّة في توثيق الحرم الصغير المبكِّر في خربة الذريح، والذي طمس آثارَه إلى حدٍّ بعيد الحرمُ المتأخِّر، فقد استُكشف مقطع منه قرب الزاوية الشماليَّة الغربيَّة للمعبد المتأخِّر. وكشف المجسُّ الذي حُفر هناك عن فخَّار نبطيٍّ ملوَّن من النوع المؤرَّخ إلى نحو 20 ميلاديَّة، وهذا يُعدُّ دليلاً تقريبيًا على تاريخ بناء جزء من الحرم المبكِّر.

كما أكَّد التنقيب في المنطقة A النتائج التي توصَّل إليها موسم 2001، وذلك في المنطقة المهمَّة التي كان الحجَّاج يقفون عندها قبل دخول الحرم. وقد بُنيت تلك المنطقة في نهايات القرن الأوَّل الميلاديِّ/بدايات القرن الثاني الميلاديِّ، وانتهى السكن فيها في القرن الثالث الميلاديِّ، أي قبل أنْ تُهجَر المواضع الأخرى في خربة الذريح (363 ميلاديَّة) بقرن.

ويتجلّى التدمير المبكّر كذلك في المنطقة S7 على الحدِّ الجنوبيِّ للحرم. ولمّا عُثر على قطعة نقديَّة تدمريَّة ضُرب عليها اسم "وهب اللات"، ابن زنوبيا، مؤرَّخة لعام 273 ميلاديَّة، فنحسب أنَّ تلك المنطقة تدمَّرت أثناء حملة الجيش التدمريِّ في أواخر القرن الثالث الميلاديِّ.

وتتكوَّن المنطقة A من طريق غير مرصوف مفض إلى الحرم، ومن خان، ومن مبان إضافيَّة تقع شرقيَّ الطريق، ومن حمّامات غربيَّة. أمَّا الخان؛ فبناء خرِب، هُدمت أجزاء منه وأعيد بناؤها مرَّات ومرَّات، وهو يتكوَّن من فناء مستطيل كبير، تحيط به غرف من الشرق والشمال والجنوب. ويُدلَف من الفناء إلى الشارع من خلال بوَّابة A5. أمَّا الغرفة الواقعة جنوب البوَّابة فكانت، في الغالب، غرفة للحراسة؛ إذ عُثر فيها على رؤوس معدنيَّة لأسلحة.

وتلفي في الجناح الجنوبيِّ من الخان غرفتين مستطيلتين A4 وA10، لم يُعثر فيهما على أيَّة بقايا أثريَّة، فربَّما كانتا إسطبلات. وقد استُكشف الحمَّام A2 في حال سيِّئة؛ إذ أعاد الناس استخدام حجارته وبلاطات الرصف في بناء منطقة الحرم في أثناء الفترة البيزنطيَّة. أمَّا نظام التسخين (التدفئة المركزيَّة والأنابيب الفخَّاريَّة) تحت مستوى الأرضيَّة في الغرفة الساخنة؛ فلا يزال في حال حسنة جدًّا.

الحرم في القرن الثاني الميلاديِّ (المرحلة أ)

الحرم المتأخِّر ذو تاريخ مديد، يمكن أنْ يُقسم، عمومًا، إلى المرحلة أ التي تتراوح ما بين أوائل القرن الثاني الميلاديِّ ومنتصفه، وهي المرحلة التي شهدت إنشاء أكثر المباني، وإلى المرحلة ب الممتدَّة من أواخر القرن الثاني الميلاديِّ حتَّى منتصف القرن الرابع الميلاديِّ، والتي شهدت عددًا من التعديلات. وقد استُكشف في الجزء الشماليِّ من المجسِّ S8 الواقع خارج الزاوية الشماليَّة الغربيَّة من المعبد كثير من كسر الآنية الفخَّاريَّة الراجعة إلى المستوى الذي أُقيمت عليه الأساسات، والتي أرَّخت هذا الحرم، عمومًا، إلى حوالي عام 100 ميلاديَّة، زد على ذلك أو أنقص منه

عشرين عامًا. وعليه، فلسنا قادرين على القطع إنْ كانت أعمال البناء قد بدأت قبل ضمِّ المملكة النبطيَّة إلى الدولة الرومانيَّة (في عام 106 ميلاديَّة)، أم بعد ذلك.

أمَّا المنطقة S9 الواقعة إلى الشمال من المعبد (الجزء الخلفي) فكُشفت حتَّى مستوى الطواف المحيط بالمعبد، وهي منطقة مرصوفة انهارت تمامًا في زلزال عام 363 ميلاديَّة في الغرفة الواقعة دونها، والتي لم يُنقَّب عنها بعد. ومن جهة أخرى، كشف التقيب الواسع في المنطقة S10 الواقعة إلى الشرق من المعبد عن أرضيَّة مرصوفة شملت المنطقة كلَّها، دون أنْ يكون تحتها غرف. وقد أُقيمت بنايات عديدة في تلك المنطقة في مرحلة لاحقة، في أثناء الفترة البيزنطيَّة الأمويَّة. وكان من أهمِّ ما استُكشف فيها بقايا مذبح نذوريٍّ صغير، طول ضلعه 3.64 أمتار، بُني على مسافة غير بعيدة إلى الشرق من الجدار الشرقيِّ للمعبد. واستُكشفت بعض عناصر زخرفة المذبح، منها رسم مُصغَّر لتاج عمود نبطيٍّ، استُكشف في موقعه الأصليِّ، إضافة إلى رسم جداريٍّ محفور يمثل "نفش" على واجهة هرميَّة.

وممَّا يؤكِّد أنَّ لهذا البناء وظيفة ذات صلة بالأضاحي قربه من البوَّابة الشرقيَّة للحرم، والتي كُشف عنها في المنطقتَين S2B وS11B، وذلك بعد أنْ أُزيلت الإضافات التي كانت استُخدمت في مرحلة لاحقة لسدِّها. ويغلب أنَّ هذه البوَّابة الواسعة ذات العتبة المنخفضة جدًّا استُخدمت لإدخال الحيوانات ليُضحَّى بها.

التغيرات التي جرت في الحرم من أواخر القرن الثاني الميلاديِّ إلى منتصف القرن الرابع الميلاديِّ (المرحلة ب)

تجلَّت أهمُّ الاستكشافات في أثناء حفر مجسَّات في المنطقة S7 عند المدخل الجنوبيِّ للحرم. ودلَّت المجسَّات التي حُفرت في هذا الموسم على أنَّ ثلاث حجرات كبيرة متجاورة مستطيلة قد أُضيفت للحرم في نحو عام 200 ميلاديَّة إلى الجنوب من الفناء الجنوبيِّ. وفي أواخر القرن الثالث الميلاديِّ عاد الناس فأزالوا هذه الحجرات التي كانت استُخدمت مضافات طقوسيَّة لحين من الزمان (غرف ذات

مقاعد من ثلاث جهات). وبعد إزالة الغرف نشأت مكانها ورشة كبيرة استخدمها العمَّال القائمون على بناء إضافات معماريَّة في الحرم، وهي إضافات لم تتجز في الواقع قطُّ.

السكنى المسيحيَّة (أواخر القرن السادس الميلاديِّ وحتَّى منتصف القرن السابع الميلاديِّ؟)

جرى في هذا الموسم، كما هو الحال في المواسم الأخرى، الكشف عن وحدات سكنيَّة عاديَّة ترجع إلى هذه الفترة، وتقع ضمن الجزء الشماليِّ من الحرم النبطيِّ. أمَّا ما استُكشف من هذه الفترة؛ فكان عتبة باب علويَّة، مزخرفة بصليب يونانيٍّ حُفر داخل دائرة، وتحيط بالصليب من كلتا جهتيه زخرفتان ورديَّتان. وقد عُثر على العتبة قرب البوَّابة الجنوبيَّة للفناء الرئيس للحرم، وهي بوَّابة استُخدمت في الفترة البيزنطيَّة مدخلاً رئيسًا للعزية، فيغلب أنَّ هذه العتبة كانت لتلك البوَّابة.

السكنى الإسلاميَّة المبكِّرة (الأمويَّة والعبَّاسيَّة)

استُكشفت مساكن من هذه الفترة تشبه تلك التي بُنيت في الفترة البيزنطيَّة. أمَّا الاستكشاف الرئيس من هذه الفترة؛ فهو حمَّام يرجع إلى الفترات الكلاسيكيَّة المتأخِّرة، وهو صغير الحجم، يتراوح ارتفاعه ما بين مترين وثلاثة أمتار، كشف عنه في حال حسنة جدًّا. ويقع الحمَّام قرب الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة للفناء الرئيس للحرم، وقد بُني مباشرة فوق الأرضيَّة المرصوفة لذلك الفناء، وجُعلت أرضيَّته عالية بما يتيح وقوع التدفئة التحت أرضيَّة ما بين الرصفة السفليَّة والرصفة العلويَّة. وجاء مخطَّط الحمَّام مستطيلاً، وفيه حجرتان صغيرتان فيهما مقاعد حجريَّة عند الأطراف السفلى من الجدران، وترى في الجدران أنابيب تدفئة فخاريَّة عموديَّة، وفي الجهة الجنوبيَّة حوضان مدفَّآن، هما حوضا استحمام مربَّعان مقصوران. أمَّا الموقد؛ فجاء في أسفل الجدار الجنوبيِّ الخارجيِّ. وتتشابه بعض

مرافق هذا الحمَّام مع مرافق الحمَّام الأمويِّ الذي عُثر عليه في خربة المَفْجر قرب أريحا، وإنْ كان هذا الحمام الأخير أكبر بكثير من حمَّام خربة الذريح.

وعُثر في هذا الموسم كذلك على عدد من النقوش والمخربشات الإسلاميَّة المبكِّرة، وإنْ لم يكن أيٌّ منها في موقعه الأصليِّ، بل استُكشفت في مواضع مختلفة من الفناء الشماليِّ للمعبد. ويلفت أحد هذه النقوش النظر إلى المكان الذي نقش فيه؛ فقد عُثر عليه منقوشًا في العمود الشماليِّ في الزاوية الشماليَّة الشرقيَّة من المعبد، ولم تمكن قراءته بعد. أمَّا أهمُّ تلك النصوص؛ فقد عُثر عليه قرب البوَّابة الشرقيَّة للحرم، وهو نقش تذكاريٌّ قصير، كتبه "هشام بن شابور"، وهو مؤرَّخ للسنة 79 للهجرة (699/698 ميلاديَّة)؛ فهو واحد من أبكر النقوش الإسلاميَّة التي استُكشفت حتَّى الآن. ويدلُّ التاريخ دلالة واضحة على أنَّ الذريح غدت إسلاميَّة، ولو جزئيًّا، في أواخر القرن السابع الميلاديِّ.

موسم التنقيبات الأثرية الثالث عشر 2007

تقع خربة الذريح في وادي اللعبان على الطريق الملكي القديم بين الكرك والطفيلة، حيث تفصلها عن بترا جنوبًا 100 كيلومتر تقريبًا، وساعة من المسير عن خربة التنور. وإذا كان موقع الذريح قد اكتسب أهميته قديمًا من وقوعه على درب القوافل الذي يربط بين بترا جنوبًا ودمشق شمالاً؛ فإن أهميته الحالية تتجلى في مقدرته على تقديم إجابات حول حياة الأنباط خارج حدود عاصمتهم بترا، لا سيما في مناحي الحياة الدينية والاجتماعية، والتي ما زالت معرفتنا بها يكتنفها الغموض.

لذا؛ اختير هذا الموقع ليكون ميدانًا لأعمال تنقيب منظمة تهدف إلى إلقاء الضوء على هذه الجوانب، لا سيما أن خربة الذريح قد اشتملت على عدد من المباني ذات الطابع الديني، كما هو الحال في جارتها خربة التنور، إضافة إلى عدد من المنشآت السكنية والصناعية التي من شأنها الإجابة على تساؤلات تتعلق بحياة الأنباط الاقتصادية والدينية والاجتماعية خارج عاصمتهم بترا.

يمتاز موقع خربة الذريح بخصوبة الأراضي الزراعية المحيطة به وكثرة ينابيع المياه التي أسهمت في تمركز الاستقرار البشري في هذا الموقع منذ القدم، حيث شهد الموقع استقرارًا مبكرًا خلال العصر الحجري الحديث الفخاري أ، والعصر البرونزي المبكر، والعصر الحديدي الثاني (الفترة الأدومية). إلا أن الفترة الممتدة من القرن الأول الميلادي وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي قد شهدت استقرارًا بشريًا مكثفًا، دل على ذلك زخم البقايا والمخلفات الأثرية التي كشف عنها في الموقع؛ فكان المعبد النبطي أكثرها أهمية وشهرة. كما شهد الموقع استقرارًا مكثفًا خلال العصر البيزنطي والعصور الإسلامية اللاحقة.

وبالرغم من أن الموقع بزخارفه المنحوتة قد أثار انتباه الرحالة منذ القرن التاسع عشر؛ إلا أنه لم يحظ بأعمال تنقيب منظمة حتى ثمانينات القرن العشرين، حين قام فريق صغير، وبإمكانيات متواضعة، بوضع الخطوات الأولى لعمل ميداني طويل ومكثف، سرعان ما أسفر عن نتائج فاقت التوقعات. فقد بدأت التنقيبات الأثرية في الموقع سنة 1984، على يد فريق أردني- فرنسي مشترك، ممثل بجامعة اليرموك، والمعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى، وجامعة السوربون، بإشراف زيدون المحيسن وفرانسوا فيلنيف، وبالتعاون مع دائرة الآثار العامة، وبتمويل من وزارة الخارجية الفرنسية وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك.

أجري في الموقع ثلاثة عشر موسمًا من التنقيبات الأثرية التي كشفت عن مبان مهمة تعود للعصر النبطي، منها الهيكل النبطي الشهير ذو الساحات المتتالية المبني في منطقة مرتفعة. كما كشفت التنقيبات عن أطلال قرية قديمة تضم بيوتًا ومعاصر زيت، بالإضافة إلى مقبرة، وضريح تذكاري، ومبنى مستطيل الشكل، وعديد من بقايا البيوت المتناثرة، وشبكات المياه، والمدرجات الزراعية، والمحاجر. وفي أرضيات هذه العمائر؛ ثمة مجموعة مهمة من اللقى الأثرية المنقولة.

لقد ساهمت المواسم السابقة على امتداد عقدين من الزمن في الكشف عن أهمية الموقع العائد إلى الفترة النبطية، إذ مكنت نتائج التنقيب الأثري من تعميق معرفتنا بجوانب مهمة من حياة العرب الأنباط الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي موسم التنقيبات عام 2007، استُؤنفت أعمال التنقيب بإشراف زيدون المحيسن من جامعة اليرموك، وفرانسوا فيلنيف من المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى بالتعاون مع دائرة الآثار العامة. وفيما يلي ملخص لأهم نتائج التنقيب الأثري لهذا الموسم:

منطقة المعبد

تركزت أعمال التنقيب في المنطقة المحيطة بالمعبد، لا سيما الأروقة الشمالية والشرقية والغربية، حيث استؤنفت أعمال التنقيب على امتداد الواجهة الشمالية لجدار المعبد، وكشفت عن قبو يمتد من الشرق إلى الغرب أسفل مستوى أرضية المعبد، وقد اشتمل القبو على عشرة أقواس تتجه شمالاً- جنوبًا، استخدمت لحمل سقف القبو، كما رصفت أرضية القبو ببلاطات حجرية مشذبة تعرض جزء منها للتدمير. وقد أعيد استخدام القبو خلال العصر البيزنطي كحوض لتجميع المياه، يدل على ذلك بعض عمليات الإغلاق أسفل الأقواس، كما عثر في أرضية الرواق الشمالي على حوضين صغيرين بعمق 60- 70 سم. وينتهي الرواق في الجهة الغربية بمدخل يؤدي إلى القبو الغربي. وفي هذا الرواق، عثر على رأس تمثال من الجبص صغير الحجم.

نفذت كذلك بعض أعمال التنقيب الأثري في الرواق الشرقي للمعبد، إذ كشف عن غرفة مربعة الشكل تقريبًا، بنيت في العصر البيزنطي، غطيت أرضيتها ببلاطات حجرية منتظمة الشكل. وقد أعيد استخدام هذه الغرفة في الفترة الأموية لتربية المواشي، حيث عثر على معلفين يقع أحدهما في الزاوية الشمالية الغربية، بينما

يقع الثاني في الزاوية الجنوبية الشرقية للغرفة. واشتمل الجدار الشرقي للغرفة على مدخل يفتح باتجاه الشرق.

تم التنقيب أيضا إلى الشمال من البوابة الرئيسية الشرقية للمعبد، ودلت نتائج التنقيب على وجود غرفة مستطيلة الشكل ممتدة من الشمال إلى الجنوب، ذات سقف محمول على أقواس تمتد من الشرق إلى الغرب، ورصفت أرضيتها ببلاطات حجرية مشذبة، كما اشتمل الجدار الشرقي على مدخل يفتح باتجاه شرق غرب.

المنطقة السكنية

تقع المنطقة السكنية ضمن الساحة الجنوبية الرئيسية للمعبد، حيث استكملت أعمال التنقيب إلى الغرب من الحمام الأيوبي المملوكي الذي كشف عنه في موسم التنقيب السابق. وفي هذه المنطقة، كشف عن غرفة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب، رصفت أرضيتها ببلاطات حجرية مشذبة. كما اشتمل الجدار الغربي للغرفة على مدخل يفتح باتجاه الغرب. وإلى الجنوب من المدخل، عثر على أربع درجات تؤدي إلى الطابق الثاني؛ مما يشير إلى أن المبنى مكون من طابقين. وقد عثر في أرضية هذه الغرفة على بئر ماء مستطيل الشكل، ذي باب دائري، إذ حمل سقف البئر على خمسة أقواس مبنية من الحجر الجيري المشذب، وغطيت الواجهات الداخلية للبئر بطبقة من القصارة، تعرض جزء كبير منها للتدمير. وفوق باب البئر، عثر على حوض استحمام مقطوع بالصخر الجيري بشكل منتظم، اشتملت واجهته الخارجية على نقش عربي كتب بالخط الكوفي، مكون من أربعة أسطر.

وإلى الغرب من هذه الغرفة، استكملت أعمال التنقيب، حيث عثر على غرفة مربعة، ذات سقف محمول على أقواس، رصفت أرضيتها ببلاطات حجرية

مشذبة. وتخلل الجدار الشمالي للغرفة مدخل يفتح باتجاه الشمال. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية للغرفة، عثر على معصرة عنب صغيرة شملت حجر العصر الدائري، وحوضًا حجريًا صغيرًا مستطيل الشكل لجمع عصير العنب.

المنطقة الجنوبية

أجري مجس تجريبي في الجهة الجنوبية للموقع بهدف التأكد من نتائج المسح الأثري الذي قام به فريق التنقيب في عام 2006، والتي كشفت عن وجود كتل معدنية. فقد كشفت تنقيبات هذا الموسم عن كميات كبيرة من خبث الحديد الناتج عن عمليات تصنيع الحديد التي كانت تجري في هذه المنطقة.

أعمال الصيانة والترميم

اشتمل موسم التنقيب الحالي على أعمال الصيانة والترميم في منطقة المعبد، حيث رمم الجدار الشمالي لهيكل المعبد بإضافة مدماك واحد، إلى جانب تدعيم وتقوية بعض الجدران القديمة في المنطقة السكنية التي تعود إلى العصر البيزنطي. كما أعيد ترميم وبناء المذبح ذي الشكل المربع، الواقع إلى الشرق من بناء الهيكل، وذلك بتثبيت حجارته بالملاط المكون من الجير المطفي والرمل.

ونفذت أعمال صيانة وترميم لعدد من اللقى الأثرية، لا سيما المنحوتات وجرار التخزين الفخارية.

معبد خربة التنور: khirbet et-Tannour

يقع هذا المعبد فوق جبل التنور، والذي يحتضنه وادي الحسا في محافظة الطفيلة، ويقع المعبد الى الشمال من موقع خربة الذريح، ويبعد عنها حوالي 8 كيلو مترات، يعد هذا المعبد إحدى المناطق الدينية التي كان يحج أليها الأنباط، وقد اختير هذا الموقع الفريد من قبل الأنباط، ليكون مكاناً لعبادتهم فوق هذا الجبل العالي، لإعتقادهم إنهم اقرب إلى السماء، وقد اشتهر الأنباط بإقامة معابدهم ومذابحهم، خاصة في المناطق العالية، كما في جبل المذبح وجبال الخبثة في البتراء.

ويمكن الوصول الى هذا المعبد، عن طريق واحدة تقع في الجهة الجنوبية

الشرقية، أما الجهات الأخرى فهي مناطق وعرة لا يمكن اجتيازها.

قام نلسن جلوك بإجراء التنقيبات الأثرية، في معبد خربة التنور في الثلاثينات من هذا القرن، وقد حدد جلوك ثلاث مراحل زمنية لبناء هذا المعبد، حيث كانت المرحلة الأولى تعود بتاريخها الى الفترة الواقعة ما بين نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول قبل الميلاد، أما المرحلة الثانية فتبدأ في نهاية القرن الأول قبل الميلاد حتى حوالي منتصف القرن الأول الميلادي، وتبدأ المرحلة الأخيرة من منتصف القرن الأول الميلادي ولغاية بداية القرن الثاني الميلادي[1].

إن مخطط معبد التنور وزخارفه الفنية ترتبط، ارتباطا وثيقا بمعبد خربة الذريح، الذي فاق بزخارفه وغناه واتساعه المعابد النبطية الأخرى، ويبدو ان المهندسين والفنانين والمعماريين الذين بنوا معبد الذريح، هم أنفسهم الذين بنو معبد التنور، أو أنهم من مدرسة واحدة. كما أن الارتباط الوثيق بين التنور والذريح، قد ظهر في الكتابات التي وجدت في خربة التنور، والتي تذكر أن (ناتريل بن زيد آيل) كان مسؤولاً عن توزيع وتقسيم مياه عين اللعبان، الموجودة داخل موقع الذريح، كما يدل ذلك على أن مسؤولية إدارة معبد التنور، كانت تناط بأشخاص يسكنون خربة الذريح[2].

وعثر في هذا المعبد على المنطقة المركزية، والمسماة قدس الأقداس، والتي

---

(1) Glueck, N., Deities and Dolphins. The Story of the Nabateans. New York, 1965, p. 101.

(2) المحيسن، زيدون، وڤيل نيف، فرانسوا خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان، حولية دائرة الاثار العامة،34 ، عمان1990 ، ص17-5

Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., fouilles a Khirbet edh Dharih (Jordanie), 1984-1987: un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier -IV ème siècles ap. J. -C.), Comptes -rendus de I'Acadèmie des Inscriptions et Belles -Iettres, Paris, 1988, pp. 458-479.

Villeneuve, F., and Al- Muheisen, Z., Dharih and Tannur, Sanctuaries of Central Nabataea, PETRA Rediscovered, New York, 2004, pp. 83-105.

هي عبارة عن منصة مرتفعة كان الحجاج يطوفون حولها، كما هي العادة في بعض المعابد النبطية كمعبد الذريح، ومعبد الأسود المجنحة في البتراء، ومعبد وادي رم.

ومن أهم التماثيل التي عثر عليها في داخل المعبد، تمثال الآلهة اتارقتس (Atargatis) آلهة الماء والزراعة (صورة رقم 31)، وتمثال للالهة حدد (Hadad) اله العواصف[1]. وقد ورد في الكتابات النبطية التي عثر عليها في التنور، ذكر للإله كوس (Qos) وهو إله آدومي كان يرمز للعواصف أيضاً[2].

ومن المواقع النبطية الأخرى، التي اشتهرت في أيام الأنباط بسبب وقوعها على الطرق التجارية، أو لطبيعتها الزراعية، أو الدينية، موقع التوانه شرق مدينة الطفيلة، الواقع على الطريق السلطاني (طريق تراجان)، والذي اشتهر بحجارته البازلتية، وموقع سلع، وموقع ذات رأس، ومحي، ونخل، والقصر، وذيبان، واللاهون، ومعبد وادي رم، كما والعديد من المواقع النبطية في وادي عربة كموقع طابا شمال العقبة، وموقع غرندل، وقصر ام رتام، وفينان، والطلاح، واخنيزيرا، ووادي أمرق، وفيفا، وغور الصافي، (هناك قائمة لمعظم المواقع النبطية المعروفة موجودة في نهاية الكتاب).

ام الجمال : **Umm el – jimal**

تقع أم الجمال على بعد حوالي 20 كيلو متراً شرق مدينة المفرق، وحوالي 3 كيلو متراً الى الشمال من طريق المفرق بغداد، وتبعد عن مدينة بصرى حوالي 25 كيلو متراً، وعن موقع جاوا حوالي 60 كيلو متراً وعن واحة الأزرق 70 كيلو مترا كما تبعد عن قصر الحلابّات بحوالي 30 كيلو متراً[3].

مناخ أم الجمال مناخ صحراوي، ومعدل سقوط الأمطار السنوي فيها لا

---

(1) Glueck, N., OP. Cit. 1965, pp. 193-209.

(2) Savignac, R., Le dieu nabatéen de La'ban et son temple, RB, 42, 1937, P. 408.

(3) De Vries, B., Urbanization in the Basalt Region of North Jordan in late Antiquity. The Case of Umm el-Jimal, SHAJ II, 1985, p. 252.

يتجاوز 200 ملمتر سنوياً، ولذلك نرى الإهتمام الكبير في مدينة أم الجمال الأثرية، بالمنشآت المائية كالبرك، والسدود، والقنوات. أما درجات الحرارة ففي الشتاء غالباً لا تنزل درجة الحرارة الى الصفر المئوي، أما في أيام الصيف فتتراوح في معدلها تقريباً ما بين 44- 35 درجة مئوية، وكما هو الحال طبيعياً في أي مناخ صحراوي، فإن درجة الحرارة تختلف بين الليل والنهار.

تربة ام الجمال تربه خصبة، وهي تتكون من تربة بازلتية وبعض المواد الأخرى، التي تلقي بها الرياح كالأتربة الرملية[1].

في الأعوام 1904، 1905، 1909 ميلادي، قامت جامعة برنستون بمسوحاتها لمنطقة جنوب حوران[2]. وقد قدمت لنا هذه المسوحات خارطة لأربعين بناية رئيسية، وحوت نتائج النشر على تفصيلات معمارية وتحليلات تاريخية وتسجيلات للنقوش الموجودة (صورة رقم 32) [3].

في نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات زارها نلسن جلوك عدة مرات، لأن هذه المدينة كانت مركزاً للإتصالات على الطرق التجارية النبطية، وكانت على جانب كبير من الأهمية، وذلك لوقوعها على طريق وادي السرحان، الواصل من شمال الجزيرة العربية الى جنوب سوريا، ونتيجة لندرة الفخار النبطي في أم الجمال، وللمواقع النبطية الأخرى في سوريا وشمال الأردن، يقول جلوك بأن التأثير النبطي كان تأثيراً تجارياً استراتيجياً، أكثر مما كان عن طريق استقرار دائم[4].

في عام 1937 قام هورسفيلد بنشر صور جوية لأم الجمال[5]. وفي عام

---

(1) Ibid, P. 252.
(2) Butler, H. C., Ancient Architecture in Syria, Section A: Southern Syria, Part 2, The Southern Hauran, Leyden, 1909., Part 3, Leyden, 1913, PP. 39-66.
(3) Devries, B., OP. Cit. 1985, PP. 249-257.
(4) Glueck, N., Exploration in Eastern Palestine IV, AASOR, XXV - XXVIII, 1951, PP. 13-17.
(5) Horsfield, G., Umm el Jimal, Antiquity, 11, 1937, pp. 456-460.

1956 قام كوربت (Corbett) بدراسة كنيسة جوليانوس في ام الجمال، وقد أعاد تاريخ بناء الكنيسة الى القرن الخامس الميلادي، بينما حدد بتلر تاريخها عام 344 ميلادي بناء على نقش مجاور، وكانت تعتبر أقدم كنيسة في المنطقة[1].

أما الحفريات والمسوحات للموقع فقد قام بها بيرت دي فريس (DeVries) ما بين أعوام 1983- 1973.

وكانت طريق وادي السرحان، التي تربط جنوب الأردن بجنوب سوريا، تحت السيطرة النبطية. ويمر هذا الطريق بجانب ام الجمال، ويعتبر النشاط التجاري بالإضافة للزراعة أهم مقومات الإقتصاد في بصرى وأم الجمال، ولقد زادت أهمية أم الجمال زمن الملك النبطي رابيل الثاني 106- 71ميلادي، حيث نقل عاصمته من البتراء الى بصرى، وإزدادت أهمية الطريق التجاري الى الصحراء السورية، عبر وادي السرحان الذي تقع أم الجمال على إمتداده[2].

ومما يؤكد الاستيطان النبطي للمدينة، ومنذ القرن الأول قبل الميلاد، النقوش النبطية الموجودة وشواهد القبور، وقد إستمرت المدينة نبطية رغم السيطرة الرومانية بعد عام 106 ميلادي.

يعتقد دي فريس بعدم وجود مدينة نبطية تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين، تحت المدينة البيزنطية، وإنما تواجدت مستوطنة نبطية صغيرة بجانب المدينة البيزنطية الحالية، واختفت كلياً بسبب إستخدام حجارتها، في بناء المدينة الحديثة في القرنين الثالث والرابع الميلاديين[3]. ومن الممكن أن تكون هذه المدنية في المنطقة الشرقية من المدينة الحالية، في الموقع المسمى من قبل الأهالي بإسم (الهري)، ويعتقد البعض بأنها دمرت نتيجة زلزال، وتم نقل حجارتها لبناء المدينة

---

(1) Corbett, G.U.S., Investigations at Julianos Church at Umm el Jimal, The Papers of the British School at Rome, XXV, 1957, pp. 39-66.

(2) Peters. F.E., The Nabateans in the Hawran, JAOS, 97, 1977, pp. 263-277.

(3) Devries, B., Op. Cit. 1985, pp. 249-257.

الباقية الآن. ولا يوجد دليل واضح على ما يقوله دي فريس، بعدم وجود للمدينة النبطية تحت المدينة البيزنطية، لا بل أن العكس هو الصحيح، حيث تدل بعض الحجارة الموجودة في الأرضيات، والتي أعيد استعمالها لاحقاً بأنها نبطية، إضافة إلى تواجد الفخار النبطي في الموقع.

تتبع أهمية أم الجمال في الفترة النبطية، لكونها واحدة من المدن التي تقوم بتصدير الثروة الحيوانية، لمدن الديكابولس وشرق المتوسط، وقد أثر ذلك على تخطيط العمارة، من حيث تخصيص أدوار سفلية للحيوانات، وخزن الحبوب، ووجود مساحات داخل المدينة، ربما كانت لإيواء هذه الحيوانات[1]. وفي الأعوام الأخيرة تم الكشف عن مجموعة من المدافن النبطية في أم الجمال.

المدن النبطية في صحراء النقب:

ازدهرت المدن النبطية في النقب، بسبب أهمية طرق التجارة النبطية التي كانت تمر فيها، وخاصة الطريق التجاري الذي يربط البتراء بمدينة غزة على الساحل. وقد أمن الأنباط الحاميات العسكرية لهذه المدن، كما أمنوها بنظم مائية متطورة، تعتمد على جمع مياه الأمطار داخل خزانات وآبار أرضية. كما أنهم زرعوا العديد من هذه المناطق بمحاصيل الحبوب وأشجار الكرمة.

وقد تم تقسيم مراحل الإستقرار النبطي في صحراء النقب، بناء على التنقيبات الأثرية في مدينة عبده (Oboda) النبطية وهي:-

- المرحلة النبطية المبكرة وتبدأ من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى بداية القرن الأول قبل الميلاد.
- المرحلة المتوسطة وتبدأ من القرن الأول قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الأول الميلادي.
- المرحلة المتأخرة وتبدأ من منتصف القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن

(1) Corbett, G.U.S., 1957, p. 43.

الثاني الميلادي[1].

أما أهم المدن النبطية في صحراء النقب فهي:

عبده **(Oboda)**

يعتبر بالمر (Palmer) أول من زار مدينة عبده، وذلك في عام 1870 ميلادي، وتبعه موزيل (Musil) في عام 1902 ميلادي، وفي الأعوام 1933 قام كيرك (Kirk)، بإجراء عدة مواسم للتقيبات في عبده[2]. كما قامت الجامعة العبرية، بإجراء الحفريات الأثرية في عبده برئاسة أفي يوناه (Avi -Yonah)، ومن ثم قام بالتنقيب فيها آبرهام نقب (Negev) وكوهين (Cohen).

وقد تمثلت العصور النبطية المبكرة في عبده أيام ملوك الأنباط القدماء، إي في الفترة ما قبل 87 قبل الميلاد، وقد شهدت هذه الفترة عدة صراعات بين الأنباط والحشمونيين اليهود. وتدل الآثار والنقوش الى تجدد الاستقرار النبطي في عبدة، خلال حكم الملك الحارث الرابع (9 قبل الميلاد - 40 ميلادي). وازدهرت منطقة عبدة بشكل كبير في تلك الفترة. وقد قسمت النقوش النبطية التي عثر عليها الى ثلاثة أنواع: نقوش محفورة على الرخام وحجارة المباني، ونقوش على الموجودات الصغيرة[3]. وقد عثر في عبده على مبانٍ مختلفة متقنة الصنع، كما عثر على فرن لصناعة الفخار. ويذكر نقب ان الاستقرار النبطي، قد توقف في عبده، في حوالي منتصف القرن الأول الميلادي، وقد استمر هذا الفراغ في عهد الملك النبطي مالك الثاني (40 ميلادي ولغاية 70 ميلادي)، وبعد ذلك عاد الازدهار والبناء مرة أخرى في مدينة عبده، وخاصة تطوير نظم الري والزراعة[4].

---

(1) Negev, A., Numismatics and Nabataean Chronology, PEQ, 114, 1982, p. 119.

(2) Kirk, G.E., The Negev, or Southern Desert of Palestine, PEQ, 1941, pp. 60-61.

(3) Negev, A., Nabatean Inscriptions from Avdat (Oboda), IEJ, 11, 1961, p. 127.

(4) Negev, A., The chronology of the Middle Nabatean Period, PEQ, 101, 1969, pp. 5-6.

خلاصة أو الخلصه (Elusa)

وتنسب هذه المدينة الى الآلهة النبطية العزى، أول من زار موقع خلاصة روبنسون (Robinson) في عام 1838 ميلادي، ومن ثم زارها بالمر، ومزيل، ولورنس (Lawrence) عام 1914 ميلادي، ومن ثم كولن بالي (Colin -Baly) وكلوت (Colt) عام 1938 ميلادي.

وقام كيرك بإجراء عدة مواسم للتقيبات الأثرية في خلاصة في الأعوام 1938 - 1933[1]. وقد تم العثور على قطع فخارية سوداء مزججة، ومزهريات هلنستية لها أيدي ملتوية، تعود في تاريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد. كما عثر على زبادي فخارية ملونة نبطية، تشبه الزبادي التي عثر عليها في موقع عبده، والتي أرخت للنصف الأول من القرن الأول الميلادي. وقد أرخت النقوش النبطية في خلاصة الى حكم الملك النبطي الحارث الثالث، وهذا يدل على أن الإستيطان كان خلال المرحلة النبطية المبكرة والمتوسطة، التي أشرنا إليها قبل قليل. أما فيما يخص الفترة النبطية المتأخرة، فقد كانت خلاصة أيضاً مزدهرة في بداية القرن الثاني الميلادي[2].

عوجا الحفير (Nessana)

يعتبر روبنسون أول من زار موقع عوجا الحفير، وذلك في عام 1838 ميلادي، وزارها بالمر في عام 1870 ميلادي، وكذلك موزيل في عام 1897، وكذلك وولي (Woolley)، وقام كيرك بإجراء التنقيبات الأثرية في عوجا الحفير، في الأعوام 1933 ولغاية عام 1938[3] تم العثور على قطع فخارية كثيرة من الفخار النبطي الملون، أثناء المسوحات الأثرية السطحية في منطقة عوجا الحفير، كما عثر على العديد منها أثناء التنقيبات الأثرية. وقد عثر كذلك على أيادي الانفورات التي تحمل أختاماً، وتعود في تاريخها الى الفترة النبطية المبكرة، أما النقوش التي

---

(1) Kirk, G.E., Op. Cit, 1941, pp. 60-61.
(2) Negev,A., OP. Cit. 1969, p. 6.
(3) Kirk, G.E., Op. Cit, 1941, pp. 60-61.

كتبت على الحجارة في عوجا الحفير فقد أرخت للأعوام 150 ميلادي ولغاية 300 ميلادي. وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن بناء يعود في تاريخه الى الفترة الهلنستية. اعتماداً على وجود الفخار في الأساسات لهذا المبنى، وتمثلت أيضاً في عوجا الحفير على برج يعود للفترة الهلنستية، كما عثر على قطع الأعمدة والتيجان النبطية، التي تعود الى مبان نبطية يرجع تاريخها الى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي. وتزامن الإستقرار النبطي في عوجا الحفير مع الإستقرار في موقع عبده، واعتمد أيضاً على قطع المسكوكات النبطية في تأريخ مناطق عوجا الحفير، فقد عثر على قطع عملة تعود الى حكم الملك الحارث الرابع، وحكم الملك مالك الثاني، وحكم الملك رابيل الثاني[1].

سبيطة (Sobata)

أول من زار سبيطة بالمر في عام 1870 ميلادي، وزارها موزيل عام 1902 ميلادي، وكذلك لورنس في عام 1914، ومن ثم كولت وايفي يوناه في الأعوام 1959 -1958.

تم العثور على قطع من الفخار النبطي في موقع سبيطة، وخاصة القطع المعروفة بالتراسجلاتا (Terra sigillata)، ومن ضمنها الزبادي النبطية الملونة، وقد قامت كروفت (Crowfoot) بدراسة هذا الفخار، واستندت كروفت في تأريخها لهذا الفخار، بناء على قطتي مسكوكات وجدت مع هذا الفخار[2]. ويعود تأريخ فخار سبيطة الى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وهذا يدل على أن تاريخ سبيطة يعود الى الفترة النبطية المتوسطة[3].

كرنب ممسيس (Mampsis)

---

(1) Negev, A., Op. Cit. 1969, pp. 6-7.
(2) Crowfoot, The Nabataean Ware of Sbaita, PEQFS, 68, 1963, pp. 14-27.
(3) Negev, A., Op. Cit. 1969, pp. 7-8.

أول من زار هذا الموقع روبنسون، ومن ثم بالمر، وموزيل، وولي، ولورنس، وكيرك، ومن ثم أبراهام نقب (صورة رقم 33).

وتشير المصادر القديمة الى وجود ثلاثة فترات استيطان في كرنب، وهي الفترات التي تم الإشارة لها سابقاً. وتم العثور على قطع الفخار النبطي الملون، واستمر الإستيطان في هذا الموقع خلال الفترة البيزنطية، والتي تمثلت بوجود الكنائس فيها. وقد وجدت في مدافن كرنب، قطع الفخار النبطي الملون، وفخار التراسجلاتا خلال الفترة النبطية المتوسطة، وعثر خلالها على الفخار النبطي، وفخار السجلاتا الشرقي، والعديد من الأسرجة النبطية، والتي تعود في تاريخها الى القرن الأول الميلادي. كما تم العثور على قطع الفخار، والأواني الفخارية في مدافن كرنب، وخاصة الزبادي الملونة الرقيقة النبطية الصنع. كما عثر على قطعة مسكوكات فضية، تعود لحكم الملك النبطي مالك الثاني، كما تم العثور على مبانٍ تعود للفترة النبطية المتوسطة. وفي الفترة النبطية المتأخرة، عثر على مبانٍ، وتيجان أعمدة نبطية والحليات النبطية المقعرة والمحدبة، التي وجدت أمثلة لها في المناطق النبطية في حوران[1].

أسباب الإستقرار النبطي في النقب:

1- تجاري

أ- طرق تجارية

خلال القرن الثاني قبل الميلاد، مد العرب الأنباط سيطرتهم على تجارة البحر الأحمر، بعد إضمحلال قوة بطالمة مصر، وأصبح من الضروري تأسيس خط من المحطات التجارية، على طول النقب بين البتراء وأيله (العقبة) ميناؤهم على البحر الأحمر، وميناء غزة على البحر المتوسط[2].

ومما يجدر ذكره ان ازدهار المملكة النبطية، في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، وقوتها وثروتها العظيمة، يعود لحقيقة ان المملكة، تقع على

(1) Ibid, pp. 8-9.
(2) kirk, G.E., Op. Cit, 1941, p. 62.

طرق تجارية مهمة في الجزيرة العربية وسوريا، وحملت قوافلها التجارية التوابل والبخور من جنوب الجزيرة العربية، والبضائع من إفريقيا والهند، ومن المحتمل من الصين، وتحملها الى المحطة الرئيسية البتراء. وبعضها تصل من المراكز المرتبطة بالبتراء، وهي مدائن صالح، وتيماء العربية، وهناك طريق تحمل تجارة الخليج العربي عبر جرهاء، ومن البتراء يعاد تصدير البضائع باتجاه الشمال لسوريا، وباتجاه الجنوب الغربي عبر النقب وسيناء الى مصر، وباتجاه الغرب شمال النقب الى غزة، وعسقلان على البحر المتوسط، ومن عسقلان الى الإسكندرية في مصر، وتصل إلى مناطق أبعد من ذلك، إلى بيتولي في إيطاليا وجزيرة رودس واليونان[1].

ب- أبنية ذات طبيعة تجارية

المدن التي تقع على الطرق التجارية لا بد من توفر أبنية فيها لها علاقة بالتجارة، سواء أكانت أبنية دفاعية، لحماية هذه الطرق والقوافل من الغارات، أو أبنية لإستقبال القوافل التجارية وبضائعها ومرافقيها من الرجال والرواحل.

ففي جنوب غرب مدينة كرنب، وعلى مسافة قصيرة من السور، تم العثور على بناء ضخم 40×30 متر، وهو يتكون من غرف صغيرة، على طول الجوانب الشمالية والشرقية من المبنى. وقاعة كبيرة تمتد على طول الجانب الشرقي، وعدد من الساحات المكشوفة، وشكلها يشير الى استخدامها كخان. الجزء الشمالي - الشرقي في المبنى بني فوق بقايا بناء نبطي[2].

ومن الحكمة ان الأبراج الدفاعية في عبده، وأساسات التحصين في عوجا الحفير تعود لهذه الفترة[3].

---

(1) Starcky, J., Petra et la Nabatène, Supplément au dictionnaire de la Bible, Vol. VII, 1966, pp. 937-938.

(2) Negev, A., Nabatean Capitals from the Towns of the Negev, IEJ, 24, 1974, pp. 153-159.

(3) Kirk, G.E., Op. Cit, 1941, P. 62.

جـ - وسائط النقل:

كانت الجمال من وسائط النقل الهامة، وتساهم بشكل كبير في ازدهار تجارة القوافل، والتي اشتهر بها الأنباط، وقد تم العثور على دمى طينية تصور الجمل. وقد تحول الأنباط الى تربية الخيول، والتي تعتبر خطوة لاحقة بعد تربية الجمال، يؤكد ذلك الإسطبلات التي وجدت في كرنب، وعبده، وسبيطة في النقب، وفي حوران، ولكن من غير المعروف أي نوع من الخيول تم تربيته في هذه المناطق. ولكن من المحتمل انه حصان أفريقيا الشمالي، الذي استخدم من قبل المصريين. بالإضافة الى الإسطبلات، هناك رسومات للخيول المحفورة في الصخر مع النقوش النبطية في جنوب سيناء. وأيضاً تم العثور في عبده داخل معامل صنع الفخار على دمى طينية للخيول[1].

-2 زراعي

أنظمة المياه والري

المياه من أهم مقومات الإستقرار في أي مكان سواء للإستهلاك البشري أو الحيواني أو لغايات الزراعة. وقد برع الأنباط بشكل ملحوظ في تخطيط وهندسة المياه، سواء في النقب أو مناطق غيرها في المملكة النبطية كما ذكرنا سابقاً.

أـ القنوات ومنها:

- قنوات تجمع مياه الأمطار المتساقطة فوق الجبال الصخرية، لتجرها الى المصاطب والحقول والوحدات الزراعية. ولقد استغل الأنباط كل قطرة من مياه الأمطار، ولم يتركوا مجالاً لضياعها دون الإستفادة منها، أما بتخزينها لحين الحاجة، أو بتحويلها الى الحقول والمصاطب التي عند السفوح أو في السهول.
- قنوات لتصريف مياه الأمطار الى البرك والسدود والآبار[2].

ب- البرك وخزانات المياه:

---

(1) Negev, A., Nabatean Archaeology Today, New York, 1986, pp. 105-106.

(2) Evenari, M., (In Lindner, 1980), P. 131.

برع الأنباط في مجال الزراعة، اذ أوجدوا انماطاً للري، بالإستفادة من مياه الأمطار والعيون، ففي أماكن التقاء السيول وعند المنحدرات، نحتت البرك في الصخر الرملي لتجميع مياه السيول.

طرق إنشاء البرك:

نحتت البرك في أغلب الأحيان في الصخر، وإذا دعت الحاجة تكمل بعض الأجزاء غير المتاسقة والقليلة الإرتفاع بالبناء الحجري، وبعد إستكمال الحفر، يتم بناء الأقواس التي تغطي البركة، وذلك بحفر أساس لها في الواجهة الطولية، ويتم تغطية الأقواس ببلاطات حجرية، وتعبأ الفجوات الصغيرة بالمونة، التي تزيد من تماسك السقف وحمايته من التآكل.

ففي سبيطه وجد خزانان ضخمان في وسط المدينة، إضافة للآبار التي في البيوت. والقنوات التي يمكن مشاهدتها قرب الخزانات. وفي جنوب المدينة في أعالي وادي الأبيض، يوجد نظام ضخم من الصهاريج والأقنية، ومن الواضح انه عمل بأبعاد ضخمة ويبلغ سمك الجدران 10 أقدام، وارتفاعها 15 قدما، وهذا النظام المائي كان يغطي مناطق واسعة[1].

وجود قصر وادي السيق في النقب، على طريق القوافل التجارية إضافة لكونه نقطة عسكرية دائمة، يتواجد بها حامية عسكرية طوال السنة، وجب تزويده بمصادر ماء إضافية، لا يمكن الحصول عليها من الوادي، لذلك قام الأنباط ببناء خزان مغطى فوق الأرض، ويقع على منحدر التل، ويمسك ويحفظ مياه الأمطار التي بنى لها الأنباط قنوات لجمع المياه، وكانت هذه القنوات مبنية من الحجارة وجزء منها محفور في الصخر الطبيعي. أما الخزان فكان من الخارج يشبه أي بيت عادي، جدرانه مكونة من خمسة الى سبعة مداميك، من الحجارة الجيرية فوق الأرض، وارتفاعه يتراوح ما بين (14- 11) قدماً. أما السقف فمكون من دعائم حجرية طويلة فوق ثلاث قناطر، والمدخل مكون من درج يقود للأسفل حتى

(1) Negev, A., Temple, Kirchen und Zisternen, Stuttgart, 1983, p. 200.

القاع، أما باطن الخزان فكان مقصوراً بالكامل وبعدة طبقات[1].

جـ- السدود

أفضل وسيلة للإستفادة من مياه الأمطار، هو بناء سدود لمنع المياه من التسرب هدراً. ووجدت سدود في كرنب تخدم غرضين لجمع المياه ولحفظ التربة، ولا تزال تحفظ كميات لا بأس بها من المياه خلف السد، وتدوم لعدة أشهر بعد انقضاء موسم المطر[2].

د- الآبار:

اشتهر الأنباط بحفر الآبار، اذ قال عنهم ثيودور الصقلي، أنهم كانوا يحفرون الآبار، ويضعون عليها إشارات خاصة للإستدلال عليها. وغالباً ما تكون الآبار اصغر حجماً من البرك، فتكون أما على شكل خزان مربع أو مستطيل، وتكون أبوابها على شكل دائري، ليسهل تغطيتها. وربما استعمل بعضها لأغراض عسكرية، اذ هي مخفية يصعب الإستدلال على مكان وجودها.

وجدت الآبار بأعداد كبيرة وبأحجام مختلفة، وهناك أعداد منها كانت مبطنة بطبقات من البلاستر، وقطع فخار صغيرة، وتظهر على أبوابها آثار الحبال. ووجدت في عبده وعلى كلا جانبي وادي الرميله، أعداد من الخزانات المحفورة في الصخر الرملي، وما زال بعض هذه الخزانات بحالة جيدة، حيث تمتلئ سنوياً بمياه الأمطار، وتستخدم يومياً من قبل البدو. ويتم النزول الى الخزان بواسطة درج[3].

استغلال الأرض للزراعة:

أضاف الأنباط لبراعتهم في تقنية المياه، قدرة أخرى لها ارتباط بالمياه، وهي استغلال الأرض للزراعة الى أقصى الحدود، فعملوا على زراعة كل شبر من الأرض الزراعية، حتى الجبلية منها والمنحدرة.

وقام الأنباط باستغلال كل الأراضي المحيطة بمملكتهم، وتعلموا تكييف أنفسهم

---

(1) Ibid, p. 71.
(2) Ibid, p. 100.
(3) Evenari, M., Faire revivre le désert. Expériences d'agriculture en zones arides, ed. fr., Zurick, 1974, P. 15.

للعيش في مناطق غير ملائمة بيئياً، وقاموا بخلق مناطق إستقرار دائمة، حتى في المناطق المقفرة في وادي عربه، وفي الغرب من مناطق النقب، وقاموا بتحويل الأراضي الشاسعة المهدورة الى حقول ومناطق زراعية[1].

الحجر (مدائن صالح) : Median Saleh

يعتبر شمال الحجاز، من المناطق التي شهدت استيطاناً هاماً، في عصر الأنباط العرب، حيث يتوزع هذا الإستيطان في أجزاء واسعة من هذه المناطق، يؤكد هذا الإنتشار وجود كسر الفخار النبطي خاصة الملون منه في هذه المناطق، ولا زالت الدراسات العلمية الميدانية، وخاصة ما يتعلق منها بالتقيبات الأثرية في بداية الطريق.

تعتبر مدائن صالح من أهم المواقع النبطية، في تلك المناطق الغنية بآثارها الباهرة، وعظمة مدافنها، التي تشبه مدافن العاصمة العربية النبطية البتراء، لا بل إمتازت عنها بوجود النقوش النبطية المؤرخة الموجودة على واجهاتها المنحوتة، هذه المدافن التي أصبحت مرجعاً رئيسياً، لدراسة تاريخ واجهات المدافن المنحوتة في البتراء، كما أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن مدافن نبطية، وعادات دفن نبطية، في مواقع مختلفة من دولة الأنباط[2]. ساهمت في التعرف على عادات الدفن النبطية، حيث كان الإهتمام بدفن الشخص المتوفي، يدل على إيمان الأنباط بالبعث بعد الموت، والإيمان بوجود حياة خالدة، لذلك أبدعوا في نحت واجهات مدافنهم، وعادات دفن موتاهم، والإهتمام بالمآدب والمضافات الجنائزية، وأثناء

---

(1) Ibid, P. 16.

(2) Al -Muheisen, Z ,.and Villeneuve, F., Fouilles a Khirbet edh Dharih (Jordanie), 1984-1987: Un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier -IVème siècles ap. J. -C.), Comptes -rendus de I' Academie des Inscriptions et Belles -Lettres, Paris, 1988, pp. 458-479.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، كلية الاداب جامعة الملك سعود،1984 ، ص46-17

الوفاة، وفي أوقات الأعياد، الدينية وأثناء زيارات هذه المدافن[1].

أول من قام بزيارة مدائن صالح شارلز داوتي (Doughty)، وذلك في عام 1876 ميلادي، وقام داوتي بتسجيل النقوش والكتابات القديمة، ونشرها في كتابه الذي صدر عام 1888 بعنوان (Travels in Arabia Deserta)، وفي عام 1907 ميلادي قام كل من جوسين وسافنيك (Jaussen and Savignac)، بدراسة موقع مدائن صالح، وتعتبر دراستهما من المصادر الأساسية لدراسة هذا الموقع، فقد قاما بدراسة النقوش النبطية ودراسة المقابر، والآثار، وصدرت هذه الدراسات في كتاب عام 1909. وفي عام 1910 قام موزيل بزيارة مدائن صالح، ونشر دراسته في عام 1926، وبعده فليبي الذي نشر دراساته عام 1957.

كما قام عبد الرحمن الأنصاري بدراسات عديدة لمدائن صالح، وخاصة دراسة اللحيانيين وعلاقتهم بالمنطقة وذلك في عام 1960، وقام حمد الجاسر بدراسة الأنباط وعلاقتهم بمدائن صالح وذلك في عام 1970،كما قام كل من هاردنج ودايتون بمسح أثري للمنطقة الشمالية الغربية للجزيرة العربية، ونشرت دراستهما عام 1972. وصدر كتاب لمحمد عبد الحميد مردود عن هذا الموقع عام 1977، وركز خلاله على دراسة الثموديين. وقام المركز الجغرافي الفرنسي بتوثيق وترقيم المقابر والنقوش، ومن ثم قامت جامعة الملك سعود، بإعداد كتاب، احتوى نبذة عن مدائن صالح والعُلا وآثارهما نشر عام 1984.

وتشكل مدائن صالح أبعد نقاط امتداد الإتساع النبطي جنوباً. واسمها القديم (Egra)، وتقع في المملكة العربية السعودية وتبعد 400 كيلو متر الى الجنوب الشرقي من البتراء، وما يميزها وجود النقوش على المقابر التي تماثل البتراء، وظهرت فيها مقابر تعود للتصنيفات الأربعة الأولى التي صنفها (Domaszewski)في البتراء.

الآثار النبطية في مدائن صالح تتكون من النقوش على المقابر المحفورة و

(1) Tarrier, D., Les installations de banquet à Petra, RB, 93, 1986, pp. 254-256.

المنحوته، والفخار النبطي المميز كقشرة البيضة، وقد كشف جوسين وسافنياك، اللذين زارا المدينة وصورا واجهات المقابر والنقوش، كشفا المدينة النبطية القديمة التي تشبه آثار مدينة البتراء، وتظهر فيها الأسوار.

وتشكل مدائن صالح مركز مهماً لتجمع المياه في الصحراء، فعندما يكون هناك مطر في المناطق المجاورة، تتجمع في قنوات توصل الى آبار نبطية تم الكشف عن آثارها، مما يشير الى توفر المياه على مدار السنة. وتشير النقوش التي تم العثور عليها، الى أنها كانت مركز دفاع للأنباط حتى نهاية القرن الثاني الميلادي.

تم إرجاع الواجهات حسب التصنيفات الأربعة التي وضعها دوماسيفسكي الى القرن الميلادي الأول (75 ميلادي)، واستعملت حسب الذوق، والتكلفة، وقدرة من يريد البناء، وليس حسب التسلسل التاريخي.

فنجد في مدائن صالح غياب الواجهات الكلاسيكية ذات الجمالونات المستوحاة من المعابد اليونانية، وهذا قد يشير الى أن مثل هذه الواجهات، لم تطبق في البتراء إلا بعد هذا التاريخ. وقد تناول (Negev) دراسة وتحليل مدافن مدائن صالح، والكشف عن العلاقة بين التاريخ ونوع المدفن وحسب الشخص المدفون، وكلما زادت أهمية الشخص الإجتماعية وغناه فإن ذلك ينعكس على تعقيد المدفن.

لقد حملت 16 مدفناً من مدافن صالح أسماء من نحتها، وتشير 13 منها الى أنهم جميعاً من عائلة واحدة. ومن الممكن ملاحظة بعض العلامات أو النقوش، التي تشير الى ناحتها على الواجهات المعمارية، بين قوسين مربعين أو كإتباع أسلوب معين في معالجة التاجيات وفتحات الأبواب وأشكال النسور[1].

المدافن:

بلغ عدد المدافن التي عثر عليها 80 مدفنا، منحوتة داخل كتل صخرية من الحجر الرملي، وتتبع أهميتها في إحتوائها على التواريخ، التي توضح لنا أقدم تأريخ

(1) Mckenzie, J., The Architecture of Petra, New York, 1990, pp. 5-16.

معروف كتبه الأنباط، ويرجع الى القرن الأول قبل الميلاد، وآخر تاريخ يعود الى 75 ميلادي[1]. والسبب وراء بناء تلك المدافن، يعود الى إيمان داخل نفوسهم، بأن الواجب عليهم ان يعدوا لأنفسهم مكاناً لائقاً بعد الموت، تستريح فيه أجسادهم. ونحتت المدافن داخل صخور رملية ملساء ذات لون أحمر أو بني، على شكل حجرات ضخمة، نحتت في جوانبها فتحات الدفن العميقة لدفن الجثث، ووجدت كذلك حفر غير عميقة كان الهدف منها وضع المرفقات الجنائزية، التي ترافق المتوفى. وتشبه واجهات هذه المدافن مثيلاتها في البتراء، ووجدت الشرفات المدرجة فوق كثير منها، ويظهر فوق المدخل من الأعلى نقش المزهريات، وهذا الشيء غير موجود في البتراء. وفي أعلى الواجهات نجد الكورنيش المصري (Cavetto)، قد توج معظم واجهات المدافن، بزخارف الشرفات، التي نظمت بأسلوب فني متماثل، ووجد فوق مدخل احد المدافن نحت لقرص شمسي، وحيوان أسطوري، مركب من رأس نسر وجسم أسد مجنح، وتمثل الشمس ذا الشرى كحام لحرمة المدفن، ومن الرسوم التي كانت تزين واجهات هذه المدافن نسر ذو حجم عظيم ناشر جناحيه، كما لو كان على وشك الطيران تحته منحوته لأفعى والتي لها رمز ديني. هذا وقد عثر فوق أحد مداخل المدافن، على رسم منحوت يمثل أبا الهول، حيث يعتبر من الكائنات الخيالية، التي كان الإنسان يتصورها ويرسمها فوق الأبنية.

مدفن قصر البنت:

يعود في تاريخه للقرن الأول الميلادي، في عهد الملك الحارث الرابع، يتكون من غرف نحتت في الصخور، لبعضها دروب وطرق توصل بالآخر، وهذه المدافن تخص أسراً، ومنها هذا المدفن حيث نحت داخل تل، له مدخل خارجي ويبلغ ارتفاعه حوالي 20 متراً. وتضم مجموعة قبور قصر البنت حوالي 20 قبراً، تقع المقبرة الأولى في نهاية الحافة الشمالية من البروز الصخري لقصر البنت، وتعتبر واجهته من أعلى الواجهات الموجودة في مدافن مدائن صالح، حيث تبلغ من الارتفاع حوالي 20 متراً، ومساحة حجرة الدفن من الداخل 6.45متر، يعود هذا المدفن في

(1) الأنصاري وآخرون، نفس المرجع السابق، ص22-20

تاريخه من خلال النقش النبطي، الذي عثر عليه والذي يرجع الى سنة 31 ميلادي. تشترك المدافن جميعها في وجود الكورنيش المصري والشرفات.

قصر الصانع:

يقع عند الحافة الجنوبية لموقع الحجر، وهذا القصر عبارة عن صخرة معزولة، توجد بها واجهة واحدة لأحد المدافن، وتتخذ هذه الواجهة أسلوب الكورنيش البارز، والنقش يرجعها الى عام 8 ميلادي فمن خلال النقش الذي وجد على الواجهة، يظهر أن المدفن يعود لعائلة ليست عربية، دل على ذلك أسماء أصحابها، أما نحاتين المدفن فهم عرب دلت أسماؤهم على ذلك.

مجموعة المقابر C:

نحتت واجهاتها في المنحدر الصخري، الذي يسمى بمنطقة الخورسوف ويقع في القسم الجنوبي من المنطقة السكنية القديمة، أهم ما يميز هذه المجموعة هي الواجهات المنحوتة في الصخر، وبعض هذه الواجهات مزخرفة بصفين من أفاريز الشرفات المدرجة المتوازية، وتوجد على زاويتها العلوية آنيتان منحوتتان في الصخر وعلى الزاوية العلوية نحتت آنية ثالثة كبيرة الحجم.

الخريمات:

تقع في الركن الجنوبي الغربي للموقع، حيث توجد سلسلة من واجهات المقابر في المنحدر، ويعتبر قبر (E17) أهمها جميعاً، وهو يمثل الواجهة الرابعة في الجنوب، يتوج باب المدخل واجهة مثلثة نصف دائرية، نحتت عليها بإفريز داخلي، أشكالاً بيضاوية، بالإضافة الى نحت الآنيات في الزوايا العلوية، وهذا المدفن لا يحمل تاريخ بناء.

الديوان (التريكلينيوم):

يوجد في جبل أثلب، ويسمى بالديوان، ويقع بالقرب من مدخل سيق ضيق، كالموجود في منطقة السيق البارد في البتراء. وقد نحت في الصخر على شكل حجرة مستطيلة ونحتت في الأرضية المصطبات الثلاثية[1].

بصـــرى (Bostra)

الموقع الجغرافي

تقع مدينة بصرى في الطرف الشرقي في سهل حوران، في موقع صالح للزراعة، ويعد من أحسن المواقع بين الأراضي القريبة منه، حيث تمتد مساحة من الأراضي الخصبة الى الشمال والغرب من المدينة القديمة، وهو ما يسمى بسهل (النقرة)، كما أنها ترتفع فوق هذا السهل بما يقارب من 850متراً[2].

وتتألف المنطقة المحيطة بمدينة بصرى، من الجزء الجنوبي الشرقي، للمنطقة البازلتية، الواقعة في جنوب سوريا، وهي أيضاً جزء من منطقة مستطيلة من الهضاب البازلتية، المتده الى الجنوب من دمشق، ومن وادي الأردن الأعلى، وبحيرة طبريا بإتجاه الشرق، أما القسم الوسط من هذه الهضاب، فهو عبارة عن سهل خصب، كان يعرف سابقاً بإسم باشان (Bashan) المعروف بسهل النقرة. وتؤدي إمتدادات سهل النقرة، الى منطقة صخرية غير مستوية، هي سهل حوران الجنوبي، حتى تصل جنوباً الى أم الجمال في الأردن، والى الجنوب الغربي حيث واحة الأزرق، التي تكون النهاية الشمالية لوادي السرحان، الذي يعتبر المر الطبيعي لترحال الإنسان منذ آلاف السنين، من شبه الجزيرة العربية الى سوريا الجنوبية. أما مناخ بصرى فهو دافئ جاف صيفاً، وشتاؤه بارد ورطب، ومعدل الأمطار يتراوح سنوياً من

---

(1) المرجع السابق، ص23-40

(2) Butler, H.C., Ancient Architecture in Syria, Southern Syria, Vol. 4, Leyden, 1914, p. 215.

300- 200 ملمتر[1].

وموقع بصرى جعلها مركزاً هاماً للتجارة، وتكمن أهميتها أيضاً في خصوبة أراضيها، وكانت المدينة تزود بمياه الأمطار والينابيع العديدة ذات المياه العذبة[2]. ومواسمها الزراعية تتوقف جودتها على غزارة الأمطار التي تسقط شتاءً، وفيها نبع اسمه (الجهير)، يكفي لتزويد السكان بماء الشرب، في السنين التي تهطل فيها الثلوج على جبال حوران[3].

لمحة تاريخية:

لقد وردت تسمية (بصرانا) كإحدى المدن العريقة في لوحات تل العمارنة، وهذه التسمية لا تنطبق بشكل مؤكد على بصرى، فقصة سفر التثنية، التي تذكر درعا وصلخد، القريبتان من بصرى من بين ستين مدينة محصنة، تابعة لملكة باشان لم تذكر فيها بصرى[4]. أما تسمية بصرى فتعني "الحصن" باللغات السامية، كما سماها الرومان (Nea Traiana Bostra)، أي تراجا الجديدة نسبة لإمبراطورهم (تراجان)، وأطلق عليها فيما بعد، في العهد العربي تسمية (بصرى الشام)، كما عرفت في العهد العثماني باسم (بصرى إسكي الشام)[5].

ونجد أن الموقع يرتبط إسمه مع ذكر الأنباط، بعد أن أسسوا مدينتهم، وعملوا على تحصين وحماية وتوفير المياه لطرق القوافل، بين شمال الجزيرة العربية والبحر المتوسط، ثم امتد سلطانهم الى الشمال، ليسيطروا على الطرق الرئيسية، وخاصة الطريق الصحراوي الذي يبدأ من الجوف مروراً بوادي السرحان والأزرق الى دمشق[6]. تعتبر بصرى من أكبر المناطق الأثرية في منطقة حوران، الممتدة من جنوب

---

(1) ميلر، دوريس، بصرى في بلاد العرب، مدينة نبطية ورومانية في بلاد الشام، الحوليات الاثرية السورية، مجلد37-36 ، ترجمة شوقي شعث، دمشق،1986-1987 ، ص 134-133

(2) Butler, H.C., Op. Cit., P. 215.

(3) المقداد، سليمان، الاثار في محافظة درعا، ص24

(4) ميلر، المرجع السابق، ص135

(5) الشهابي، قتبة، سورية ملتقى الحضارات، دمشق،1988 ، ص254

(6) ميلر، المرجع السابق، ص135

دمشق، وحتى مناطق شرق الأردن، كما تعتبر من أكبر المناطق التي سكنت في العهود السابقة[1].

وهي حاضرة هامة، تجلّت أهميتها في عهد الأنباط والغساسنة العرب، كما أن الآثار التي دفعت بصرى للازدهار في الفترة الرومانية منذ بداية الميلاد، وخاصة في عهد الأسرة السورية الرومانية (أسرة سيفيروس)، أدت إلى ازدهار المدينة، بما فيها من مرافق هامة ومتكاملة[2].

وقد عثر في بصرى، على أقدم نص نبطي يعود الى القرن الثاني قبل الميلاد، حيث يشير نص داماشيوس (Damascius) بالقول: "بصرى في بلاد العرب ليست مدينة قديمة"، عرف موقعها كمدينة في عهد الإمبراطور سفيريوس (Severus)، وكانت بصرى عبارة عن قلعة بنيت أسوارها من قبل الملوك العرب، وقد حصنت لصد هجمات شعوب الدياسيون (Diaysion). وكان الأنباط قد تركزوا في بصرى، والسفوح الجنوبية والغربية من جبل حوران، إضافة الى صلخد والسويداء وقنوات وسيع، وقد تم بناء المعبد الكبير لبعل شامين في عام 33 قبل الميلاد[3].

ومن ناحية أخرى فإن أهمية المنطقة التاريخية، تمثلت في العهود القديمة، بأنها كانت ذات أهمية تجارية كملتقى للطرق التجارية، حيث كانت هناك خمس طرق رئيسة تلتقي بالمدينة، وهي الطرق التجارية القادمة من شبه الجزيرة العربية جنوباً، لتصل الى الشمال وصولاً الى دمشق، وطريق آخر تتجه الى الغرب، مروراً بدمشق متجهة الى الساحل، أما الطريق الثالثة التي تتجه الى الغرب وتمر بين بصرى ودرعا (إذرع قديماً)، فهي بلا شك الطريق المباشرة الى البحر، والتي تمر بإحدى المدن الهامة في تلك الفترة وهي جدارا (ام قيس). أما الطريق الى الجنوب فهي

---

(1) Butler, H.C., Op. Cit. P. 215.

(2) بهنسي، عفيف، الشام الحضارة، دراسة تاريخية، دمشق وزارة الثقافة، 1986، ص120

(3) ميلر، المرجع السابق، ص135

من أهم الطرق بالنسبة للإمبراطور (تراجان)، حيث تمتد من بصرى الى البحر الأحمر، والتي مُكن تتبع آثارها حيث تمر بمدينة فيلادلفيا (عمّان اليوم)، والطريق الخامسة تنحدر بإتجاه صلخد (Salchad)، ثم تتجه الى الجنوب الشرقي من تلك المنطقة، مخترقة الصحراء بإتجاه الخليج العربي، مما يبين أهمية بصرى كمركز تجاري خلال العهود السابقة"[1].

ونستطيع ان نستخلص الملامح الرئيسة لتطور مدينة بصرى، وخاصة في القرن الأول الميلادي، نتيجة لمجموعة من المؤثرات الخارجية والداخلية، التي منها المؤثرات التي طرأت على حرفة التجارة في جنوب المملكة النبطية وتحول طرق التجارة، ومن ثم انتقال عاصمة الأنباط الى بصرى، حيث أن رابيل الثاني (Rabbel II)، الذي حكم بين عام 106- 70 ميلادي قد استخدم بصرى عاصمة له. كما لاحظ المؤرخ سترابو، ان الرومان في بداية القرن الأول الميلادي، كانوا يقومون بنقل البضائع مباشرة من الساحل العربي (شبه الجزيرة العربية) عن طريق البحر الأحمر وعبر الموانئ المصرية، مما اثر سلبياً على التجارة بين موانئ البحر الأبيض المتوسط والبتراء في حين ازدهرت التجارة الداخلية، مما أدى الى إزدهار كثير من المدن، كمدينة جرش الواقعة الى الجنوب الغربي من بصرى. وقد دلت مجموعة من القطع النقدية والكتابات، التي تذكر الطقوس الدينية المتعلقة بالإله (ذو الشرى)، وارتباطها بشخصية رابيل الثاني (رب أيل) ملك الأنباط، والذي يسوقنا للإعتقاد بأن رب أيل الثاني، قد جعل بصرى مدينة القوافل العاصمة الشمالية للملكة النبطية، إضافة الى ما عثر عليه من معابد نبطية، ومرافق ونقوش في المنطقة بين بصرى وام الجمال مما يشير إلى أهمية بصرى[2].

ويشير قتيبه الشهباني إلى أن المنطقة، قد سكنتها القبائل العربية السامية منذ أقدم العصور، ومرت بها العهود التي مرّت بجاراتها، كما يشير إلى أن بصرى قد خضعت لدولة الأنباط (العرب القدامى) سنة 90قبل الميلاد، وقد بقيت تحت

---

(1) Butler, H.C., OP. Cit. PP. 215-218.

(2) ميلر، المرجع السابق، ص136

سيطرتهم رغم إحتلال الرومان لسورية سنة 64 قبل الميلاد[1].

ومن خلال الحفريات الأثرية التي أجريت عام 1961 ميلادية، في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، والتي كشفت عن بقايا أسوار ترجع الى العصر الكنعاني، كما أثبتت الدراسات، والتقيبات الأثرية تطور المدينة في العصر الآرامي، كما يظهر تأثير المدينة التي أصبحت من مدن الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد بالحضارة الهلينستية، حيث ازدهرت تجارتها بفضل حركة القوافل في تلك الفترات[2].

وبعد غزو الإمبراطور بومبي عام 64 ميلادي، بقيت بصرى الفاصل الشمالي لحدود المملكة النبطية، وأصبحت مدينة نبطية للمملكة العربية، وبقي فيها الأنباط أكثر من مائتي عام، إلى أن جاء كورنليوس بالما (Cornelius Palma) واستولى على كل المنطقة بإسم تراجان، وأصبحت في عام 106 ميلادية، عاصمة للمقاطعة العربية تحت الحكم الروماني. وازدهرت بصرى في الفترة الرومانية، وأصبحت مفضّلة لدى الأباطرة الرومان.

كانت بصرى محط أنظار الكثير من الزائرين خلال القرن السابق، حيث كتبوا عن أثارها، وخاصة ما كتبه برونوف (Brünnow) في كتبه عن الرحلات للمقاطعة العربية، ومن الرحالة الذين اهتموا بالكتابة عن هذه المدينة سيتزن (Seetzen) في عام 1807 -1805 ميلادية، وبيركهارت (Burckhardt) عام 1812، وريختر (Richter) عام 1815، وكان أول من نشر صوراً ومخططات عن المباني القديمة، ثم تلاهم بوكنجهام (Buckingham) وبيرقرن (Berggren) عام 1821، والكونت ليون دي ليوبارد (Count Leon de Laborde) الذي كتب معلومات ونشر رسومات عن بصرى في عام 1835، وتلاه بورتر (Porter) عام 1837، وغيرهم الكثيرون، أما أول دراسة مهمة عن عمارة المدينة القديمة فقد عملت من قبل كونت دوفجويه (Count de Vogue) في عام 1861 ميلادية. وتاريخ

(1) الشهابي، المرجع السابق، ص254-261

(2) المقداد، المرجع السابق، ص52

المدينة نجده مكتوباً على آثارها النبطية، التي تتشابه مع الآثار النبطية في البتراء، بالإضافة الى النقود والآثار النبطية الرومانية، والآثار التي تعود الى فترة حكم الإمبراطور تراجان وهدريان، وتاريخ بصرى نجده من خلال الآثار، التي تدل على تعاقب الفترات الكلاسيكية. والتي تعود إليها معظم المباني في بصرى، بالإضافة إلى الآثار التي تعود الى فترة العصور الوسطى، وبشكل عام يمكن القول بأن العمارة في بصرى كانت من نظام محلي[1].

مخطط المدينة

لقد قام عدد من الرحالة الذين أوردنا بعضهم فيما سبق، بعمل مخططات وخرائط توضح التفاصيل والمعلومات، حيث توضح الخطوط العامة للمدينة بشكل غير منظم، ولا تتبع الشوارع نظاما متناظرا، كما أن توزيع المباني في الفترة الرومانية، تدل على أن معماريي المدينة وجدوا أنفسهم أمام مخطط لمدينة شرقية[2].

وحيث أن تحديد المعالم السابقة للعهد الروماني غير واضحة، فنلاحظ في نفس الفترة الذي كان فيه سلوقس نيكاتور يثبت ملكه، كانت لا تزال بصرى مدينة محاطة بالأسوار، وكانت المناطق المحيطة بها رعوية، وتطورت المدينة بعد مجيء الأنباط العرب في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد. إلا أن المعلومات الحالية لا تكفي بتحديد دقيق للمخطط النبطي للمدينة. وأن تجربة بصرى كمدينة تعاقبت عليها فترات مختلفة، توضح عاملين هامين في تاريخ العمارة في الشرق الأدنى القديم: أولهما تطور العمارة في المرحلة النبطية، وثانيهما التحول العمراني والتطور، الذي حققه العرب أكثر من غيرهم، بسبب إكتساب بصرى شخصية متميزة وفريدة، في التحول من حالة البداوة الى الاستقرار[3].

ويبدو أن تنظيم المدن كان معروفاً في الشرق، قبل العصر الروماني بفترة طويلة، وقد دلت أعمال التقيب التي أجريت في عام 1961، في الجهة الشمالية

(1) Butler, H.C., Op. Cit. pp. 215-220.
(2) Ibid, p. 220.

(3) ميلر، المرجع السابق، ص143

الغربية من المدينة، دلت على ان بصرى كانت من المدن ذات التحصينات القوية، والأسواق التجارية، والمباني الدينية، والرسمية، التي كانت قائمة منذ العصور القديمة، من خلال بقايا لأسوار المدينة في الجهة القريبة من النبع، مما أتاح معرفة حدود المدينة في العصر الكنعاني، ثم في العصر الآرامي، وفي القرن الأول قبل الميلادي، عندما أصبحت بصرى من مدن الأنباط، وأصبحت على إتصال مع الحضارة الهلينستية، امتدت المدينة وتوسعت، وازدانت بالمعابر والمباني وخططت فيها الشوارع[1].

أما أهم دراسة للمدينة فقد قامت بها جامعة برنستون، من خلال المسوحات والدراسات الأثرية في مطلع القرن الماضي، حيث قامت برسم وتصوير الموقع وتحليل كتاباته، بالإضافة الى التنقيبات الأثرية التي قامت بها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، وكذلك المسوحات والتنقيبات الأثرية التي قام بها معهد الآثار الفرنسي للشرق الأردني في دمشق، والتي كشفت عن بعض معالم المدينة. ويمكن تتبع محيط المدينة في الفترة الرومانية، حيث بنى الرومان برجاً فوق الأسوار القديمة السابقة، في المنطقة الشمالية من البوابة الغربية[2]، وتحتوي المدينة على مبانٍ تعود الى فترة ما قبل إحتلال الرومان للمدينة. أما بالنسبة للأسوار فيلاحظ أنها لا تتبع خطا منظما أو إتجاه محددا، ففي الجهة الغربية من المدينة نجدها متعرجة بزوايا وانحناءات بإتجاه الشمال، أما الاسوار الشمالية الشرقية، فهي لا تتبع إتجاه معينا، أما الشوارع القديمة فيمكن تتبعها من خلال الأعمدة، التي كانت تحيط جوانبها، حيث وجدت قواعدها بالإضافة الى الأعمدة المندمجة مع جدران المباني القديمة[3].

وقد تميزت مدينة بصرى بإستخدام مادة الحجر البازلتي، الذي يشكل العنصر الرئيسي الهام في البناء، فكان هذا الحجر يستعمل لكل غايات البناء والتزيين، الذي يتفق مع حضارة راقية، فبعد أن قطعوا ونحتوا وصقلوا هذه

---

(1) المقداد، المرجع السابق، ص25

(2) ميلر، المرجع السابق، ص138

(3) Butler, H.C., Op .Cit. p. 220.

الحجارة، صنعوا منها تيجان الأعمدة والتماثيل والمقاعد، والأقواس، والقباب، ونلاحظ أن القوس المبني من الحجر، يعتبر الأساس في ربط قاعدتين متباعدتين، كما أن بناء هذه الأقواس على أبعاد متوازية، يجعل من الممكن وضع سقف عليها، مؤلف من عتبات حجرية طويلة وعريضة، وقد حافظ المهندسون الذين أعادوا تنظيم المدينة، كعاصمة للولاية العربية على طابعها القديم، ضمن الأسوار الكنعانية، الآرامية، وسايروا تموجات الأرض وطبوغرافيتها، وحرصوا على جعل اتجاه الشارع الرئيسي نحو شروق الشمس، وبالرغم مما تعرضت له المنطقة من زلازل وهدم وتخريب، إلا أن معالم تنظيم المدينة في العهد الروماني لا تزال قائمة[1].

حيث نجد أمثلة الشوارع لا تزال واضحة، ومنها الشارع الطويل الذي يبدأ من البوابة الغربية، ماراً بقلب المدينة باتجاه الشرق، حتى ينتهي بالقوس الواقع في ثلاثة أرباع المسافة، من السور الشرقي للمدينة، حيث يوجد بعد هذا المستوى آثار المعبد الكبير، أما الشارع الذي يبدأ من البوابة الشمالية، فإنه ينتهي بالالتقاء مع الشارع الكبير، وهناك عدد من الشوارع الأخرى التي يمكن تتبعها من خلال آثار الأعمدة، التي كانت تحيطها والتي تقودنا إلى الاعتقاد من خلال الظواهر المتوفرة، بأن الشوارع كانت تضم على جوانبها مجموعة من المباني، التي تعود إلى الفترة الرومانية أو ما سبقها، بالرغم من أنها لم توجد بمعظمها بما يتناسب مع الشوارع[2].

تتداخل الشوارع والمباني التاريخية في المدينة، التي تعود إلى العصرين النبطي والروماني، وكذلك تلك المباني التي تعود إلى العصر البيزنطي والإسلامي المبكر، ويظهر ذلك في الشوارع والمباني التي أعيد استعمال حجارتها أو تقسيماتها، فالمدينة في الفترة الرومانية كانت تضم عدداً من الشوارع الرئيسية والفرعية، فهنالك شارع رئيسي وثلاثة شوارع فرعية، بالإضافة إلى شارعين يقعان إلى الشمال من الشارع الرئيسي ويوازيانه، وهو واضح من خلال المخطط الذي

---

(1) المقداد، المرجع السابق، ص26

(2) Butler, H.C., Op. Cit. p. 221.

قامت به جامعة برنستون[1].

والداخل من البوابة الغربية، التي تتكون من قوس مرتفع بواجهة مزينة بالزخارف، وهو ما يطلق عليه بتلر (Butler) القوس المركزي، الذي يقع موازياً للشارع الرئيسي باتجاه الشمال، وعلى مسافة قريبة منه بإتجاه الشرق، نجد أربعة أعمدة من الطراز الكورنثي، ترتكز على أربعة زوايا، لمربع يتكون من التقاء شارعين، بالإضافة إلى بعض الأعمدة من نفس الطراز، تقع على مسافة أبعد، نجد أن بعضها مندمجاً مع جدار يحتوي على تجاويف (Niches)، وعمود آخر على بعد 24 متراً، مماثل للعمود الأول ويعودان إلى نفس البناء، حيث تعتبر هذه الأبنية أقدم ما في بصرى يمكن التعرف عليها[2].

أهم الآثار في بصرى

يعتقد الفرنسي (كليرمون غانو) أن الأسوار في بصرى ترجع إلى عصر الأنباط العرب، ويستدل على ذلك من النقوش النبطية، التي كشف عنها بالقرب من أسوار المدينة، غير أن التنقيبات الأثرية كشفت عن بعض أجزاء التحصينات، التي كانت تحيط بالمدينة إلى فترة سبقت عصر الأنباط بزمن بعيد، وحددت بأنها تعود إلى العصر الكنعاني ومن ثم الآرامي.

وقد بنيت من كتل صخرية متراصة فوق بعضها، لتشكل سوراً يرتفع إلى ما يقارب عشرة أمتار، وبعرض أربعة أمتار تقريباً، وتظهر أجزا هذا القسم في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، بحيث أظهرت أن المدينة، كانت ذات مخطط على شكل بيضوي، وفي العهد النبطي رممت هنا الأسوار، إلا أن معالمها غير واضحة، أما بقايا الأسوار في الشمال الشرقي، فتختلف عن الأسوار القديمة، سواء من حيث طريقة البناء أو ضخامته، وليس هنالك من دليل قاطع على أنها من بناء

(1) ميلر، المرجع السابق،، ص138-139

(2) Butler, H.C., Op. Cit. P. 225.

الأنباط، سوى الكتابة التي أشار إليها العالم كليرمون، والتي يرد فيها ما يلي: "هذا الجدار بأكمله... وكذلك ... والبرك بناها تيمور بن نسيجو للآله ذو الشرى"[1].

وكما ذكرنا فإن أسوار المدينة بشكل عام لا تتبع نظاماً معيناً، فالأسوار التي بنيت في الفترة الرومانية، قد أقيمت على أساسات الأسوار القديمة، ويمكن مقارنتها مع أمثلتها في جنوب حوران، وأن كثيراً من الأسوار التي بنيت في العهد الروماني قد اختفت، بسبب استخدام حجارتها في بناء القلعة الأيوبية في العهد الإسلامي كما يعتقد بتلر، غير أن آثارها بقيت في عدد من المواقع. أما طريقة البناء فكانت تبنى بعرض أربعة أمتار، وارتفاع ثلاثة أمتار، وهي من الحجارة المربعة وبينها كسر من الحجارة، وبقيت أجزاء هذه الأسوار في بعض المواقع من المدينة[2].

البوابات:

لم يعرف حتى الآن في مدينة بصرى، سوى ثلاثة بوابات أمكن تحديدها، الأولى هي البوابة الغربية ويطلق عليها اسم (باب الهوى)، ويعود إنشاؤها إلى القرن الثامن الميلادي، ويبلغ عرضها عند الممر خمسة أمتار، أما عرض الواجهة فيبلغ 1.85 متر، ويغطي المدخل سقف من الحجر المبني على شكل عقد، يزينه في الواجهتين الأمامية والخلفية قوسان يعلو أحدهما الآخر، وتتكون البوابة من برجين مربعين بينهما المدخل، وقد تم إضافة عمودين وتجويف (Niche)، والجزء الأوسط من البوابة يرتفع عن البرجين، وفي داخل أحد الأبراج عثر على قاعدة تحمل إسم أحد ولاة الولاية العربية، أما البوابة الشمالية فقد ظهرت آثارها في نهاية الشارع الكبير، الممتد من الشمال إلى الجنوب، وتدل الآثار الباقية على أن هذه البوابة، أكبر من البوابة الغربية، وأنها كانت عنصر تزيين للمعسكر الرئيسي من جهة المدينة.

---

(1) المقداد، المرجع السابق، ص41

(2) Butler, H.C., Op. Cit. P. 225.

أما البوابة الثالثة، والتي كانت تمثل البوابة الرئيسية للمعسكر الروماني، فتتألف من مدخل على جوانبه برجين للدفاع، أما البوابات الصغيرة التي تظهر في الأسوار الشرقية والشمالية، فكانت ضيقة وذات أقواس ولكنها غير مزينة(1).

الخزانات:

يوجد في بصرى خزانان كبيران، الأول بإتجاه الشرق خلف أسوار المدينة، وهو مدمرٌ والثاني في الجنوب الشرقي من المدينة وهو بحالة جيدة، ويحتوي على المياه بين حين وآخر، وقد إختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الخزانات، فبينما يعتقد بورتر (Porter) أنها تعود للفترة الرومانية، نجد أن بيركهارد (Burcharrdt) يرجح أنها عربية، ويؤرخها مع تاريخ بناء القلعة الأيوبية، أما بتلر (Butler) فيعتقد أن هذه الخزانات، قد بنيت بنفس الوقت الذي أقيمت فيه أسوار المدينة، فتكون بذلك نبطية، وخاصة ما يعرف عن الأنباط بمعرفتهم وشهرتهم بالري وجمع المياه، وقد روعي أن يكون الخزان في الجزء المرتفع من المدينة، لتغذية الحمامات والنوافير العامة، ثم استمرت فيما بعد لتموين قوافل الحجاج في العصور الوسطى، وفي حفريات نوريس (Norris) تم الكشف عن قناة كانت تصل بين الخزان في الجزء الجنوبي الشرقي والحمامات الجنوبية.

أما عن المواد المستخدمة في بناء الخزانات، فهي من الحجارة البازلتية، التي بنيت بسمك ثلاثة أمتار، وبعض جدران هذه الخزانات مستقلة، أما الواجهات الداخلية، فهي مكونة من سماكات متساوية، يبلغ عرضها 2.95 متر، والخزان على شكل مربع، طول ضلعه الشمالي 114 متراً، أما ضلعه الشرقي فيبلغ 112 متراً، وهنالك اختلاف في عمق هذين الخزانين، اللذين يتزودان بالمياه من وادي الزيدي، وقد بني خلف بعض الجدران، دعائم لتقوية هذه الخزانات، ولمنع تسرب المياه منها(2).

---

(1) Ibid, P. 228.

(2) Butler, H.C., Op. Cit. , P. 229.

الشوارع ذات الأعمدة:

تشبه هذه الشوارع تلك الموجودة في تدمر وجرش، وحتى في فيلادلفيا (عمان)، ولكنها كانت شائعة في بصرى بشكل أكبر، ويشكل الشارعان الرئيسان، تقاطعاً بشكل محورين متعامدين، ويتصل بهما شوارع موازية ومتقاطعة في الجزء الأوسط من المدينة.

ويبدأ الشارع الأول من البوابة الغربية، بخط مستقيم بإتجاه الجنوب الغربي، ماراً من خلال مجموعة المباني الرئيسية، حتى القوس الشرقي، الذي يؤدي إلى المعبد الكبير، الواقع في أعلى منطقة من المدينة، وتظهر آثار الأعمدة على طول الشارع، وفي الجهة الشمالية من الشارع، تنتهي آثار الأعمدة عند مبنيين ضخمين، أحدهما يمثل بمنى الكليبة "سرير بنت الملك"، حيث يظهر ممر آخر يمثل شارع يتجه إلى الشمال بين المبنيين، ويستمر الشارع بإتجاه الشرق ملاصقاً للجدار الشرقي للكليبة، أما الشارع الآخر المحاط بالأعمدة فيتجه شرق وغرب، والشارع الثالث يظهر من خلال مجموعتين من الأعمدة، ويبلغ عرضه ثمانية أمتار ونصف، ويبعد ما يقارب من 100 متر إلى الغرب، من الحائط الشمالي لحائط الجامع العمري، أما الشارع الرئيسي الذي يتعامد مع الشارع الأول، ويتجه من الشمال إلى الجنوب، مبتدأً من البوابة الشمالية، ومنتهياً بالبنائين الكبيرين الكليبة وبناء الـ Nymphaeum (حمام العذارى)، ليكون التقاؤه مع الشارع الأول، نقطة مركزية في المدينة، هذا بالإضافة إلى الكثير من الشوارع، التي تتقاطع مع بعضها، بحيث تشكل شبكة بين أطراف المدينة، أما بالنسبة للتفاصيل المعمارية للأعمدة في أنحاء المدينة، فإن الطراز المستخدم هو الطراز الأيوني في شكل روماني، مع وجود إختلافات بسيطة بين أعمدة الشوارع الجانبية، من حيث قطر الأعمدة، أما قواعد الأعمدة فهي بنفس الأسلوب[1].

المقداد، المرجع السابق، ص33

(1) Butler, H.C., Op. Cit. , P. 230.

الآثار النبطية:

وتعود هذه الآثار الى القرن الأول الميلادي، حيث نجد أمثلتها في مناطق أخرى من جبل حوران، وبالقرب من مدائن صالح، وفي البتراء من فترات قديمة، ولكن الآثار المعمارية النبطية يمكن حصرها بين القوس الشرقي، والسور الشرقي للمدينة، وأهمها يقع الى الشرق من القوس النبطي الشرقي، وهو نصف عمود بقطر 1.32متراً، مما يدل على أنه جزء من بناء ضخم إختفت آثاره، ويرتفع العمود 4.5 متراً عن الأرضية، التي يظهر منها فوق احد المساكن، وتفاصيل الجزء العلوي منه يشبه الأسلوب المتبع في أعمدة البتراء، وقد يكون من تأثيرات مصرية[1].

وهذا النوع من الأعمدة مركب بشكل ينسجم مع هيكله العام، ويتصل ببناء الهيكل النبطي من الجانبين[2]. بالإضافة الى ذلك هناك مجموعة من الأعمدة المماثلة، ثلاثة منها بدون تيجان، أما الرابع فيحتوي على الجزء السفلي، وقد أدمجت هذه المجموعة في المباني الحديثة وبعضها يظهر وكأنه يحمل أقواساً[3].

أقوس النصر:

عرفت أقواس النصر في أوائل العهد الروماني، بشكل يشبه بناء بوابة المدينة المنعزلة من الاسوار، وهكذا بنيت الأقواس منذ نهاية القرن الأول الميلادي. ويوجد في بصرى قوسان ضخمان مهمان، أحدهما في النهاية الشرقية للشارع الرئيسي، والقوس الآخر (الشرقي) وهو الأصغر والأقدم، أما عن تاريخ بناء القوس الشرقي فلم يعثر على أية إشارة تعطي تاريخاً محدداً، ولكن أمثلة هذا النصب شاعت في البتراء والتي تعود الى ما قبل عام 106 ميلادي، كما أن الدعائم المتلاصقة وأرباع الأعمدة لهذا النظام الغريب، ظهرت أيضاً في واجهات المقابر المنحوتة في الصخر والمكتشفة في مدائن صالح، بالإضافة الى بعض التفاصيل

(1) Butler, H.C., Op. Cit. , P. 236.

(2) المقداد، المرجع السابق، ص35

(3) Butler, H.C., Op. Cit. p. 236.

المشابهة، التي تم تأريخها الى عام 31 ميلادي، ومن ذلك فإن تاريخ القوس الشرقي في بصرى يعود الى نهاية القرن الأول الميلادي[1].

القوس المركزي:

يعتبر من الأمثلة الواضحة للمباني القديمة في بصرى، ويحتوي على ثلاث فتحات على المحور القصير، ويتخلله ممر مقبب على محوره الطويل، حيث يقسم البناء الى قسمين متساويين، ويتبين من خلال مخططه ان الممر الطويل بفتحتيه الصغيرتين، يبين وجود قبوتين متقاطعتين تفصلان الواجهتين للمبنى، بالإضافة الى الأعمدة المتلاصقة في الواجهة الشمالية، والتي تقع على واحد من الأعمدة في الجهة الجنوبية من الشارع الرئيسي، ويمكن مقارنته ببعض التفاصيل الزخرفية في مدن الديكابوليس (Decapolis) التي تعود الى فترة الإمبراطور، أنطونيو[2].

المعابد:

يمكن تقسيم المباني الدينية في بصرى الى ثلاثة:

1- المعبد: ويقع في الجزء الشرقي من المدينة، ويتألف من مقطع حائط ضخم وعمود وأجزاء تفصيلية كثيرة.

2- حمام العذارى (Nymphaeum): ويتمثل من خلال أربعة أعمدة كورنثية، والتي تقع على تقاطع الشارعين الرئيسين في المدينة.

3- الكليبة: والذي يشبه المعابد المفتوحة، التي وجدت أمثلتها في حوران، وسمي بهذا الاسم من قبل دوفجويه (De Vogue)، الذي اكتشف هذا المصطلح الإغريقي على احد هذه الأبنية.

الهيكل النبطي:

أهم أثار هذا المبنى عمودان احدهما من الطراز الكورنثي، بالإضافة الى جزء ثقيل من الحجارة المنحوتة، وممرين بهما تجاويف (Niches)، بالإضافة الى

---

(1) Ibid, p. 240.
(2) Ibid, p. 240.

جـزء آخـر مـن جـدار وعمـودين، وأحـد هـذين العمـودين، يظهـر مقامـاً علـى قاعـدة بإرتفـاع 8 أمتـار، وهنالـك قطـع تحتـوي علـى زخـارف تمثـل أوراق الأكـانثوس، وأشكال طبيعية بنائية، بالإضافة الى زخارف تمثل عناقيد عنب، وفي قطعة أخرى نجـد رأسـين منحـوتين بـشكل بـارز، ويعـود تاريخهمـا الى فـترات أقـدم مـن القطـع الأولى، وكأنها مـن عمـل الأنبـاط. ويمكـن مقارنـة هـذا المعبـد مـع بعـض المعابـد في جرش من حيث الإبعاد[1].

حمام العذارى (Nymphaeum)

يتكون المبنى من أربعة أعمدة، تُكوّن الواجهة الرئيسية للمبنـى، وتتعامـد مع الشارعين الرئيسين، اللذين يتقاطعان في هـذه النقطـة، أما بقيـة أثـار هـذا المبنـى فقد إختفت[2].

وهنـاك بعـض الرحالـة والمكتشفين أمثـال (Ray, Both, Laborde) الـذين شاهدوا المبنى منذ سنوات بعيدة، يـذكرون في كتبهم رحلة الى سـوريا (Voyage de La Syrie, 64) وكتـاب رحلـة الى حـوران (Voyage dans Le Hauran, 182) حيث يشيرون الى وجود بناء دائري خلف الأعمدة، والذي يشبه نفس البناء في جرش.

الكليبة Kalybe

ويسمى (سرير بنت الملك)، حيث نسجت حول هذا الإسم، أسطورة تتحدث عن بنت ملك هذه المدينة، التي ماتت بسبب لسعة عقرب كـان في داخل سلة العنب المرسـلة إليهـا ... الخ ويقـول (مكليـور دوفجويـه) بأنـه قـرأ إسـم Kalybe في احـدى الكتابات التي وجدت ببناء مماثل بقريـة أم الزيتونـة في جبل العـرب، ولم يعـرف لهـا ترجمـة صـحيحة تـؤدي المعنـى اليونـاني والكليبـة هـو الكـوخ البـسيط ويطلـق علـى مساكـن الرعـاة وآلهـة المـاء، وقـد أقيم لغايات القداسـة، وهـو بنـاء فريـد مـن نوعـه، ويتكـون مـن سـاحة واسـعة، والكلمـة اسـتخدمت أولاً مـن قبـل (De Vogue) وهـذه

---

(1) Ibid, p. 248.
(2) Ibid, p. 251.

المقدادي، المرجع السابق، ص35

الأبنية تتكون من أقواس مفتوحة، ومعبد محاط بجدران فيها تجاويف (Niches)، والبناء يحتوي على عمودين طويلين، بمقدار 60 و24 متراً، بالإضافة الى جدار متصل بأحد الأعمدة، وبه ثلاثة ممرات تحتوي على تجاويف (Niches)، من الواجهة الخارجية، أما الجزء العلوي الذي يربط العمود مع الجدار، فلا يحتوي على الأجزاء الثلاثة، وهي العتبة والإفريز والكورنيش، والعمود لا يظهر له أي اتصال مع أعمدة أخرى، بحيث يظهر التخطيط بشكل لا يعرف في المعابد التي كانت سائدة[1].

القصر:

يقع الى الجنوب من القوس الشرقي، ويظهر مع أجزاءه جدار طويل بصفين من التجاويف، وتبلغ مساحته 33×50 متراً ومدخله في الجهة الغربية، واستخدم في بنائه كتل مربعة الشكل من حجارة البازلت، وبه مجموعة من الغرف التي تفتح على ساحة واسعة، كما يوجد صفان من الأعمدة، تحيط بممرين من الشمال والجنوب للساحة، وأقواسه محمولة على قوائم وفوقها أعمدة، بالإضافة الى وجود دلائل تشير لوجود أبراج في زواياه، والجزء السكني فيه يتكون من أربعة مستويات، ويمكن مقارنة مخططه، مع البناء الضخم الذي يسميه بتلر (Episcopal)، وهذا القصر يعود الى فترة مبكرة من العصر الروماني، أما الجزء العلوي الذي تظهر فيه زخارف لجرار النبيذ، وبعض الرموز للآلهة ذو الشرى واللات، فقد دل على أنه أقيم في فترة الحكم الروماني للمقاطعة العربية[2].

الحمامات العامة

وقد شهدت هذه الحمامات أهمية كبرى في الفترة الرومانية، وكان في بصرى ثلاثة حمامات كبيرة، وهذه الحمامات موزعة في أجزاء المدينة ومنها:

1- الحمامات الشرقية:

وتتكون من أجزاء منفصلة عن بعضها، تصل الى خمسة أجزاء سكنية،

---

(1) Butler, H.C., Op. Cit. , p. 254.
(2) Ibid, p. 258.

ومخططها على شكل حرف (T) ومدخلها بإتجاه الشمال، أما قنوات المياه فهي ممتدة على طول الجدران من الأعلى، وبها فتحات تمر منها قنوات بشكل متعامد مع الجدار المزدوج، حيث أماكن التسخين التي تقع بينها، ومدخلها على شكل ثُماني، ويتكون من قوسين حاملين بينهما تجويف، وبين هذه الأجزاء تقع الصالة الرئيسية للحمامات، والتي تدعى (Apodyterium) بمساحة 12.5×15 متر، تحيطها أربعة تجاويف شبه دائرية، أما الصالة فهي مستطيلة تنتهي بأقواس، والصالة الوسطى تقع بين الذراعين اللذين يتشكل منهما المبنى، وفي كل جناح ثلاث غرف، أما السقوف فهي على شكل قباب، وتتكون الحمامات من ثلاث مناطق، وهي الحارة والدافئة والباردة، بالإضافة الى صالات البخار، ويعود البناء الى القرن الثاني أو الثالث الميلادي[1].

الحمامات الرئيسية:

وهي مواجهة للسوق من الناحية الغربية، ولم يبق من آثارها سوى أساساتها، ويتضح وجود فتحات، يمكن أن تكون وظيفتها توصيل المياه الى النافورة في السوق، وبقي منها صالة واحدة مسقوفة تبلغ مساحتها 7.75متر× 6.68 متر[2].

الحمامات الشمالية:

توجد آثارها بالقرب من السور الشمالي، وتتشابه مع مثيلاتها، وتظهر فيها القنوات المائية، وتعود الى نفس فترة الحمامات الجنوبية.

الحمامات الشمالية الغربية:

تم الكشف عنها عام 1909 من قبل (بتلر) وتتكون من مبنيين صغيرين بجدران على ارتفاع مترين، وبها فتحات مستطيلة وقنوات اسطوانية.

البازيليكا:

وهي بناء مستطيل يحتوي جداره، على نوافذ مستطيلة وكبيرة في الجزء

---

(1) Ibid, p. 260.

المقداد، المرجع السابق، ص38

(2) Butler, H.C., Op. Cit., p. 264.

المقداد، المرجع السابق، ص38

العلوي، ويطلق على هذا المبنى (دير الراهب بحيرا)، وقد استخدم هذا البناء في الفترة المسيحية الأولى ككنيسة، ولكن من خلال المخطط يظهر ان البازيليكا ليست ذات طابع مسيحي، وتوجد في النهايات الغربية لجوانب الجدران، أنصاف أعمدة، ذات تيجان أيونية تشبه تيجان أعمدة الشوارع، ولكنها مندمجة مع الدعائم، أما القوس في الجدار الغربي فتعلوه أربع نوافذ، ويمتاز البناء بالبساطة وسقفه كان من الخشب على شكل هرمي.

ويحتوي المبنى على تسع عشرة نافذة، كما تمتاز عمارته بالزخارف المنحوتة بالحجر، ويعتقد (بتلر) أن هناك رواقاً كان يمتد أمام مدخل المعبد، وجوانبه الشمالية والجنوبية، وكان يتصل بهذين الرواقين بواسطة باب يفتح على جوانب المذبح من الجهتين[1].

السوق (خان الدبس):

يقع في وسط المدينة الحديثة، وهو عبارة عن مجموعة من الجدران والأقبية لبناء قديم، وقد تمت الإشارة الى هذا المبنى، من قبل عدد من الرحالة الذين زاروا المنطقة، ومنهم (بورتر) الذي أوضح مخططه في موقع المدينة، وكان يستعمل كمركز تجاري تعرض فيه البضائع التي تأتي بها القوافل، وهو نواه امتدت حوله المخازن التجارية والأروقة، ويتكون البناء من جدار ضخم يحمل جانباً من السقف الذي كان يغطي الممرات، وواجهته من السوق تحتوي على ممر طويل به تجاويف (Niches)، متناوبة بشكل منحني أو مربع بالإضافة الى بروزات لأعمدة في الجزء السفلي، وفي الجدار مدخلان في نهاية السوق، بالإضافة الى بقايا أعمدة صغيرة تتشابه مع أعمدة الشارع في الجانب الآخر، وتشكل الجزء الشرقي لساحة مساحتها 70×20متراً، أما الجدار الشرقي فيبلغ سمكه ثلاثة أمتار، وبه بقايا أقواس تمثل ممر وأقواس مفتوحة، والسوق يشبه في مخططه الأسواق الشرقية والخانات القديمة في القسطنطينية، واستخدمت الأسقف للحماية من الشمس

---

(1) Butler, H.C., Op. Cit., p. 265.

المقداد، المرجع السابق، ص31

والمطر[1].

المدرج (المسرح):

يعتبر مسرح بصرى من أضخم المسارح السورية في الفترة الرومانية (صورة رقم 34)، ويبلغ قطره 102 متر، ويتسع الى أكثر من خمسة عشر آلف متفرج، ومدرجه على شكل نصف دائري، يطوقه من الأعلى رواق ذو أعمدة توسكانية، وتتوالى المدرجات على 27 صفاً، مقسمة الى ثلاثة مجاميع تقطعها طولاً وعرضاً ممرات الى أبواب الدخول والخروج[2].

وقد جاء وصف هذا المسرح من قبل عدد من الرحالة أمثال (Rey) و (De Vogue)، الذي قدم رسماً توضيحياً، كما يعود الفضل الى برونوف (Brünnow) الذي عمل الدراسة الأولى عن المسرح، والذي أغناها بالمخططات والرسومات بالقياسات الدقيقة، بالإضافة الى الصور الفوتوغرافية، وقد أقيم البناء من جدار عالٍ على شكل شبه دائري، حيث يدعم المنطقة التي تدعى (Cavea) وهي أماكن جلوس المشاهدين، وجدار مستقيم ينتهي بنهايات المقاعد، ويتقدم ليحتوي بناء المنصّة المستطيلة، والمساحة بين الجدار المنحني للمدرج والانحدار التدريجي للمقاعد المنحنية التي تخللتها من جميع أجزاء المدرج[3].

أما المنصة (الاوركسترا)، فتقع تحت واجهة مرتفعة تصل الى مستوى الأعمدة، ويقع المدرج في وسط المدينة، هو موازٍ للشارع الرئيسي (The Decumanus) الذي يخترق المدينة من الشرق الى الغرب، ويقع بالقرب من الشارع المقاطع الذي يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب (The Cardo)، وقد تم بناء المدرج في عهد الإمبراطور تراجان، وقام ببنائه مهندسون سوريون، ويؤكد ذلك أن (أبو للودور) المهندس الدمشقي، قام بتصميم وتنظيم الميدان (فورم تراجان) الموجود

---

(1) Butler, H.C., Op. Cit., p. 270.

(2) المقداد، المرجع السابق، ص30
بهنسي، عفيف، العمارة عبر التاريخ، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987، ص160

(3) Butler, H.C., Op. Cit. p. 273.

في مدينة روما[1].

ويعد هذا المدرج في طليعة المباني المعروفة من نوعها في العصور الكلاسيكية، ويعتقد العالم (كليرمون غانو) أن بناء المسرح يقوم فوق قلعة شهيرة تعود الى عهد الأنباط، ولا توجد رغم ذلك تأكيدات كافية حتى الآن. أما من حيث تفاصيله المعمارية، فإن بناء المدرج يتألف من ثلاثة أقسام كما ذكرنا، ويفصل بين كل منها ممر، يساعد الجمهور في الوصول الى الأبواب المؤدية الى خارج البناء، ويحد هذه الممرات ظهور المقاعد الحجرية، التي تشكل حاجزاً بين الأبواب ومقاعد المتفرجين، ويعلو المبنى رواق يستند على أعمدة من الطراز الدوري، ولم يبق منها إلا القليل، أما أسلوب البناء فيجمع بين أسلوب المسارح اليونانية والرومانية من جهة، وبين العمارة في بلاد المشرق العربي من جهة أخرى، حيث تتفق مع عادات البلاد وتقاليدها آنذاك. وقد تم تخطيط الشكل العام للبناء، بحيث تم تطابقه مع مقاييس وأبعاد منصة التمثيل، وارتفاع جدار المسرح ومقاعد المتفرجين، وأقاموا أمام الجدار الداخلي للمسرح، ثلاث طبقات من الأعمدة المزينة بالطنف البارز، فوق تيجان الأعمدة الكورنثية، التي تشكل بمجموعها عناصر زخرفيه لواجهة المدرج، كما تساعد على انعكاس الصوت نحو المتفرجين، دون إحداث أي صدى، وخاصة أن أرضية المنصة وسقفها كانا من الخشب. أما الجدار الخارجي فهو على شكل حذوة الفرس ليزيد طرفيها عن قطر نصف الدائرة بمقدار 6.33متراً من كل جهة، ويبلغ قطر البناء الكلي 100.180متر، وعرض منصة التمثيل 45.5 متر من الداخل، وعمقها 8 أمتار، وتستند درجات المدرج على أقواس متتالية تشكل سقف الممرات، التي توصل الى مكان جلوس المتفرجين، وهذا النوع من السقف لم يعرف في المدرجات اليونانية أو الرومانية.

أما عدد الدرجات في المدرج فهي 37 درجة، مقسمة الى ثلاثة أجزاء، العلوي منها يتكون من خمس درجات، والأوسط 18 درجه، أما الأول من الأسفل فهو 4 درجات، وعدد الأبواب التي تقع على المدرج 7 أبواب، وفي الممر العلوي يوجد

(1) بهنسي، المرجع السابق،1987 ، ص160

18 باباً، وفي الممر الأوسط 15 باباً، تتصل جميعها مع الأبواب الخارجية، بممرات ودرجات حجرية متصلة معاً، وساحة الاوركسترا مبلّطة، وهي بشكل نصف دائرة تحيط بمربعات وأشكال هندسية، ويوجد على جانبي هذه الساحة، مدخلان واسعان لمرور مواكب الاحتفالات، ودخول العازفين خلال أوقات التمثيل، وفوق عتبات كل مدخل، بنيت منصة للجنة التحكيم، والتي تحدد نجاح الممثلين. وقد كان العرب الأنباط يقيمون أعياداً كبرى مرة كل أربع سنوات، تقدم فيها المباريات الفنية، وتختتم بتقديم الجوائز للفرق الفائزة، بالإضافة الى إقامة الأعياد الموسمية، التي كانت تقدم خلالها النذور للآلهة اللات، وذو الشرى، ومناة، وغيرها من آلهة العرب في عصور ما قبل المسيحية والإسلام[1].

وبمقارنة هذا المسرح مع المسرح في فيلادلفيا (عمان)، فإنه الى جانب بناء المسرح في عمان بشكل محفور في الانحدار، بينما مسرح بصرى مبني على أرضية مستوية، فإنهما متساويان من حيث العرض (الاتساع)، وبشكل عام فإن المخطط الأفقي متشابه بين الاثنين، بينما الاوركسترا شبه الدائرية، ذات قطر اكبر من مسرح بصرى، ولكن المدرّج اقل إرتفاعاً، كما أن عدد الدرجات المنحنية أقل، وفي الحقيقة فإن مدرج فيلادلفيا أعلى من مدرج بصرى، وأكثر تدرجاً بسبب ضيق الدوائر المدرجة، بينما أبعاد المقاعد متساوية في المدرجين، وهنالك تشابه قليل في التفاصيل التزينية، في جدار المنصة والأعمدة العليا في مسرح فيلادلفيا، بينما المقاعد في مسرح بصرى هي الأكثر دقة، أما بالنسبة لبناء مدرج بصرى فيبدو أنه تم بعد تشكيل المقاطعة العربية، ومع إزدياد أهمية ذو الشرى في بداية حكم الإمبراطور أنطونيو[2].

---

(1) المقداد، المرجع السابق، ص42-41

(2) Butler, H.C., Op. Cit. p. 273.

الكاتدرائية:

يعود بناء هذه الكاتدرائية الى شهر آذار من عام 513 ميلادي، وذلك من خلال الكتابة التي نقلها (وادنغتون). وقد بناها جوليانس وهو رئيس أساقفة عربي، وكان البناء يحتوي على قبة تعتبر أول قبة في العالم المسيحي، حيث يبلغ قطرها 36 متراً، وقد تهدمت بعد إتمام البناء بمدة قليلة[1].

ومخططها بشكل ثماني متداخل مع مربع، وتغطي القبة الجسم الثماني، حيث أن هذه القبة بيضوية الشكل، أما الانتقال من الطبلة (الجزء الذي يحمل القبة) الى الأعلى، فيظهر بأنها عملت بالتدريج، ويظهر جزء بارز (حنية) (Apse)، على شكل شبه دائري وثلاث جهات بدون بروز، وهذه البروز تظهر في النهاية الشرقية، أما النظام المتبع في هذه الكاتدرائية فهو متطور، ومخطط القبة عبارة عن دائرة بداخل مربع، والقبة المركزية الضخمة محمولة على ثماني دعامات (Pillars)، ولكسر الحدة في ذلك ولجعلها أكثر واقعية، فقد أحيطت بحزام من السقوف نصف البرميلية، مدعمة بأربعة أشباه دوائر أو أجزاء من محيط الدائرة (Exedrae) في زوايا المربع[2].

أما الزخارف الداخلية فهي تتألف من النقوش والأشكال الملونة، وقد ذكر (De Vogue) أنه شاهد على جدار المذبح بقايا صورة للعذراء وهي فاتحة ذراعيها، أما من الخارج فكانت الواجهات تحتوي على تجاويف (Niches)، ونوافذ وأبواب جميلة، ومساحة هذه الكاتدرائية تبلغ 51متر× 37.5 متر، واعتبرت كنيسة بصرى مثالاً بارزاً لتخطيط "كنائس في عهد جستنيان[3].

المعسكر:

لقد دلت الأبحاث الأثرية، على أن المعسكر بني في أوائل العهد الروماني،

---

(1) المقداد، المرجع السابق، ص36

(2) Kimball, F., Edgell, G.H., A History of Architecture, Green Wood Press, Westport, 1946. PP. 159-183.

(3) المقداد، المرجع السابق، ص36

عندما أصبحت بصرى عاصمة للولاية العربية، وتحمل الكتابات اللاتينية التي عثر عليها في جوانب المعسكر الجنوبية، إسم الإمبراطور (تراجان)، مما يدلّ على أن تاريخ هذا البناء يعود الى عام 117- 106 ميلادي، أما بوابة المعسكر فتتألف من برجين جانبيين، ومدخل محصّن. بالإضافة الى أن الحفريات كشفت عن بقايا بعض الأبراج في السور، كما يستدل من الأعمدة الكثيرة المستعملة في بناء جدران المعسكر أنها ذات طراز روماني[1].

الميدان:

ويقع الى الجنوب من المدرج خارج الاسوار، وهو بناء مستطيل مغلق من الجهة الجنوبية، ومفتوح من الشمال، ويظهر أنه كان يتألف من مدرج، تبلغ عدد درجاته أكثر من 15 درجة، وكان هذا الميدان معداً لسباق الخيل والمباريات الرياضية.

القلعة:

كان الاعتقاد السائد لدى المؤرخين حتى عام 1948 ميلادي، ان التحصينات في القلعة والأبراج، جميعها تمت في عهد الايوبيين، حتى أظهرت الحفريات الأثرية، أن بناء القلعة قد تم على فترات متعددة، يرجع أقدمها الى عصر الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد، فبعد ان هدم الرومان قلعة الأنباط عام 106 ميلادي، وبنوا على أنقاضها المسرح الكبير، استخدمها بعد ذلك الأمويون، وتؤيد أبحاث (غانو) عن حضارة الأنباط العرب التي سبقت الرومان، عن وجود قلعة نبطية توجد جدرانها أسفل المسرح الكبير[2].

---

(1) المقداد، ص38-39

(2) المقداد، ص40-37

الخاتمة

نستطيع القول أن الأنباط قد سيطروا على الموقع الجيولوجي والجغرافي الفريد الذي وجدت فيه مواقعهم، فنجد أنهم في البتراء استطاعوا أن يجعلوا من مدينة البتراء عاصمة فريدة من نوعها، بالرغم من صعوبة طبيعة المنطقة، حيث الجبال الرملية العالية في كل اتجاه، واستطاع المعماري النبطي أن يستفيد من تلك الميزة بدلاً من أن تكون عائقاً ومانعاً له، فقام بنحت المدافن والمنازل والمضافات فوق معظم الواجهات الصخرية، فجعل منها لوحة فنية نادرة تجمع ما بين النحت والبناء. كما أن الأنباط سيطروا على البيئة الصعبة، وخاصة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، فلم تصعب عليهم زراعة الأراضي في تلك المناطق، فقد استصلحوا هذه الأراضي وزرعوها بمختلف المحاصيل، وجمعوا مياه الأمطار من كل مكان، عن طريق مجموعات من قنوات المياه، التي تصب داخل خزانات وآبار، لكي يشربوا منها، ويسقوا حيواناتهم ،ولري مزارعهم، ضمن أسلوب هندسي بارع في مجال الري والزراعة.

ومن الناحية السياسية والعسكرية، تميز الأنباط أيضاً، حيث أن تفوقهم على الحملات العسكرية اليونانية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، لم يجعلهم بمعزل عن التأثيرات الثقافية الأخرى، فعلى العكس من ذلك كان حبهم للسفر والمغامرة والتجارة، دفعهم للتعرف على ثقافات الحضارات الأخرى، فتأثرت حضارة الأنباط وأثرت بالحضارة اليونانية، وبلاد ما بين النهرين، وحضارة النيل، والحضارة السورية، وبقي لعمارتهم وفنونهم الطابع المميز، النابع من الحضارة الشرقية المحلية، ساعد في ذلك عوامل جغرافية، وبيئية، واجتماعية مختلفة، ساهمت في خلق أساليب خاصة بهم، ميزت حضارتهم عن غيرها من الحضارات الأخرى.

لقد كشفت التنقيبات الأثرية، التي بدأت منذ أكثر من عشرون عاماً في موقع خربة الذريح النبطية، عن معلومات هامة جداً، عن العمارة، والفن، وعادات الدفن عند الأنباط، وخاصة ما يتعلق منها بالديانة النبطية، وديانة العرب قبل الإسلام، التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وبلاد الشام. وتضيف هذه الأكتشافات الأثرية في خربة الذريح، ابعاداً هامة ومعطيات جديدة عن ديانة الأنباط، وديانة العرب في الجاهلية، حيث أن وجود المنصة "Platform" في معبد خربة الذريح، والتي كان يتم الطواف حولها، وهذا ما يقدم لنا صورة واضحة عن

أسـم الـ »موتـاب« النبطيـة، الـتي ورد ذكرهـا في النقـوش النبطيـة، ولم يعـرف لهـا تفـسير واضـح، حيـث أن منـصة »قـدس الأقـداس« في هـذا المعبـد، أعطـت إجابـات واضحة وجلية، على أن هذه المنصة، هـي الـ»موتـاب«[1]، الـتي كانـت قاعـدة لوضـع الأنـصاب في داخلـها، وكانـت الموتـاب منـصة للآلهـة، وكانـت تقـدم لهـا الأضـاحي والقرابين. وهناك نص تاريخي يعود لفترة متأخرة نوعاً ما عن الفـترة النبطيـة، أورده القـديس إبيفـانيوس أسـقف سـلاميس، في الفـترة مـا بـين عـام 403- 315ميلاديـة، حيـث يقـول حـول البـتراء والإسـكندرية وموقـع خلاصـة النبطـي في صـحراء النقـب، مـشيراً إلى الطقـوس الدينيـة في هـذا المنـاطق حيـث يقـول:- »... وهـم يـسهرون الليـل كلـه مـرنمين أناشـيد للـصنم تـصحُبهم المـزامير. وعنـدما يُنهـون سـهرهم مـع صـياح الديك، ينـزل حاملوا مشاعل إلى مكـان مقـدس سفلي ويأخـذون مـن هنـاك صـنم مـن خـشب ... فيطوفـون بالـصنم سـبع مـرات حـول الــ»نـاووس« الـداخلي بمـزامير وطبـول وأناشـيد، ثـم يولمون »يقيمون وليمة« ويرجعون الـصنم إلى مكـانـه الـسفلي [....] يحـدث هـذا أيـضاً في الـبتراء وخربـة الـذريح [...] في الــ "أيـدليون eidôlion"، حيـث ينـشدون بالعربيـة أناشـيد للعـذراء الـتي يـسمونها كعمـو Xaauov يعـني كـوري kopnv أو العـذراء في العربيـة. والابـن الـذي ولـد لهـا يـسمونه ذو الـشرى Dousares أي "الأبـن الوحيـد للـرب"[2] أن هـذه المعـاني والطقـوس الدينيـة الوثنيـة، وان ارتبطـت بالديانـة

(1) وردت كلمة "موتاب" مرتبطة في نقوش البتراء باسم ذو الشرى كما في نقش التركمانية (د و ش ر ا / ل هــ/ م ر ن ا/ و م و ت ب هــ/ ح ر ي ش/ ... د و ش ر ا/ و م و ت ب هــ)، وهو ما دفـع إلى الاعتقاد بأن (ذو الشرى) قد اختص وحده بالـــ "موتاب" انظر في هذا الإطــار (Healy 2001: 158-159).

(2) تطرح الكلمة الواردة في نص بيفانيوس، كاسم للعذراء أو ذو الشرى، إشكالاً على مستوى التفـسير، فاللفظة (Xaauov) تخفي رواءها لا شك أصلاً عربياً أوسامياً اختلف الباحثون في تحديـد اشـتقاقه ومعناه: هل له صلة بالكعبة أو بالمبنى المكعب على وجه الإطلاق؟ وفي هذه الحالة يمكن اعتبار اللفظة دالة على مبني ذي شكل مكعب (معبد قصر البنت في البتراء؟) "جَسد" الإلهة الأم ولذ عليها، أم هــي لفظة دالة على معنى البتولة، الذي تؤديه كلمة "كاعب" في العربية، وهي الكلمة التي ربما كانت أصل اللفظة الواردة في نص بيفانيوس؟ (انظرمناقشة المسألة فــي (Healey 2001: 104). ونميـل إلــى ترجيح الرأي الأخير في نص بيفانيوس؟ ذهــب إليـــه (Milik 1982: 262) مــن أن (Xaauov) المذكورة في هذا النص هي (غ ل م و) ذات الصلة بالكلمة الآرامية (علمة) وهي المرأة في مقتبـل الشباب. ومع أن اقتراح (Milik) يظل مقبولاً على مستوى المعنى، إذا لا يخرج عنــدلالات البتولــة والشباب، التي تؤديها الكلمة الآرامية (علمه) ومقابلها في العربية (غُلامة)، إلا أنه يــصادف مــشاكل على المستوى اللفظي أوالصوتي ليس من السهل تجاوزها، ذلك أن الكلمة المستخدمة من قبل إيبفانيوس لا تحمل أي أثر لحرف اللازم، الذي يشكل جزءاً أساسياً من جذر الكلمـــة (ع ل م/غ ل م)، عــدا أن إبدال الغين كافاً في المقابل اليوناني يبدو ضعيف الاحتمال/ كل ذلك يدعو إلى ترجيح كون(ك ع ب و/ كاعب) أصلاً للكلمة (Xaauov)، إذ يسهل صوتياً قلب الباء ميماً كما في بكة/ مكة.

المسيحية، فوجود هذا النص التاريخي يعبر عن اتجاه ديني قديم عند الأنباط، اتخذوه كردة فعل اتجاه الدين المسيحي وانتشاره فيما بعد. وان "موتاب" خربة الذريح، يعد شاهداً حياً على ما أورده نص إبيفانيوس، من معلومات حول ديانة العرب في الجاهلية. وأن الموتاب في معبد خربة الذريح يقابل ما أورده إبيفانيوس حول الـ»الناووس«، وما يقع أسفله في قبوين توضع داخلها الأنصاب، والأدوات الدينية، حين الانتهاء من إقامة الطقوس الدينية. وفي موتاب خربة الذريح، وجد أسفله قبوين استعملا لنفس الغرض، وان ما أورده إبيفانيوس من معلومات دينية هامة، أثبتت صحتها التنقيبات الأثرية في معبد خربة الذريح النبطي، وخاصة ما يتعلق منها بمواعيد الطقوس الدينية، وكيفية أقامتها حيث وجود الطواف، وإقامة الترانيم والأناشيد والولائم، وكيفية تقديم الأضاحي للآلهة والأنصاب فوق موتاب معبد الذريح، حيث أبرز هذا المعبد جزء هام جداً من الحياة الدينية عند الأنباط والعرب قبل الإسلام.

ولعل التنقيبات الأثرية التي تجري الآن في مختلف المواقع النبطية من البتراء إلى خربة الذريح إلى بصرى وحوران وفي مدائن صالح، ستكشف عن المزيد من هذه الحضارة العربية النبطية القديمة، وتقدم لنا إجابات عن الكثير من الأسئلة المطروحة حولها.

قائمة المراجع العربية والأجنبية

المراجع العربية

القرآن الكريم، سورة الأنبياء، وسورة النجم.

ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، **كتاب جمهرة اللغة**، ج2، القاهرة، 1926.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج2، بيروت، 1968.

البستاني، بطرس، **قاموس عام لكل فن ومطلب**، ج2، بيروت.

الأزهري، ابي المنصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ج4، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1964.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون، **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب**، كلية الاداب - جامعة الملك سعود، 1984.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، **قرية الفاو، صور للحضارة العربية قبل الاسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، 1986.

الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ج3، بيروت، 1979.

الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، **تاج اللغة وصحاح العربية**، ج1، بيروت، 1956.

الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، **تاج العروس**، ج2، الكويت، 1969.

الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، **اساس البلاغة**، ج1، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.

الدايل، خالد عبد العزيز، التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم 1405م - 1985م، **الحولية العربية السعودية**، 10، 1986.

الرشيد، ناصر بن سعد، تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، 2، 1984.

العلي، صالح، **محاضرات في تاريخ العرب**، ج1، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، 1954.

الفيروز، آبادي، مجد الدين بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977.

المحيسن، زيدون، نقوش جديدة من جنوب الأردن، **الأنباء**، 1، معهد الآثار والإنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، 1988.

المحيسن، زيدون، وفيل نيف، فرانسوا، خربة الذريح: موقع نبطي في وادي اللعبان، **حولية دائرة الآثار العامة**، 34، عمان، 1990.

المحيسن، زيدون، تقنية التوزيعات المائية عند الانباط، **دراسات اثرية وتاريخية**، 8، الاسكندرية، 1993.

المحيسن، زيدون، تقنية وهندسة المياه عند الأنباط، **العصور**، 9، ج1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1994.

المحيسن، زيدون، فيل نيف، فرانسوا، جانيف، مولاي، خربة الذريح: إضاءات جديدة على ديانة الانباط ومعتقداتهم، **أدوماتو**، 9، الرياض، 2004.

المحيسن، زيدون، **البتراء مدينة العرب الخالدة**، عمان، 1996.

المحيسن، زيدون، **هندسة المياة والري عند الأنباط العرب**، عمان، 2002.

المقداد، سليمان، **الآثار في محافظة درعا**، ص 48- 1.

أكساد، **الموارد المائية السطحية في الحماد الأردني**، ج1، ملحق 1- 3، الموارد الطبيعية

والبشرية، داراسات حوض الحماد، دمشق.

الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1924.

المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 1960.

بافقيه، محمد، **في العربية السعيدة**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1987.

بعاره، مأمون، **الزخارف المعمارية في خربة الذريح**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، أربد، 1993.

حتي، فليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1958.

خوري، لمياء، **المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، اربد، 1990.

خويره، عاطف، **نظام الري في ام الجمال**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، أربد، 1990.

خيري، نبيل، الفخار النبطي الملون من حفريات البتراء لعام 1981، دراسات، 11، الجامعة الأردنية، عمان، 1984.

روسان، نهاد، **العمارة السكنية النبطية في خربة الذريح**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، اربد، 1995.

سيد، عبد المنعم عبد الحليم، **صلات الأنباط بمصر**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1، 1981.

شحاده، نعمان، **علم المناخ**، عمان، 1984.

شديفات، يونس، **عادات الدفن النبطية في خربة الذريح**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، اربد، 1994.

عبادي، صبري، ذكر حروب الأنباط واليهود في النقوش الصفوية، **مؤته للبحوث والدراسات**، سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، 11، 2، الكرك 1996.

عطية، بديع، **الموسوعة الأردنية**، ج1، دار الكرمل للنشر، عمان، 1989.

غلاب، محمد السيد، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، 2، 1984.

مصطفى، ابراهيم، **المعجم الوسيط**، ج2، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، 1980.

مهران، محمد بيومي، **دراسات في تاريخ العرب القديم**، السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، 1980.

BIBLIOGRAPHY

المراجع الاجنبية

Abed, A., Paleoclimates of the Upper Pleistocene in the Jordan Rift, **SHAJ** II, 1985.

Abel, M., Le monument funéraire peint d'El Bâred, **RB** III 1906.

Al -Asad, K. and Bounni, A., **Palmyra -History**, Monuments and Museum, Damascus, 1988.

Al -Muheisen, Z., L'eau a Pétra, **MDB** 14, 1980.

Al -Muheisen, Z., **làlimentation en eau de Petra**. Thèse, 2 Vols. Paris I., Sorbonne, 1983.

Al -Muheisen, Z., **Les installations hydrauliques dans le Sud de la Jordanie, en particulier a l'époque nabatéenne**, Thése de Doctorat, Paris I -Panthéon -Sorbonne, 1986.

Al -Muheisen Z., and Villeneuve, F.,. Fouilles à khirbet edh Dharih (Jordanie), 1984-1987: Un village, son sanctuaire et sa nécrople aux époques nabatéene et romaine (Ier-IVème siècles ap. J. -C.), **Comptes rendus de l' Académie des Inscriptions et Belles -Lettres**, Paris, 1988.

Al -Muheisen, Z. Exemples d'installations hydrauliques et de techniques d'irrigation dans le domaine nabatéen, in B. Geyer ed. **Techniques et pratiques agricoles traditionnelles en domaine irrigué. Approches pluri-disciplinaires des modes de culture avant la motorisation en Syrie.** Actes du colloque de Damas, BAH CXXXVI, Paris, 1990.

Al -Muheisen, Z., Maîtrise de l'eau et agriculure en Nabaténe: l'exemple de Pétra, **ARAM** 2 1990.

Al -Muheisen, Z. and Villeneuve, F., khirbet edh Dharih, **LB** XLIII 1993.

Al -Muheisen, Z. and Villeneuve, F., Jordaie: Dharih, un sanctuaire

nabatéen, **MDB** 89 1994.

Al -Muheisen, Z., et Villeneuve, F., Nouvelles recherches à khirbet edh Dharih (Jordanie) 1991-1994, **Comptes -rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles -lettres**, Paris 1994.

Al -Muheisen, Z. and Villeneuve, F., khirbet edh Dharih, **AJA** 99 1995.

Al -Muheisen, Z., and Tarrier, D., La protection du site de pétra a l'époque nabatéenne, **SHAJ**, V 1995.

Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., "Nouvelles recherches à khirbet edh -Dharih (Jordanie), 1996 -199", **CRAI**, Paris, 2000.

Al -Muheisen, Z., and Villeneuve, F., khirbet edh -Dharih, I -III, 1984 - 1987, **Supplement de Syria**, Paris, (Forthcoming) .

Al -Theeb, S., **Aramaic and Nabataean Inscriptions from North-West Saudi Arabia,** Riyadh, 1993.

Bartlett, J.R., The Rise and Fall of the kingdom of Edom, **PEQ** 107 1972.

Bender, F., **Geology of Jordan**, 1974.

Bennett, C.M., Les fouilles d'Umm el Biyara, rapport préliminaire, **RB**, 73, 1966.

Boom, V. and Swwan, O., **Report on the Geological and Petrological studies of th Plateau Basalts in NE Jordan**, Honnover, 1966.

Bounni, A. and Al -Asad, k., **Palmyra**, Damascus, 1985.

Bowersock, G.W., **Roman Arabia**, London, 1983.

Browning, I., **Petra**, London 1982.

Brünnow, R.E. and von Domasweski, A., **Die Provincia Arabia**, 3 vol., Strasbourg, 1904, 1905, 1909.

Burckhardt, J.L., **Travels in Syria and Holy Land,** London, 1822.

Burdon, D., **Handbook of the Geology of Jordan,** 1959.

Butler, H. C., **Ancient Architecture in Syria,** Section A: Southern Syria,

Part 2, The Southern Hauran, Leyden, 1909.; Part 3, Leyden, 1913.

Butzer, k., Climate Change in Arid Regions since the Pliocene. **A History of Land Use in Arid Regions. Arid zone Research,** UNESCO, 1961.

Butzer, K., The Last Pluvial Phase of the Eurafrican Sub -Tropics. **Changes of Climate, Proceedings of the Rome Symposium,** UNESCO, 1963.

Cantineau, J., **Le Nabatéen**, 2 vol., Paris, 1930-1932.

Corbett, G.U.S., Inverstigations at Julianos Church at Umm el Jimal, **The Papers of the British School at Rome** xxv 1957.

Crowfoot, **The Nabataean Ware of Sbaita**, PEFQS 68, 1936.

Dalman, G., **Petra und Seine Felsheiligümer**, Leipzig, 1908.

Dalman, G., **Neue Petra Forschungen**, Leipzig, 1912.

De Vries, B., The Umm el Jimal Project 1972-1977, **ADAJ** 26, 1982.

De Vries, B., Urbanization in the Basalt Region of North Jordan in Late Antiquity, The case of Umm el -Jimal, **SHAJ**, II, 1985.

Dought, C.M., **Travels in Arabia Deserta**, 1979 (reprint.(

Diodorus Siculus, **The Library of History**.

Euting, J., **Nabatâische Inschriften aus Arabien**, Berlin, 1825.

Evenari, M., **Faire revivre le désert. Expériences d'agriculture en zones arides**, ed. fr., zurich, 1974.

Evenari, M., Die Nabatâer im Negev, p. 118-138 in: Lindner, M. ed. **Petra und das Kônigreich der Nabatâer**, Munich, 1983.

Fiema, Zbigniew T., The Petra Project ACOR Newsletter Vol 5.1 1993.

Frôsen, J., and Fiema Zbiegniew T., The Petra Papyrii, **ACOR** Newsletter Vol. 6-2, 1994.

Geraty, L.T. and Labianca O., The Local Environment and Human - Food Procuring Strategies in Jordan. The Case of Tell Hesban and its Surrounding Region, **SHAJ** II, 1985.

Glueck, N., Explorations in Eastern Palestine II, **AASOR** XV, 1935.

Glueck, No. Exploration in Eastern Palestine IV, **AASOR** XXV-XXVIII 1951.

Glueck, N., A Nabataean Mural Painting, **BASOR** 141, 1956.

Glueck, N., **Rivers in the Desert**, New York, 1959.

Glueck, N., **Deities and Dolphins**, The Story of The Story of the Nabataeans, London, 1965.

Glueck, N., **The Other Side of Jordan**, Cambridge -Massassuchets, 1970.

Graf, D., The Origins of the Nabataeans, **ARAM** 2, 1990.

Hammond, Ph. C., Excavations at Petra in 1959, **BASOR** 159 1960.

Hammand, Ph. C., The Excavations of the Main Theater at Petra, 1961-1962, **ADAJ** VIII -IX, 1964, Final Report, London, 1965.

Hammond, Ph.c., Pottery from Petra, **PEQ** 105, 1973.

Hammond, Ph.C., **The Nabataeans -Their History, Culture and Archaeology**, Gothenburg, 1973.

Hammond, Ph.C., The Excavations at Petra, 1974: Cultural Aspects of Nabataean Architecture, Religion, Art and Influence, **SHAJ** I, 1982.

Hommond, Ph,C., The Capitals from the "Temple of the Winged Lions", Petra, **BASOR** 226, 1977.

Hommond, Ph.C., American Expedition to Petra. A Preliminary Report, 1988 Season, **ADAJ** 32, 1988.

Healy, J., **The Religion of the Nabataeans**, Liden, Brill, 2001.

Helms, S., Jawa Excavations 1974: A Preliminary Report, Levant 8 1976.

Helms, S., Jawa: Lost City in the Black Desert, 1981.

Horsfield, G., Umm el Jimal, **Antiquity** 11, 1937.

Horsfield, G. and A., Sela -Petra, The Rock of Edom and Nabatene,

QDAP VII (1938), pp. 1-42; VIII, 1938, pp. 87-115; IX, 1941.

Iliffe, J.H., Nabataean Pottery from the Nagev, **QDAP**, 1933.

Interpreter's Dictionary of Bible (The), Michigan, 1962.

Ionides, M.G., **The Water Resources of Trans-Jordan and their Development**. London, 1939.

Irby, C.L., and Mangles, J., **Travels in Egypt and Nubia, Syria and the Holy Land**, London 1868 (reprint 1985).

Jaussen, M., and Savignac, R., **Mission archéologique en Arabie**, 2 Vol., Paris, 1904-1914.

Josephus, Flavius, **Antiquities of the Jews** (J.A.).

Josephus, Flavius, **Wars of the Jews** (J.W.).

Kammerer, A., Pétra et la Nabaténe, 2 Vol. Paris, 1929 -1930.

Kennedy, A.B.W., The Rocks and Mounments of Petra, The **Geographical Journal** LXIII, 1924.

Kennedy, A.B.W., **Petra, Its History and Monuments**. London 1925.

Khairy, N., An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Meda'in Salah, **ZDPV** 96, 1980.

Khairy, N., Fine Nabataean Ware with Impressed and Rouletted Decorations, **SHAJ** I, 1982.

Khairy, N., Technical Aspects of Fine Nabataean Ware, **BASOR** 250, 1983.

Khairy, N., The Painted Nabataean Pottery from the 1981 Petra Excavations, **Levant** XIX, 1987.

Kirk, G.E., The Negev, or Southern Desert of Palestine, **PEQ**, 1941.

Kirkbride, D., A Short Account of the Excavations at Petra in 1955-1956, **ADAJ**. 4-5, 1960.

Kirkbride, D., The Excavation of a Neolithic Village at Seyl Aqlat, Beidha, near Petra, **PEQ** 92, 1960.

Kirkbride, D., Le temple nabatéen de Ramm, **RB** 67, 1960.

Kirkbride, D., Beidha 1967: An Interim Report, **PEQ** 100, 1968.

Kohl. H., **Kasr Firaun in Petra**, Berlin, 1910.

Laborde, Léon de, **Voyage de l'Arabie Pétrée**, Paris, 1994.

Lawlor, J.l., **The Nabataeans in Historical Perspective**, Michigan, 1974.

Lenoble, P., Al -Muheisen, Z., Villeneuve, F., Fouilles de khirbet edh - Dharih (Jordanie), I: Le Cimetiére au sud du Wadi Sharheh, **SYRIA**, 78, 2001.

Le Quien, M., **Oriens Christianus**, 3 Vols, Paris, 1740.

Linder, M. (ed) Petra und das Kônigreich der Nabatâer, Munich, 1980.

McDonald, B. et al., The Wadi el Hasa Survey 1981, **ADAJ** 26, 1982.

Mckenzie, J., The Dating of the Principal Monuments at petra: A New Approch, **SHAJ**, III, 1987.

Mckenzie, J., **The Architecture of Petra**, New York, 1990.

Meshel, z. and Tsafrir, Y., The Nabatean Road from Avdat to Sha'ar - ramon, **PEQ** 112, 1974.

Meshorer, Y., **Nabataean Coins**, Jerusalem, 1975.

Mili, K, J.T., Quatre inscriptions nabatéennes, **MDB**, 14, 1980.

Milik, J.T. et Starcky, J., Inscriptions récemment découvertes à Pétra, AJA, XX, 1975.

Murray, M. A., **Petra, the Rock City of Edom**, London, 1939.

Murray, M.A., and Ellis, J.C., **A Street in Petra**, London, 1940.

Musil, A., **Arabia Petraea**, vol. I. Moab, vol. II. Edom, Wien, 1907.

Nahal, I. L'homme et al desertification au proche-Orient, **Sécheresse**, 4, Vol. 2, Paris, 1991.

Negev, A., Nabatean Inscriptions from'Avdat (Oboda), **IEJ** 11, 1961.

Negev, A., Nabatean Inscriptions from 'Avdat (Oboda), **IEJ** 11, 1961.

Negev, A., The Chronology of the Middle Nabatean Period, **PEQ** 101, 1969.

Negev, A., The Nabatean Necropolis of Mampsis (Kurnub), **IEJ** 21, 1971.

Nagev, A., Nabatean Capitals from the Towns of the Negev, **IEJ** 24, 1974.

Negev, A., Nabatéens et Byzantins au Negev, **MDB** 19, 1981.

Negev, A., Numismatics and Nabataean Chronology, **PEQ** 114, 1982.

Negev, A., **Tempel, Kirchen and Zisternen**, Stuttgart, 1983.

Negev, A., **Nabatean Archaeology Today**, New York, 1986.

Negev, A. Obodas, the God, **IEJ** 36, 1986.

Nielsen, D., The Mountain Sanctuaries in Petra and its Environs, **JPOS** XI, 1931, **JPOS** XIII, 1933.

Orni, E., and Efrat, A., **Geography of Israel**, Israel, 1976.

Parr, P., Excavations at Petra, 1985-1959, **PEQ** 92, 1960, pp. 125-126.

Parr, p., The Beginnings of Hellenization at Petra in Le rayonnement des civilisations grecque et ronaime sur les cultures peripheriques, **VIIIéme Congrés international d'Archéoogie classique**, Paris, 1965.

Parr, p., Découvertes récentes au sanctuaire duQasr à Pétra, I, Compte-rendu des dernières fouilles, **Syria**, XLV, 1968.

Parr, P.J., The Investigation of Some Inaccessible Rock-cut Chambers at Petra, **PEQ** 100, 1968.

Parr, P. A Sequence of Pottery from Petra, **Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century**, New York, 1970, (ed. A. J. Saunders).

Patrich, J., **The Formation of Nabataean Art**, Jérusalem, 1990.

Peterman, G.L., Sensationnelle découverte: des manuscrits byzantins à

Pétra. **MDB** 88, 1994.

Peters, F. E., The Nabateans in the Hawran, **JAOS** 77, 1977.

Pirenne, J., **Le royaume sud-arabe de Qataban et sa datation**, 1951.

Pliny, **Natural History**.

Plutarch, **Lives**.

Pritchard, J.R., **Ancient Near Eastern Texts**, 1950.

Répertoire d'□ piqraphie Sémitique (RES) 53-2136 (passim).

Robinson, G. L., The Newly Discovered "High place" at Petra, **BW**, 17, 1901.

Robinson, G.L., The High Place, **The Biblical World** XXXI, 1908.

Rosenthal, R., and Sivan, R., **Ancient lamps in the Schloessinger Collection**, Jerusalem, 1978.

Rostovtzeff, M., **Caravan Cities**, 1971.

Ryckmans, G., **Les religions Préislamiques**, Leuven, 1951.

Sartre, M., **Inscriptions de la Jordanie**, Tome IV. (IGLS XXXI), Paris, 1993, BAH Tome CXV.

Savignac, R., Le Haut-lieu de Pétra, **RB** 12, 1903.

Savignac, R., and Horsfield, G., Le temple de Ramm **RB** 44, 1935.

Savignac, R., Le dieu nabatéen de La'ban et son temple, **RB** 42, 1937.

Schmitt-Korte, K., A Contribution to the Study of Nabataean Pottery, **ADAJ** XVI, 1971.

Schmitt-Korte, K., **Nabataean Pottery in Pre- Islamic Arabia** (Studies in the History of Arabia II); (1984), pp. 1-40.

Shehadeh, N., The Climate of Jordan in the Past and Present, **SHAJ** II, Amman, 1985.

Sivan, R., Notes on Some Nabataean Pottery Vessles, **IEJ** XXVII 1977.

Sourdel, D., **Les cultes du Hauran à l'époque romaine**, Paris, 1952.

Starcky, J., The Nabataeans, a historical sketch, **BA** XVIII, 1955.

Starcky, J., "Y a-til un dieu Rês aïn La'aban?" **Revue Biblique**, 1957.

Starcky, J., Nouvelles steles funéraires à Pétra, **ADAJ** 10, 1965.

Starcky, J., Pétra et la Nabaténe, **Supplélment au dictionnair de la Bible**, Vol. VII, 1966.

Starcky, J., Le temple de Khirbet Tannur, **RB** 75, 1968.

Starcky, J., La civilisation nabatéenne: état des questions, **IXéme Congrès d'archéologie classique**, Damas 1969, Rapports et communications.

Starcky, J., pétra, conservatoire de l'art alexandrin, **MDB** 8, 1979.

Starbo, **Geography**.

Tarrier, D., Les triclinia cultuels et salles de banquet (Pétra), **MDB** 14, 1980.

Tarrier, D., Les installations de banquet à Pétra, **RB** 93, 1986.

Tarrier, D., **Les triclinia nabatéens dans la perspective des installations de banquet du Proche-Orient,** Thése de Doctorat, Paris I-Panthéon- Sorbonne, 1988.

Tarrier, D., Graffitti et dessins rupestres relevés à Petra, **Liber Annuus**, 1992.

Villeneuve, F., The Pottery from the Oil- Factory at Khirbet edh Dharih (2nd century A.D.). A Contribution to the Study of the Material Culutre of the Nabataeans, **ARAM** 2, 1990.

Villeneuve, F. and Al - Muheisen, Z. Nouvelles recherches à Khirbet edh- Dharih (Jordanie du Sud, 1996-1999), **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles- Letters**, Paris, 2000.

Villeneuve, F., and Al -Muheisen, Z., Dharih and Tannur, Sanctuaries of Central Nabataea, **PETRA Rediscovered**, New York, 2004.

Wiegand, Th. **Wissenschaftliche Verôffentlichungen des Deutsch-Türk. Kommandos**, part 3: Petra Bachman, W., Leipzig, 1920.

Woolley, C.L. and Lawrence, T.E., The Wilderness of Zin, **Annual of**

the Palestine Exploration Fund, III, 1914-1915.

Wright, G.R.H., Structure of the Qasr Bint Far'un. A Preliminary Review, **PEQ** 93, 1961.

Wright, G.R.H., Petra - the Arched Gate, 1959-1960, **PEQ** 93, 1961.

Wright, G.R.H., The Khazneh at Petra: A Review, **ADAJ** 6-7, 1962.

Wright, G.R.H., Découvertes récentes au sanctuaire du Qasr, II. Quelques aspects de l'architecture et de la sculpture, **Syria** XLV, 1968.

Wright, G.R.H., Strabo on funerary Customs at Petra, **PEQ** 101, 1969.

Yadin, Y., Expedition D- The Cave of Letters, **IEJ** 12, 1962.

Zayadine, F., A Nabataean Inscription from Beida, **ADAJ** XXI, 1976.

Zayadine, F., Excavations at petra (1976-1978), **ADAJ** 23, 1979.

Zayadine, F., Decorative Stucco at Petra and other Hellenistic Sites, **SHAJ** III, 1987.

قائمة المختصرات

Abbreviations

AASOR: Annual of the American Schools of Oriental Research.

ADAJ: Annual of the Department of Antiquities of Jordan.

AJA: American Journal of Archaeology.

AW: Antike Welf.

BAH: Bibliothèque Historique et Archéologique.

BASOR: Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

CIS: Corpus Inscriptionum Semiticarum.

CRAI: Comptes-rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-lettres.

IEJ: Israel Exploration Journal.

JAOS: Journal of the American Oriental Society.

MDB: Le Monde de la Bible.

PEQ: Palestine Exploration Quarterly.

PEQFS: Palestine Exploration Fund Quarterly Statement.

QDAP: Quarterly of the Department of Antiquities of Palestine .

RB: Revue Biblique.

SDB: Supplément au Dictionnaire de la Bible.

ZDPV: Zeitschrift des Deutschen Palâstina-Vereins.

قائمة المواقع النبطية

المواقع النبطية في الأردن:

1- الأزرق al-Azraq- (وادي السرحان، شرق المفرق).

2- أبو بنا (خربة) Abu Bann (شمال شرق الطفيلة).

3- أبو الخرق (قصر Abu el-Kharaq (qasr (شمال شرق الكرك).

4- أبو ركبة (قصر Abu Rukbeh (qasr (شرق الكرك).

5- أبو الضباع (وادي Abu ed-Dba' (wadi (وادي الحسا).

6- أبو اللسن Abu el-Lasan (جنوب معان).

7- أبو ناسور (خربة) Abu Nasur (اقليم الحسمة، شمال العقبة).

8- أتاعيتا (خربة) Ata'ita (أدوم).

9- أحمر (وادي Ahmar (wadi (وادي الحسا).

10- أحمير Aheimer (شمال الكرك).

11- اخوان الخادم Akhwan el- Khadem (جنوب شرق الكرك).

12- ادر Ader (شمال شرق الكرك).

13- اذرح Udruh (بين الشوبك ومعان).

14- اشرا (خربه) .Ishra (kh (أدوم).

15- أم البياره Umm el-Biyara (petra (البتراء، وادي موسى).

16- أم الجمال Umm el-Jimal (شرق المفرق).

17- أم حطين (جبل) Umm Hattein (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

18- أم حمات (خربه) .Umm Hamat (kh (جنوب معان).

19- أم دايه Umm Daya (أدوم).

20- أم راس (خربه) .Umm Ras (kh (أدوم).

21- أم الرصاص Umm er-Rasas (جنوب مادبا، شرق ذيبان).

22- أم الريح Umm er-Rih (وادي الحسا).

-23 أم سدره Umm Sidreh (شمال غرب الكرك).

-24 أم الطوابين Umm et-Tawabin (الغور الجنوبي، شمال شرق عربه).

-25 أم العمد Umm el- شAmad (مادبا).

-26 أم قريقره Umm Qreiqarah (وادي الحسا).

-27 أم قصير Umm Qeseir (شرق مادبا).

-28 أم القصير Umm el-Qeseir (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

-29 أم القطين Umm el-Qutten (شرق المفرق).

-30 أم قلاع Umm Qalشa (شمال الكرك).

-31 أمرق (رجم) Umruq (rujm) (الغور الجنوبي، شمال شرق عربه).

-32 أم منصور (عين) Umm Mansur (شAin) (أدوم).

-33 أم هراجا Umm Hraga (وادي الحسا).

-34 أم هشاش (خَريه) Umm Hashas (kh.) (أدوم).

-35 أنايه (خريه) Anayeh (جنوب شرق الكرك).

-36 أيل (خربه) Ayl (غرب معان).

-37 أيله Aila (العقبة).

-38 باخر (خربه) Bakher (kh.) (شرق الطفيله).

-39 البارد (سيق) Siq el-Barid (البتراء، وادي موسى).

-40 الباعج al-Baشig (قرب المفرق).

-41 بالوعه Baluشeh (شمال الكرك).

-42 باير Bayir (الجزء الأوسط من الصحراء الشرقيه).

-43 بترا (جبل) Batrah (jebel) (جنوب الكرك).

-44 البتراء Petra (جنوب الأردن).

-45 براك (خربه) Brak (kh.) (جنوب وادي موسى).

-46 البربيطه (خربه) el-Burbeitah (kh.) (شمال الطفيلة - وادي الحسا).

-47 برزه al-Barzah (جنوب مادبا).

48- برقع Burqشah (الصحراء الشرقيه، شرق المفرق).

49- البريس (خربه) el-Bureis (وادي الحسا).

50- البسطه (خربه) el-Basta (kh.) (غرب معان).

51- بصيره Buseirah (جنوب الطفيله).

52- بطينه Buteina (وادي الحسا).

53- البقره (خربه) al-Baqara (kh.) (وادي الحسا).

54- بهاش (رجم) Bahash (rujm) (جنوب الطفيله).

55- بير (خربه) Bir (kh.) (شمال الشوبك).

56- بير بشبش Bir Bashbash (قرب الكرك).

57- بير تركي (رجم) Bir Turki (rujm) (جنوب غرب معان).

58- بير رم العتيق Bir Rum el- شAtiq (شمال شرق العقبه).

59- بير مذكور Bir Madhkur (جنوب الشوبك، قرب البتراء).

60- بير مليح (خربه) Bir Melih (جنوب البحر الميت).

61- بيضا Beda (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

62- بيضا Beida (جنوب البحر الميت).

63- البيضه (خربه) el-Beida (kh.) (جنوب الطفيله).

64- تلول الذهب Tlul adhahab (مطله على وادي الأردن).

65- التنور (خربه) et-Tannur (kh.) (شمال الطفيله، وادي الحسا).

66- ثلاجه (خربه) Thalajah (kh.) (اقليم الحسمه).

67- جابر Jabir (الصحراء الشرقيه).

68- الجاريه (خربه) el-Jarieh (kh.) (شمال غرب الشوبك، جنوب غرب الطفيله).

69- جاعس (خربه) Jaشis (kh.) (وادي الحسا).

70- جرادين (خربه) Jeradin (وادي الحسا).

71- جلول Jelul (شرق مادبا).

-72 جميل Jemeil (شرق ذيبان).

-73 جناب الشمس (عين) شAin Jenab esh-Shems (أدوم).

-74 الجهيره (رجم) el-Juheira (rujm (شمال شرق الشوبك).

-75 جوزه Jozeh (جنوب الكرك).

-76 جويزه (عين) شAin Juweiza (غرب معان).

-77 جويزه الشرقيه (عين) شAin Juweza east (غرب معان).

-78 الحجفي (جبل) Hajfi (jebel (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

-79 الحسيه الشمالي (خربه) Hissieh north (kh.) (الغور الجنوبي، شمال شرق عربه).

-80 الحمه Hammeh (وادي الحسا).

-81 حميمه Humeima (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

-82 الحنوت (خربه) al-Hanut (kh.) (اقليم الحسمه).

-83 الحيري (خربه) el-Heri (kh.) (جنوب شرق مادبا).

-84 خالدي (خربه) Khaldi (kh.) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

-85 الخرزه (تل) al-Kharzeh (tell (بين العقبه ومعان).

-86 الخرزه (جبل) Al-Kharzeh (jebel (بين العقبه ومعان).

-87 خنيزيره Khneizirah (الغور الجنوبي، الجزء الشمال من وادي عربه).

-88 الداعوق (خربه) شDa uq (kh.) (وادي الحسا).

-89 ذرافه (خربه) Darafa (kh.) (بين العقبة ومعان).

-90 الدربا (خربه) ed-Daraba (kh.) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

-91 الدن (خربه) ed-Denn (جنوب وادي الموجب).

-92 الدهس الشمالي (عين) ed-Danas north (شAin) (وادي الحسا).

-93 دهور (خربه) Dhor (kh.) (أدوم).

-94 الديسه ed-Disi (شمال العقبه).

-95 ذات راس Dhat Ras (جنوب الكرك).

96- الذريح (خربه) edh-Dharih (kh.) (شمال الطفيله، وادي اللعبان).

97- ذيبان Dhiban (جنوب مادبا).

98- الذيقه (وادي) ed-Diqa (wadi) (جنوب وادي رم، شرق العقبه).

99- راس النقب (خربه) Ras en-Naqab (kh.) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

100- راس الهلا Ras el-Hala (أدوم).

101- راسيف (خربه) Rassif (kh.) (أدوم).

102- الربه (قصر) (بيت كرم) er-Rabbah (qaser) (Beit Karm) (شمال الكرك).

103- رتام (جبل) Ratama (jebel) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

104- رخمتين Rekhemtein (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

105- الرسيس (خربه) er-Reseis (kh.) (أدوم).

106- رم (وادي) Wadi Rum (بين العقبه ومعان).

107- رم Rum (شرق البتراء).

108- رواث Ruwath (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

109- الرويحي er-Rweihi (وادي الحسا).

110- الريشه er-Rishe (شمال غرب الكرك).

111- زارا (عين) er-Rishe (وادي الحسا).

112- زعفران I (قصر) Zaشqasr) I faran) (جنوب شرق مادبا).

113- الزهيريه ez-Zuhiriye (شمال غرب الكرك).

114- الساده es-Saddeh (جنوب البتراء).

115- سقرى (خربه) Saqri (kh.) (أدوم).

116- سلع Seشla (جنوب الطفيله).

117- سليه Saliyeh (جنوب شرق ذيبان).

118- سماكيه Smakieh (شمال الكرك).

119- السمرا (خربه) es-Smarrah (شمال الكرك).

120- سويمره (خربه) Sweimreh (kh.) (غرب معان).

121- صراره (خربه) Serareh (kh.) (الكرك).

122- السيكر (خربه) es-Siker (kh.) (شرق مادبا).

123- سيق البارد (البتراء) Siq el Bared (شمال البتراء).

124- شاكر (قصر) Shakir (qasr) (أدوم).

125- شديده (خربه) Shudaiyied (kh.) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

126- الشرات (خربه) esh-Sharat (kh.) (معان).

127- شرفان (خربه) Sherfan (kh.) (معان).

128- شقيره Sheqeira (جنوب الكرك).

129- شماخ (خربه) Shemmakh (kh.) (أدوم).

130- شيحان Shyhan (ذيبان).

131- صباح (خربه) Sabah (kh.) (منطقة وادي الحسا).

132- صبحه Sabhah (قرب المفرق).

133- صبرا Sabra (جنوب البتراء).

134- صدقه Sadaqa (غرب معان).

135- طويل أفجيج Tweil Ifjeij (أدوم).

136- طويلان Tawailan (قرب وادي موسى).

137- طلاح (قصر) Tlah (qasr) (الغور الجنوبي، شمال شرق عربه).

138- الطيبه (خربه) et-Tibieh (جنوب وادي موسى).

139- عابور شAabur(شرق الطفيله).

140- العكوزه (خربه) el شAkuzeh (جنوب الكرك).

141- العال el- شAal (بين عمان ومادبا).

142- العبده (خربه) el- شAbdeh (kh.) (جنوب البحر الميت).

143- عترا (جبل) شAtra (jebel) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

144- عتيان (رجم) شAtiyan (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

145- عراعير شAra air (جنوب ذيبان).

146- عراق (خربه) شAraq (kh.) (جنوب الشوبك).

147- العرجه (خربه) el- شArja (kh.) (جنوب الشوبك).

148- عرسه (جبل) شArsah (jabel) (جنوب الشوبك).

149- عزور (خربه) شAzzur (kh.) (شمال الكرك).

150- عفره (وادي) شAfra (wadi) (جنوب وادي الحسا).

151- العقيقه (خربه) el- شAqeiqeh (kh.) (جنوب معان).

152- العلي (وادي) el- شAli (wadi) (وادي الحسا).

153- عليان شAleiyan (جنوب شرق مادبا).

154- عليليات (سيل) Siel شEleiliyat (وادي الحسا).

155- عليمه (خربه) شAlemeh (kh.) (جنوب الطفيله).

156- عمان Amman.

157- عمتات (رجم) شAmtat (rujm) (جنوب الطفيله).

158- عموريا شAmuria (جنوب مادبا).

159- عناية (خربه) شAnayeh (جنوب الكرك).

160- العلاوه (خربه) el- شAlaweh (kh.) (جنوب غرب معان).

161- العلايا (رجم) el- شAlaya (rajm) (جنوب شرق مادبا).

162- عين سوبلا (خربه) شAin Saubala (وادي الحسا).

163- عين الغزلان (خربه) Ain el-Ghuzlan (Kh.) (وادي الحسا).

164- عين القانه (رجم) شAin el-Qanah (rujm) (جنوب غرب معان).

165- عيون الغزلان (خربه) شAyun el-Ghuzlan (kh.) (جنوب الكرك).

166- غرندل Gharandal (شمال العقبه).

167- غوير Ghweir (الكرك).

168- فجيجه Fegeiges (شمال الطفيله).

169- فخاره Fuhhara (شمال غرب الكرك).

170- فراع دور Dorشfera (أدوم).

171- فريوان Freiwan (شمال غرب ارض الكرك).

172- الفويله (خربه) al-Fweileh (kh.) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

173- فيفه Fifeh (جنوب شرق البحر الميت).

174- فينان Finan (جنوب غرب الطفيله).

175- قابو (خربه) (دير المحروق) Qabü (kh.) (شمال غرب الكرك).

176- القرن (خربه) al-Qarn (وادي الحسا).

177- قرين الجنوبي (خربه) Qurein south (kh.) (أدوم).

178- قصر الدير (خربه) Qasr ed-Deir (Kh.) (أودم).

179- القصرين (عين) شAin el-Qasrein (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

180- القطار (عين) شAin el-Qattar (وادي رم، شمال العقبه).

181- القنا (رجم) al-Qana (rujm) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

182- قواسه Quaseh (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

183- قويره Qweirah (شمال العقبه).

184- القيرانا (خربه، جبل) al-Qiranah (kh., jebel) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

185- الكثارا (خربه) el-Kithara (شمال شرق العقبه).

186- الكرسي (رجم) el-Kursi (rujm) (غرب عمان).

187- كرك Kerak.

188- كفيراز Kefeiraz (جنوب الكرك).

189- الكوم el-Kom (جنوب مادبا).

190- لب Libb (جنوب مادبا).

191- اللجون el-Lejjun (شرق الكرك).

192- مادبا Madaba (جنوب عمان).

193- ماعين Maشin (جنوب مادبا).

194- مجادل Majadil (الطفيلة).

195- محطة الحج Mehattet el Haj (جنوب ذيبان).

196- مديبئ Medeibiش (جنوب الكرك).

197- مديلجه (عين) شAin Mudeileja (أدوم).

198- المدينه el-Medaiyineh (قرب مادبا).

199- مدينة (خرية الراس (Medinet (kh. el-Ras) (جنوب البحر الميت).

200- المرسد (رجم (al-Mersed (rajm) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

201- المريغه (خريه) el-Moreigha (معان).

202- المزنه el-Mezna (شمال الكرك).

203- مسراب (خريه) Musrab (kh.) (جنوب البحر الميت).

204- المشقر (رجم) el-Meshaqqer (جنوب غرب عمان).

205- مشمين Mesheminn (شمال شرق الطفيله).

206- المشيرفه (خريه) el-Mesheirfeh (kh.) (جنوب ذيبان).

207- مشيش (قصر) Musheish (qasr) (الصحراء الشرقيه، بين الكرك والطفيله).

208- المصيطبه el-Meseitbeh (شرق ذيبان).

209- المضيفي (قصير) el-Medeifi (quseir) (شمال العقبه).

210- المعقال el-Meشeiqal (جنوب معان).

211- المعيصي (جبل) al-Muشeisi (jebel) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

212- المغيطه (خريه) el-Megheitah (kh.) (غرب معان).

213- مفلسه (خريه) Mufleseh (kh.) (غرب معان).

214- مقتا الجبوا Meqta el-Jabua (جنوب شرق الكرك).

215- مقدس (خريه) Meqdas (kh.) (جنوب الشوبك).

216- المناره (رجم) el-Menareh (rejm) (شرق البحر الميت، على مستوى الجزء الأوسط).

217- منيشير (جبل) Manshir (jebel (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

218- المنصورية (خربه) el-Munsoria (kh.) (أدوم).

219- موت البنات (خربه) Mout al-Binat (kh.) (أدوم).

220- ميدان Medan (قرب الكرك).

221- نخل (عين) Ain Nikhl (جنوب الكرك).

222- نصارا (خربه) Nasara (kh.) (اقليم الحسمه).

223- النفيثيه (جبل) en-Nfaythiyyah (jebel) (اقليم الحسمه، شمال العقبه).

224- نقب الشتار (خربه) Neqb esh-Shtar (kh.) (أدوم).

225- نميره (رجم) Numeira (rujm) (جنوب شرق البحر الميت).

226- هارون (جبل) Harun (jebel) (قرب البتراء).

227- هبيب الفلا Hebeib el Fala (بين العقبة ومعان).

228- وادي ذوباي (سد) Wadi Dhibai (الصحراء الشرقيه).

229- وادي السرحان Wadi Serhan (شمال شرق الأردن، الصحراء الشرقيه).

230- الويبده (خربه) al-Weibdeh (kh.) (أدوم).

المواقع النبطية في جنوب سوريا (حوران)

1- البثنية.

2- أزرع.

3- السماقية.

4- السويداء.

5- الصنمين.

6- الضمير.

7- العنز.

8- القرية.

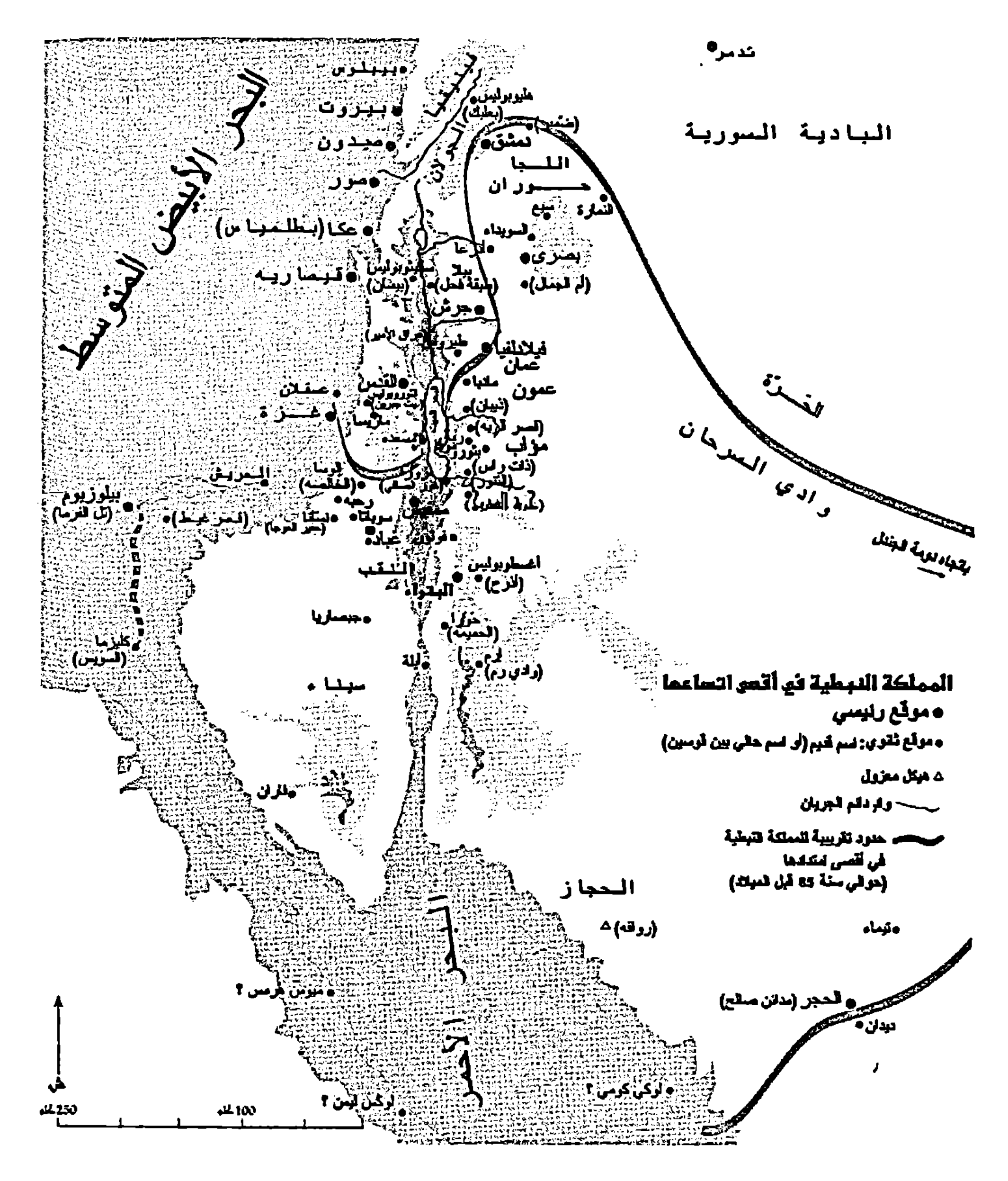
9- النمارة.

10- ام الرمان.

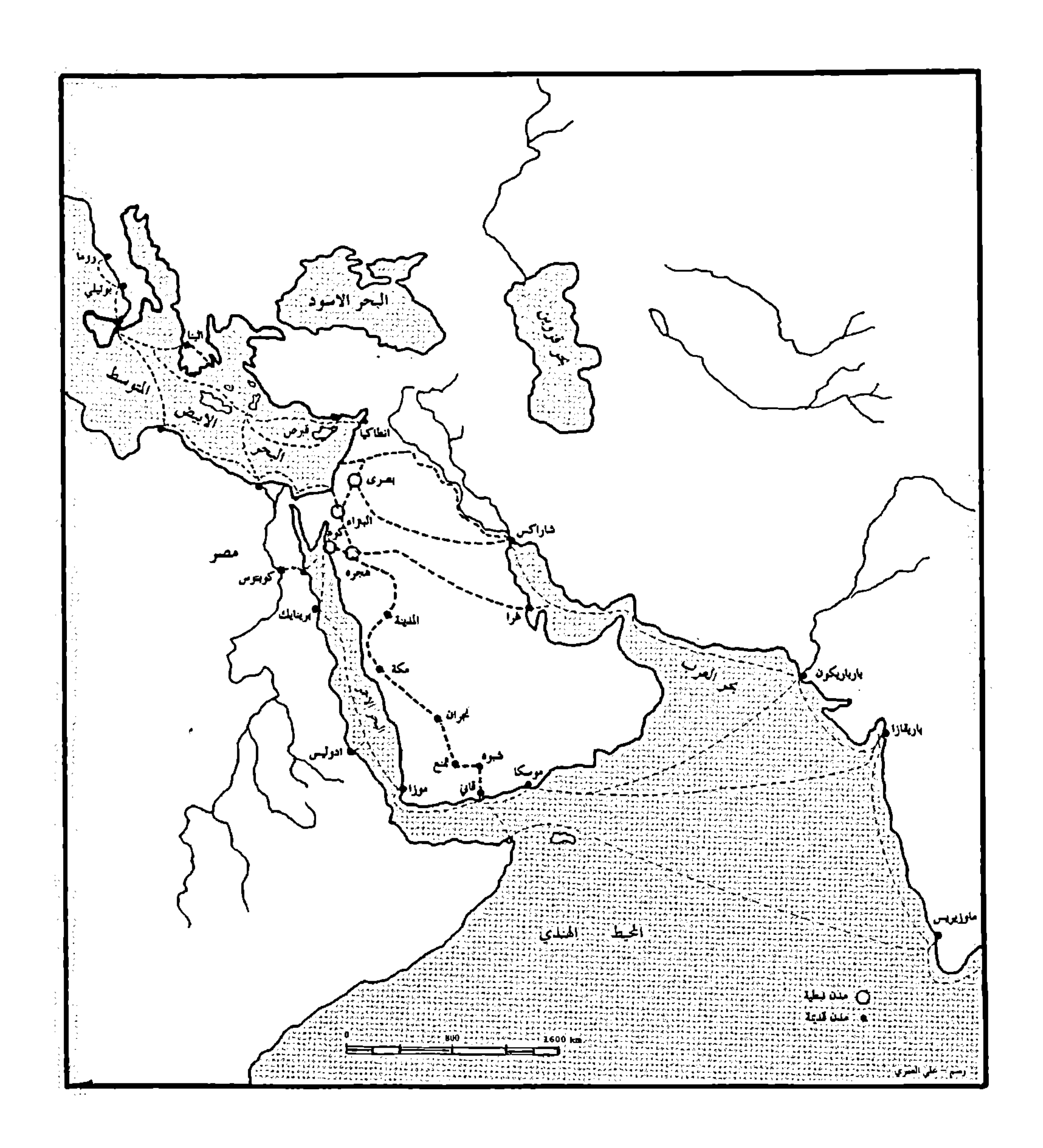
11- امتان.
12- بصرى.
13- تل المعاز.
14- جبيب.
15- جرين.
16- حبران.
17- خربة.
18- درعا.
19- دير المشقوق.
20- سمج.
21- سهوة الخضر.
22- سيع.
23- شنيره.
24- صلخد.
25- صما البردان.
26- صماد.
27- عرى.
28- قنوات.
29- معربة.
30- كوم الرف.
31- البثنية.

أضافة إلى عشرات المواقع النبطية الأخرى في صحراء النقب وفي سيناء وفي شمال المملكة العربية السعودية.

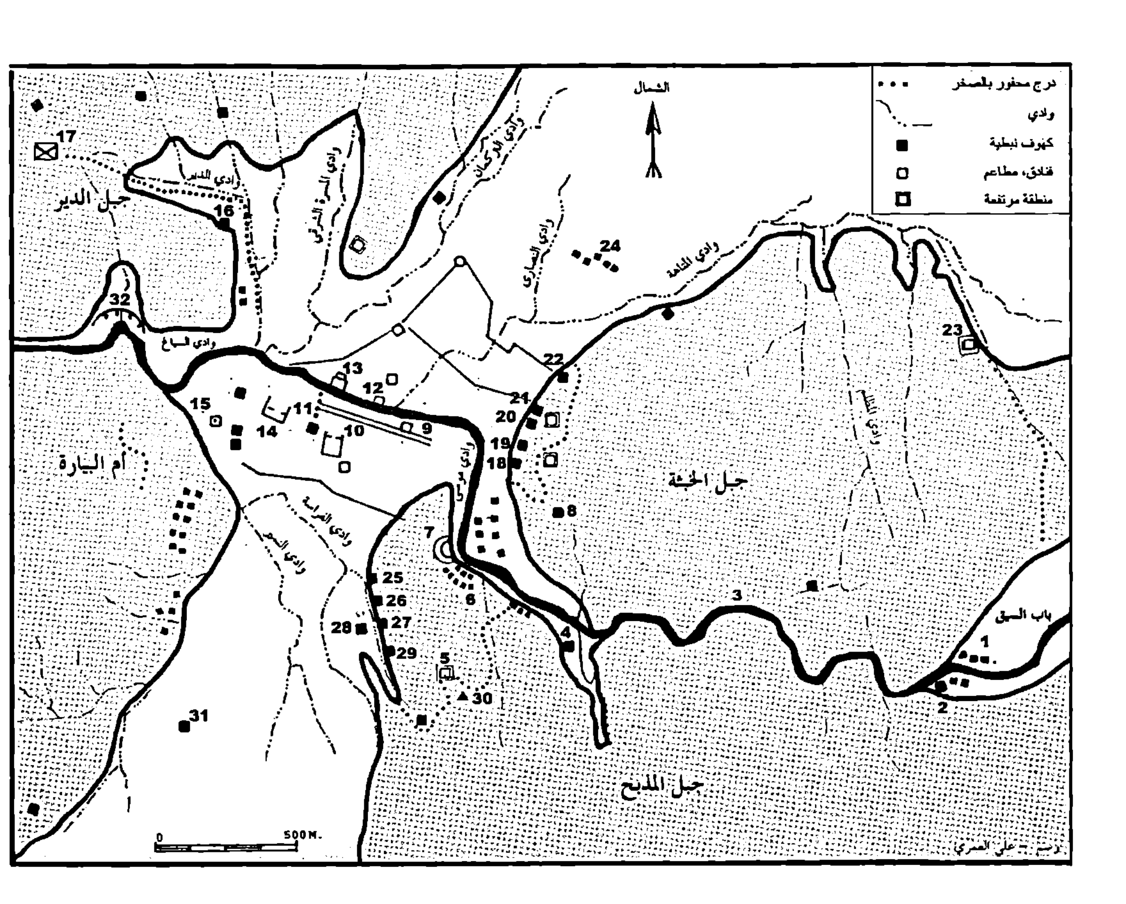
ملحق الصور واللوحات والمخططات



(خارطة رقم 1) خارطة تبين مواقع المملكة النبطية

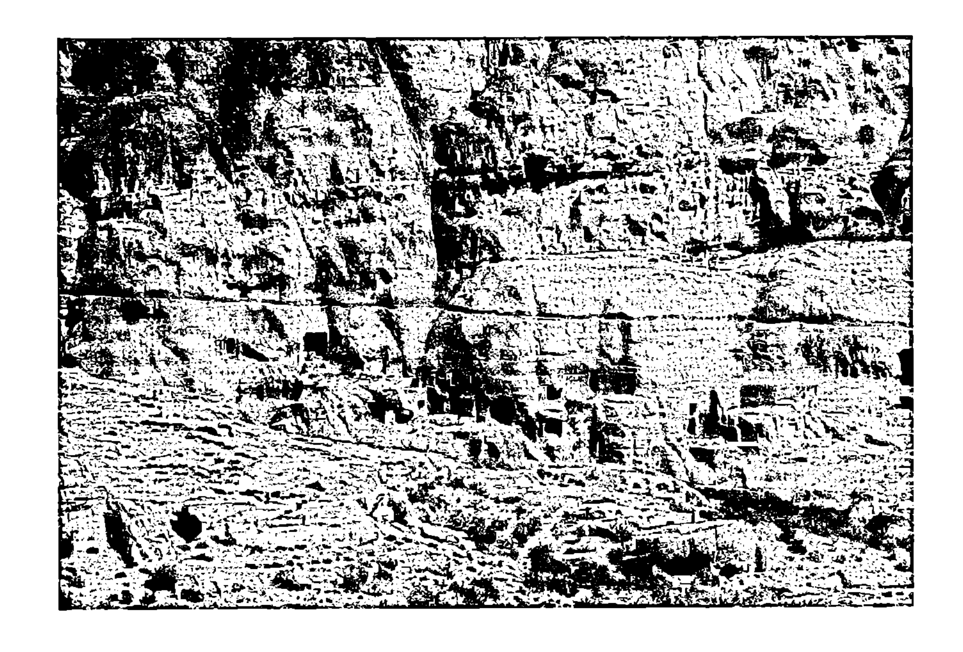


(خارطة رقم 2) خارطة تبين أهم طرق المواصلات النبطية



(مخطط رقم 1) مخطط لمدينة البتراء

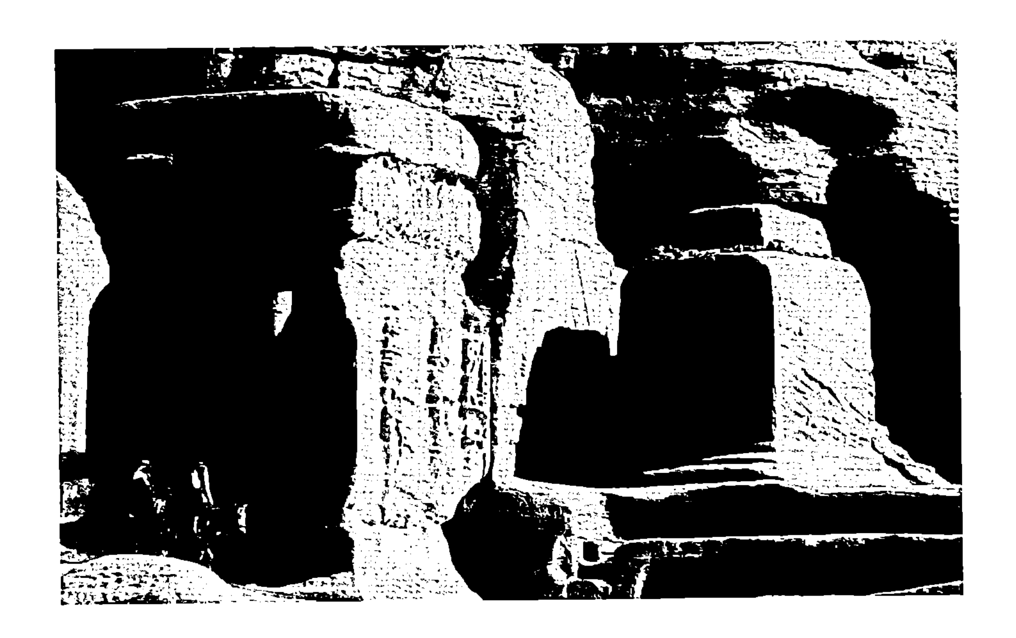
(صورة رقم 1) بعض الألهة التي تمثل الأجرام السماوية - خربة الذريح



(صورة رقم 2) قناة شعب قيس المطاحة- البتراء

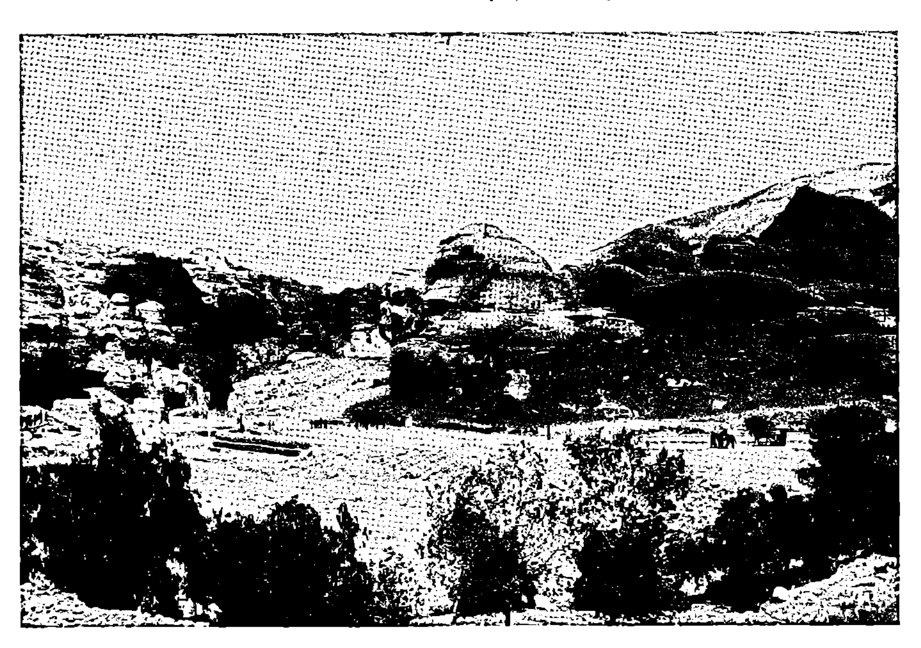
(صورة رقم 3) بركة الرملة - البتراء/وادي موسى

(صورة رقم 4) قبر الحيتين – البتراء



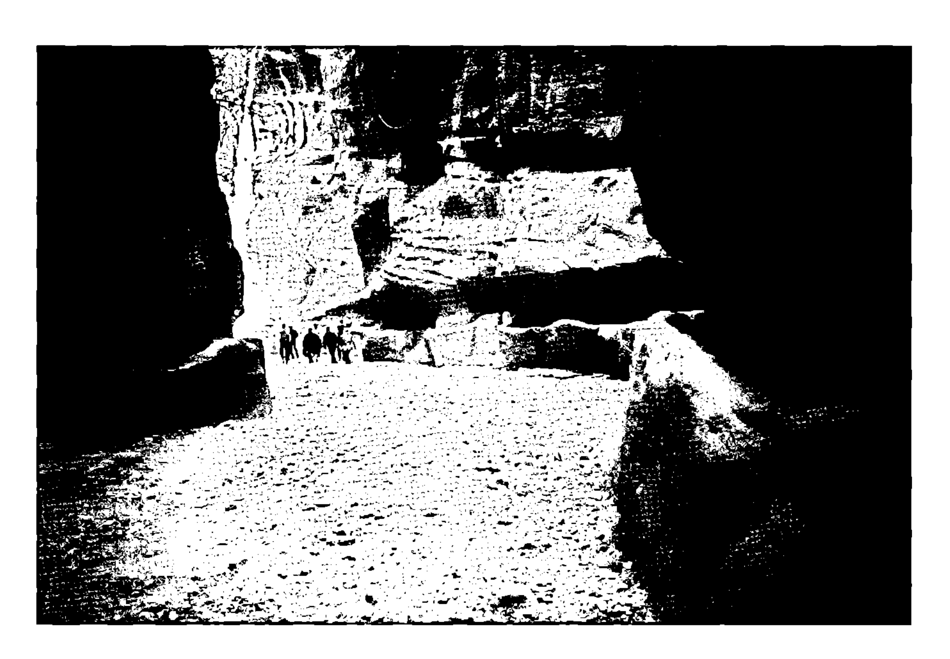
(صورة رقم 5) مقابر الابراج – البتراء

(صورة رقم 6) قبر المسلات- البتراء



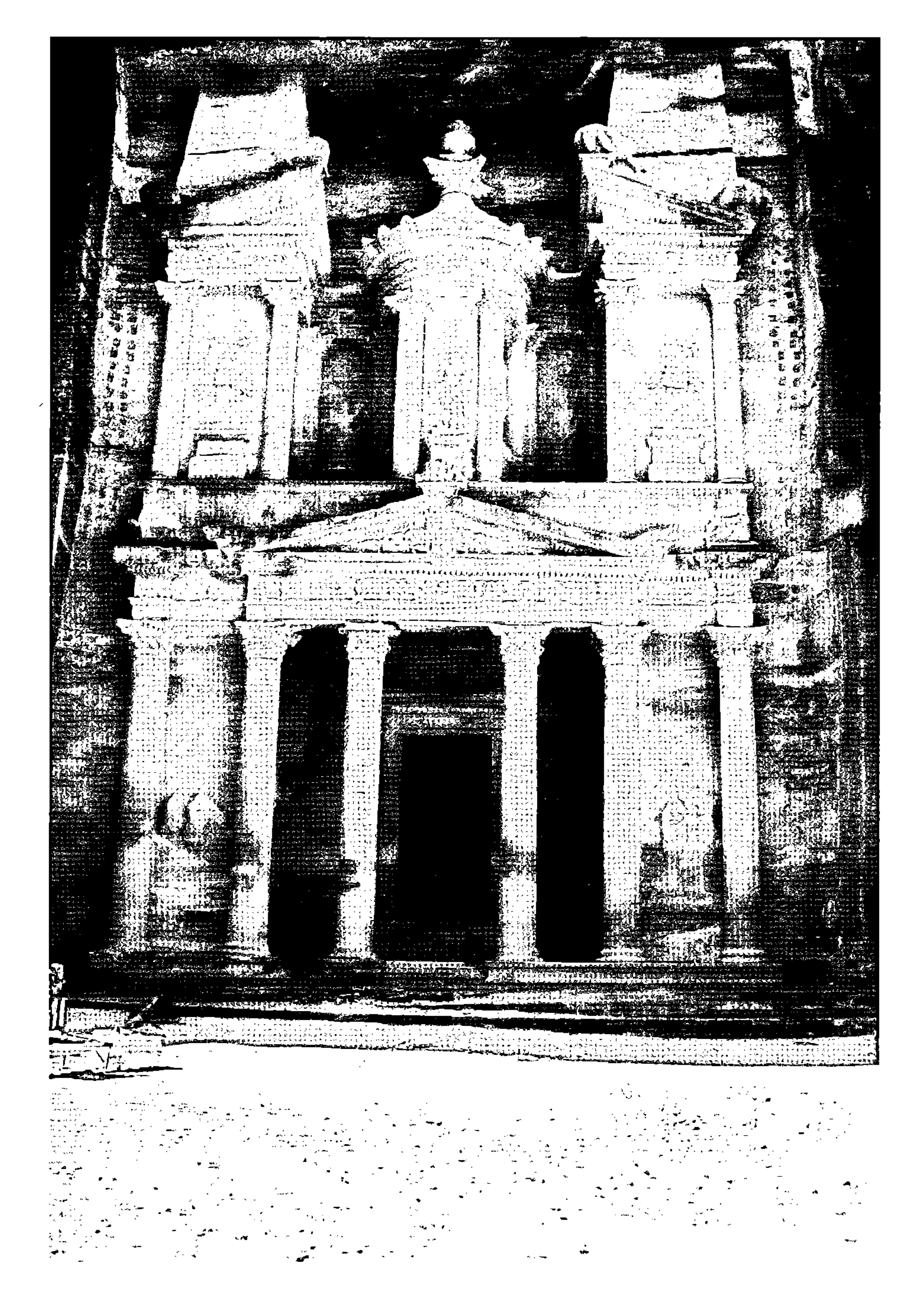
(صورة رقم 7) باب السيق ويظهر في وسط الصورة نفق وادي المظلم- البتراء

(صورة رقم 8) منطقة المدرس ويظهر في وسط الصورة احدى المضافات النبطية- البتراء

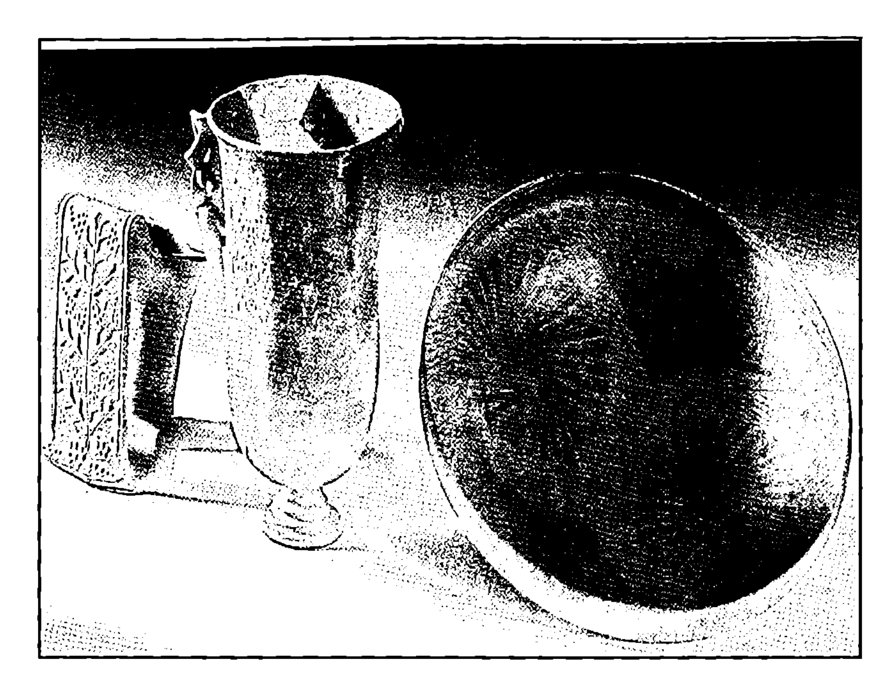




(صورة رقم 9) قنوات الماء داخل السيق واحدى القنوات الفخارية - البتراء

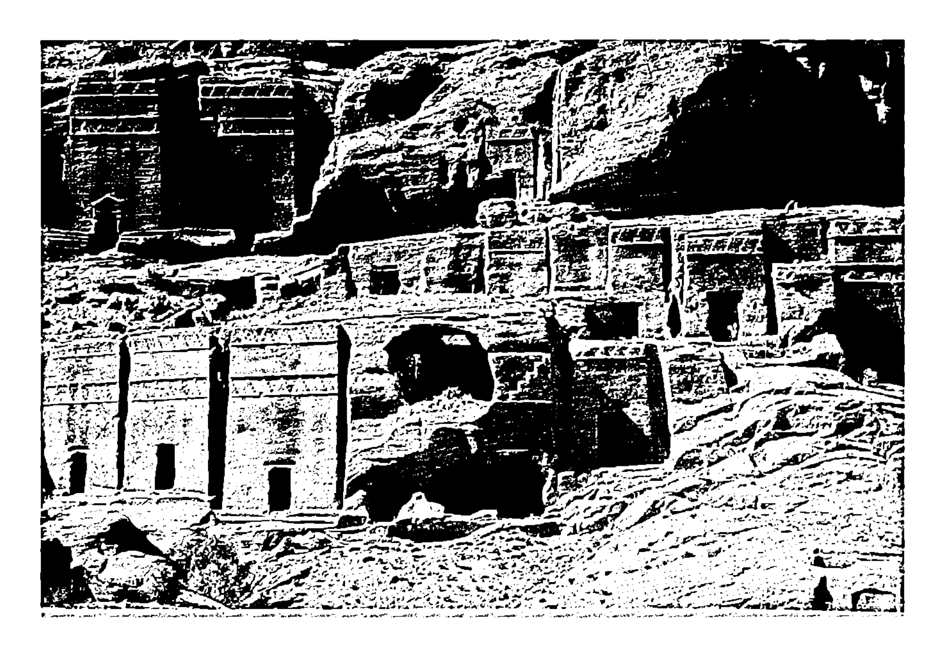


(صورة رقم 10) الخزنة في البتراء



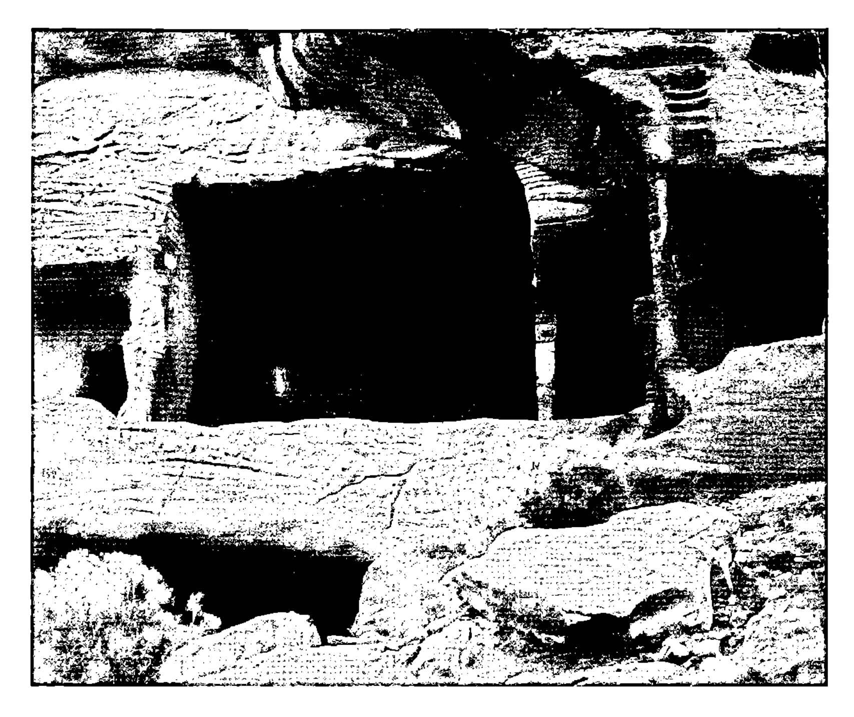
(صورة رقم 11) الفخار النبطي

(صورة رقم 12) السيق بعد الخزنة، وتظهر بعض المدافن النبطية- البتراء

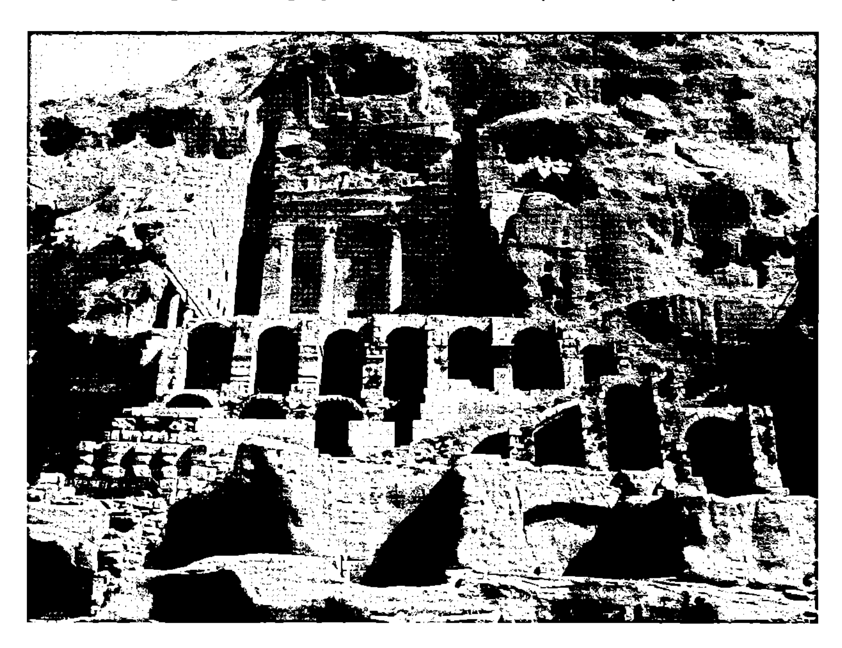


(صورة رقم 13) المدافن قرب المدرج - البتراء

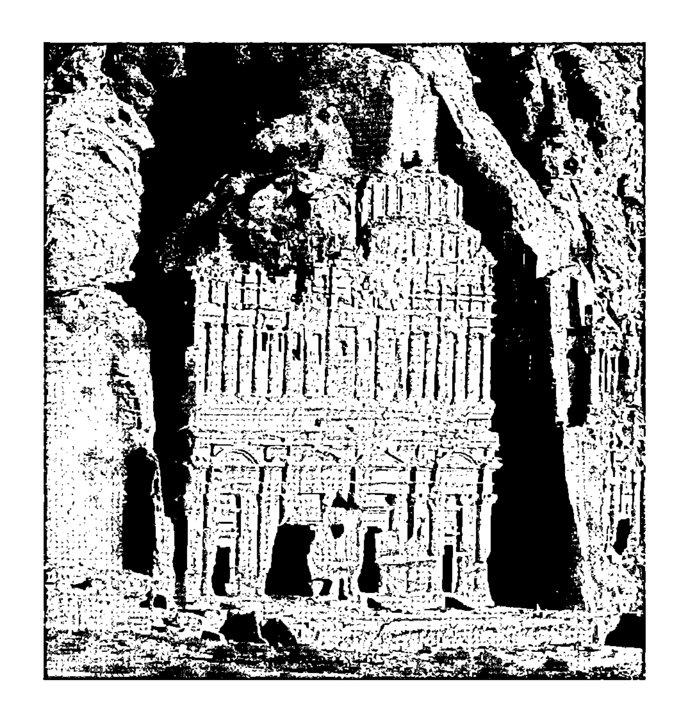
(صورة رقم 14) المدرج – البتراء



(صورة رقم 15) احدى البيوت النبطية التي تقع مقابل المدرج

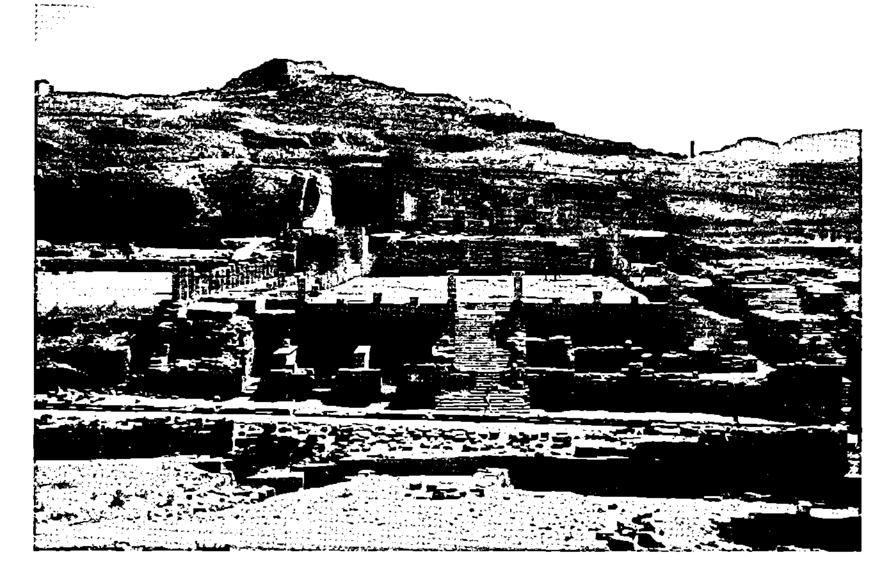


(صورة رقم 16) المحكمة - البتراء

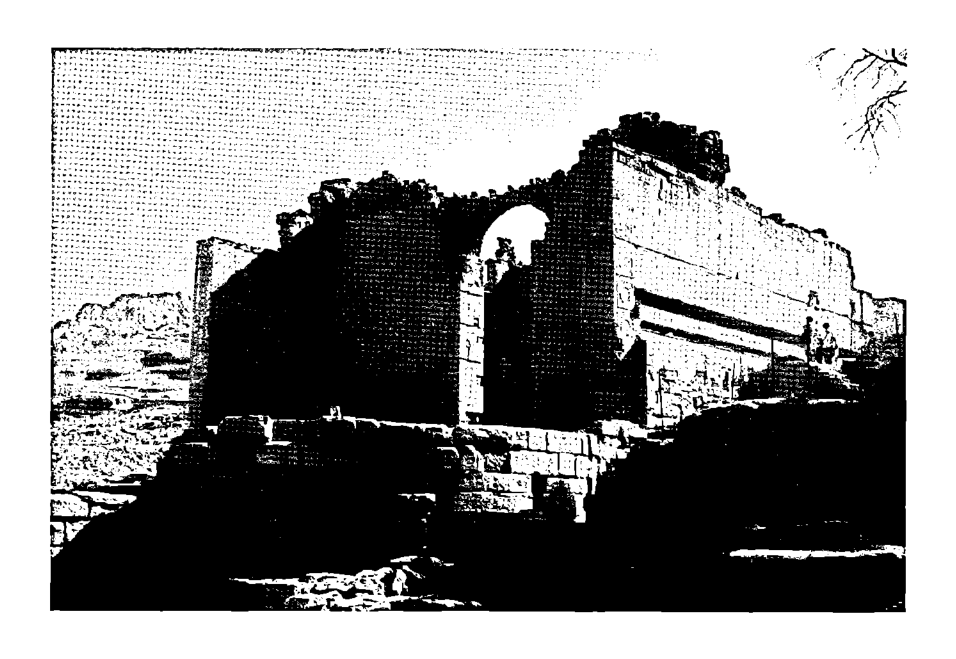


(صورة رقم17) ضريح القصر – البتراء

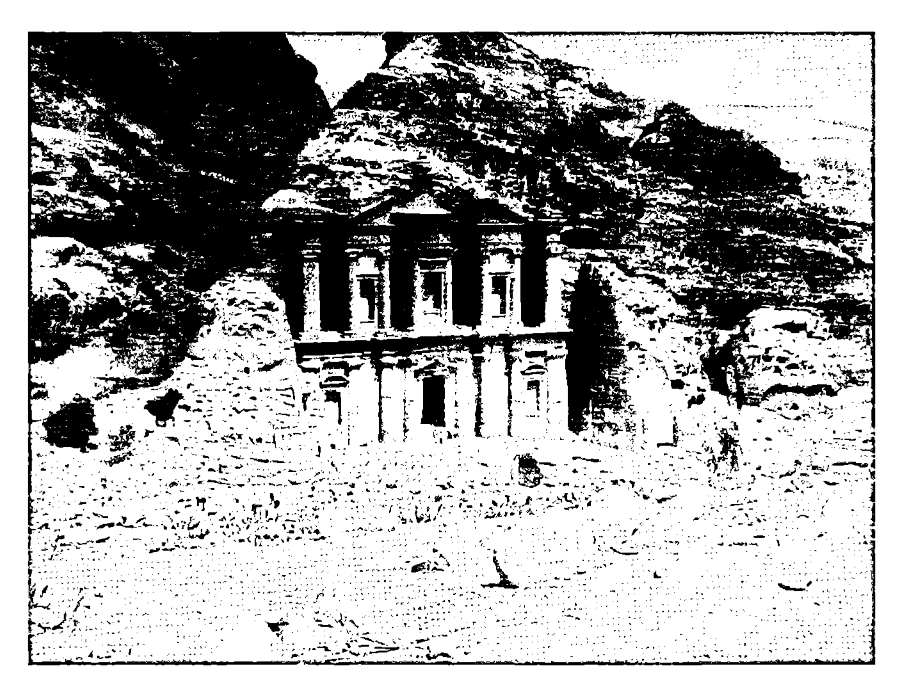
-



(صورة رقم 18) المعبد الكبير – البتراء



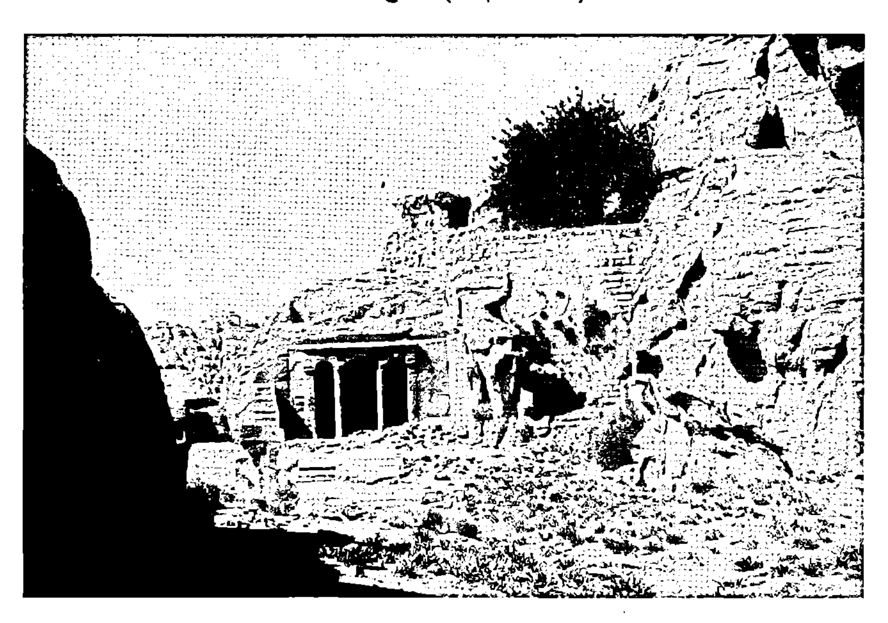
(صورة رقم 19) معبد قصر البنت - البتراء



(صورة رقم20) الدير - البتراء

(صورة رقم 21) أم البيارة – البتراء

(صورة رقم 22) المذبح – البتراء



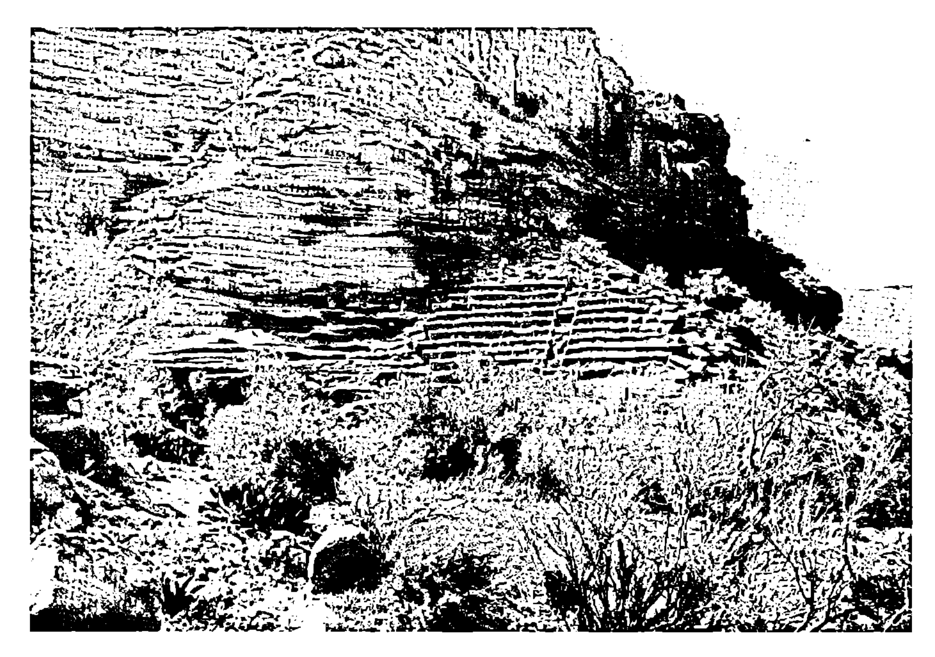
(صورة رقم23) ضريح البستان – البتراء

(صورة رقم 24) ضريح الجندي الروماني – البتراء

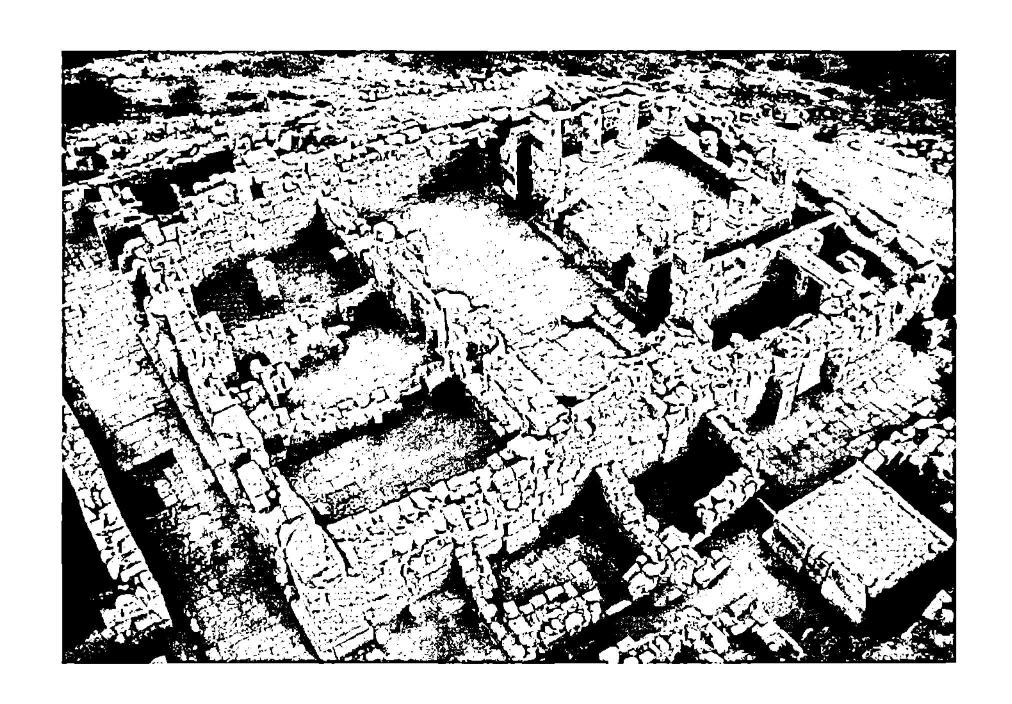


(صورة رقم 25) أحد البيوت النبطية داخل السيق البارد

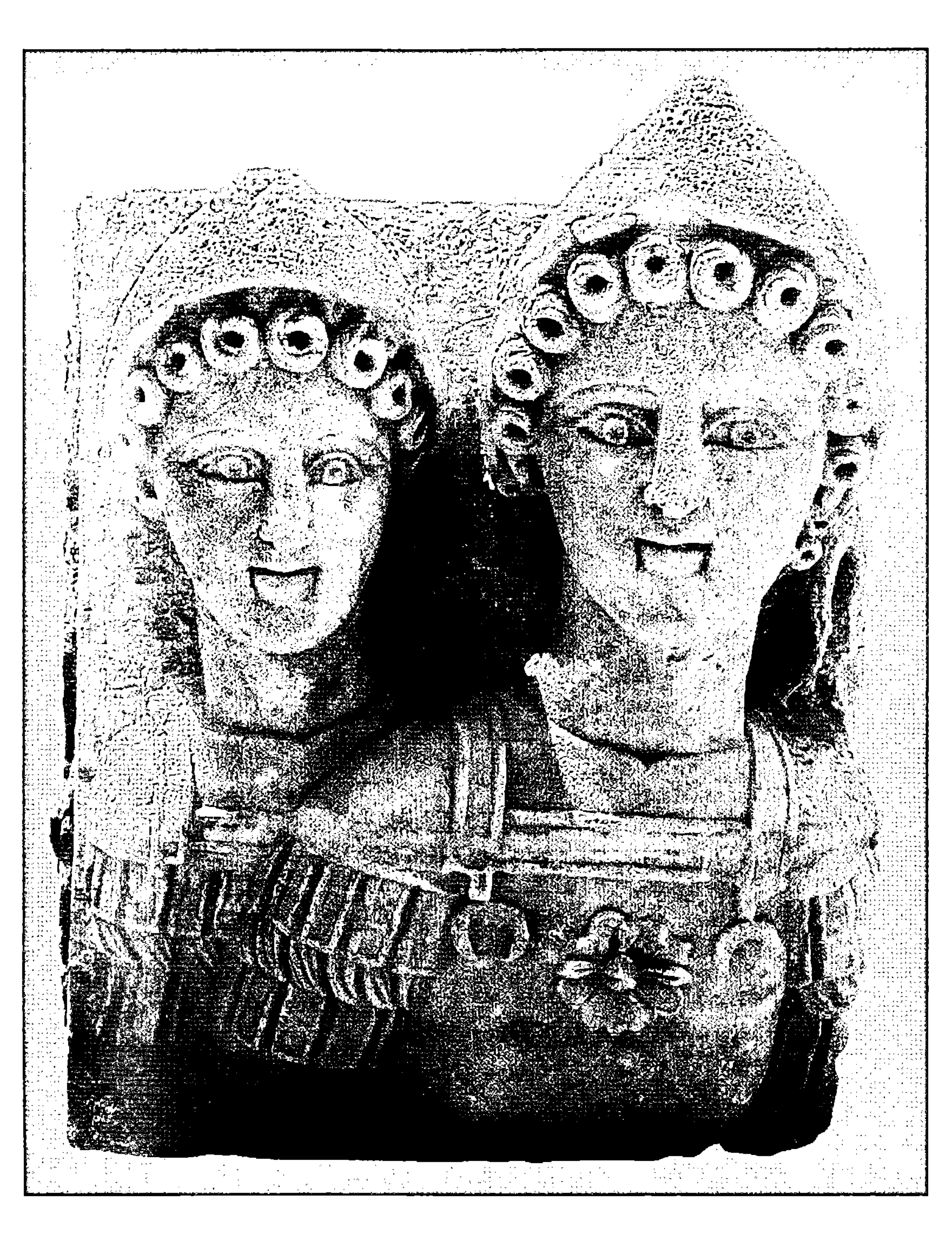
(صورة رقم 26) المضافة التي تحتوي على رسومات الفرسكو داخل السيق البارد



(صورة رقم 27) مدرج (مسرح) صبرا

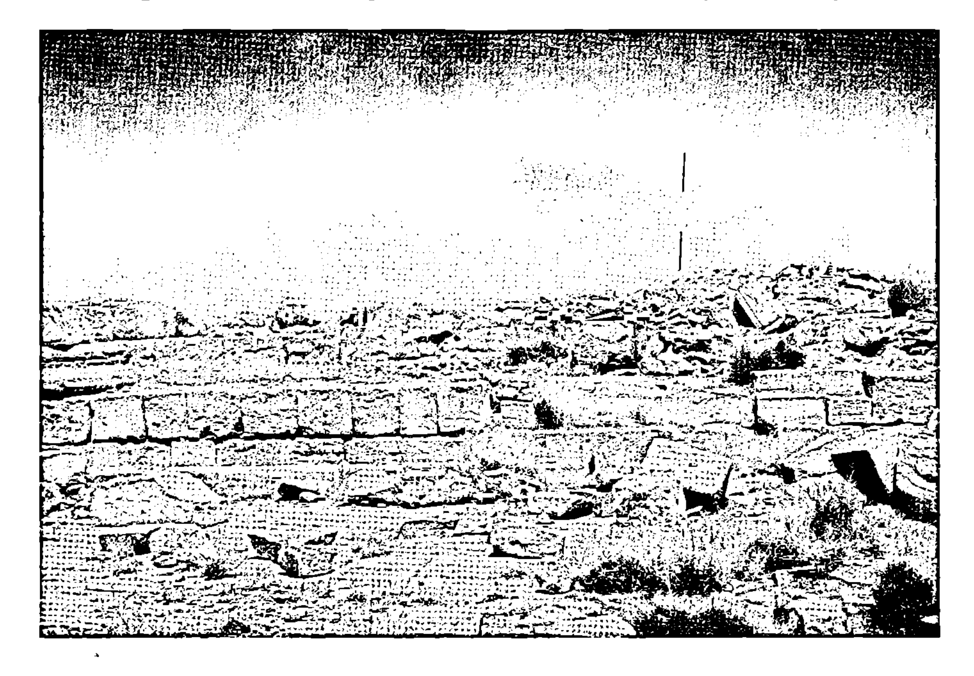


(صورة رقم 28) معبد خربة الذريح



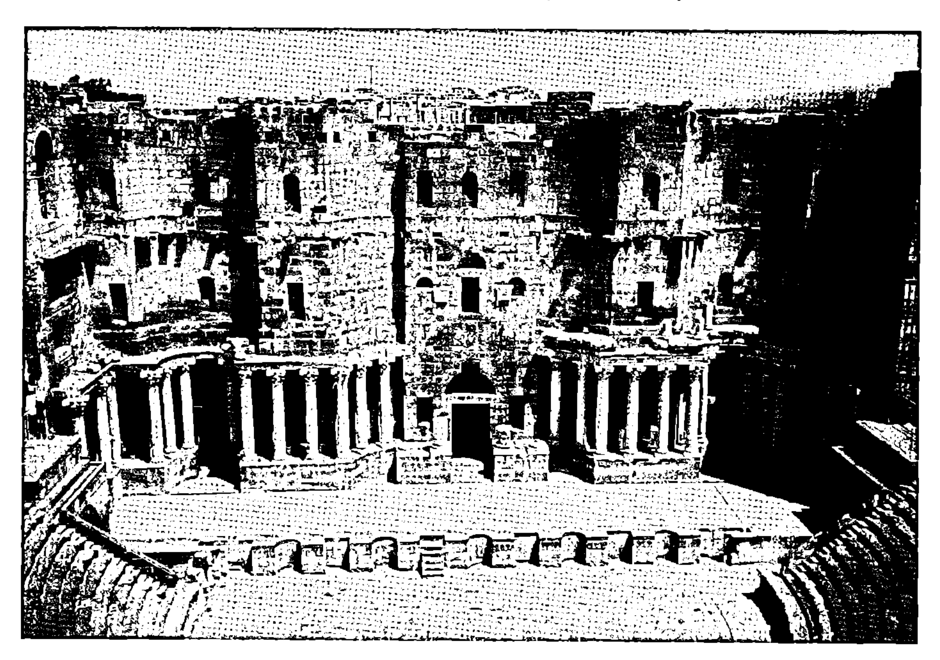
(صورة رقم 29) بعض الألهة النبطية التي تمثل الأجرام السماوية (برج الجوزاء)

(صورة رقم30) بعض المنحوتات النباتية والهندسية التي تزين واجهات معبد الذريح



(صورة رقم 31) معبد خربة التنور

(صورة رقم 32) صورة تبين بعض اثار ام الجمال



(صورة رقم33) مدرج (مسرح) مدينة بصرى

ملخص بالانجليزية

Abstract

The Nabataean period is without any doubt one of the most unique in the history of Jordan. But strangely enough, since the beginning of the century, the information about this period was usually limited to the study and classification of the religious and funerary monuments. This fact, as well as some preconceived ideas, have led some scholars to make wrong assessments about different aspects of this civilization. Still, in the last decades, research in the Nabataean field has considerably improved resulting in the elimination of much of this erroneous information.

In the early stages of this period and the rise of the Nabataean kingdom, our information remains poorly documented and relies mostly on foreign sources. Therefore, new discoveries would be of great importance but we must emphasize that in spite of many surveys conducted on the site of Petra, no epigraphic evidence earlier than the beginning of the first century BC has been found. For the second and third centuries, we can only guess that a great number of Nabataean settlements were cut in the rocks, but due to the lack of specific criteria, most of these installations cannot be dated with certainty.

The following centuries are far better documented. Research conducted on specific topics at Petra and other Nabataean sites has brought much information on this expansion period of the Nabataean civilization. Research on the water supply of Petra as well as research

related to the rock-cut and built dwellings have revealed the different stages of the planning of the city and its specific urban character. In addition to an elaborate network of dams, channels and cisterns fed by rainwater and located on the inhabited heights of Petra, an extended system of spring adduction comprising four main canalisations was identified.

It is now without question , that during this period Petra was a well populated city, not a city for the gods and the dead as stated still in some publications. During this time, agricultural settlements with cisterns and presses were also identified around the Petra area. The most significant are the sites of Ba'jeh located to the north and Saadeh to the south. Saadeh, also used as a caravan center, reveals farming remains as well as an important water system. All these finds confirm the accounts of Strabo who wrote that the Nabataean capital was a well supplied city putting an end to the cliché of Petra, city of the desert.

Much attention has been paid to the monuments of Petra. Research conducted on the Qasr el Bint area as well as the excavations of the Winged Lions Temple and the recent clearing of the Southern Temple, all of them built along the Wadi Musa stream long before the paved road was set, settled the chronology of these buildings which range from the first century BC to the first century AD. Their planning presents different features mixing Hellenistic patterns with religious Semitic traditions. The same is true for the tombs, particularly the Mains Tombs and the Khazneh, their dates remaining a topic of high controversy since the beginning of the 20th century. According to present studies, it is now well established, using stylistic criteria which demonstrates the Alexandrian influence, that most of them belong to the Nabataean period, the period before the beginning of the second century AD.

The presence of the Nabataeans in northern Jordan, a fact well documented since the middle of the third century BC, is illustrated by the site of Umm el Jimal. Most of the buildings identified on this site are dated to the Byzantine period but the pattern of the water-supply system is quite similar to our findings at the Nabataean sites, so we can assume that Umm el Jimal dates back to the Nabataean period. In the same area a Nabataean inscription was recently found at Hayyan el Mushref located about 5 km to the southwest of Mafraq. This inscription could be evidence of a Nabataean phase at this site with further excavations

clearing this question .

In southern Jordan, research conducted on the sites of Humayma, south-west of Ma'an, and Khirbet edh Dharih near Tafileh, give, especially for the latter, significant evidence of the Nabataean expansion which required new settlements with more land to be exploited. An inscription found at the nearby site of Tannur mentions a curator of the La'aban spring, the main water supply of Dharih. Since the text is dated to the year 7 BC, we can assume that this settlement cannot be dated later than the second half of the first century BC. The site, where a large religious complex was built in the beginning of the first century AD as well as official and residential buildings, played a major part in the exploitation of the area located to the south of the wadi Hasa. In the same way, Nabataean settlements were established along the road of the wadi Arabah. The sites of Feinan or et-Tlaah also present a number of remains particularly in the hydraulic engineering field.

The last topic strongly relates to the question periodically raised about the Nabataean identity and their civilization .

Former research has frequently insisted on the nomadic origins of the Nabataeans. These origins are still a matter of controversy for some scholars who challenge periodically the traditional Southern Arabian origin favoring a North Arabian or a Mesopotamian homeland. In any case, this question must not cloud the genuine character of this civilization and recent contradictions in the accounts of Diodor of Sicily, who frequently described and emphasized the Nabataeans as freedom-loving Bedouin. If many of them stayed involved in trading and pastoral activities around the beginning of the first century BC, then the major part of the Nabataean population was already fully settled and involved in a vast range of activities, particularly in the agricultural and technical fields. This explains, among others things, the rise of the Nabataean pottery. This topic is the matter of different studies but the origin of this technique, which has no parallel in Classical Antiquity, is not clearly identified. Foreign influence, such as the one of the Edomites, are not sustainable since this ceramic is found exclusively in very specific areas and only on the sites settled by the Nabataeans. It represents a genuine feature of this civilization as does the carving of the facades or the use of a specific hydraulic technology. Above all, it is the best evidence of the Nabataean presence on many sites and thanks to this artifact we can trace

them from Southern Syria to Northeastern and Central Arabia .

Controversies about a hypothetical split inside the Nabataean population between a Hellenized upper class and a middle-lower class stuck to Semitic traditions, such as the prohibition of wine or engraved images, as well as speculations on a Nabataean iconoclasm must be set aside for the time being, as they look polemical and lack serious evidence. The argumentation considering the presence of fully oriental facades in contrast to elaborate classical facades and the changing of decoration pattern inside the Winged Lions Temple are far to convincing.

Some questions about the end of the Nabataean kingdom remain unanswered since we do not know the modalities of the Roman annexation, whether it was peaceful or not. Archaeological evidence does not show any disturbance or destruction on the whole of the Nabataean sites. On the contrary, if we refer for instance to the site of Dharih, we see a continuity of expansion and prosperity during the second century. The same is true of the Nabataean capital, Petra, where no rupture is reported between the first and the second centuries since the town planning is just the continuation of a program initiated during the Nabataean rule. One of the best examples is the Winged Lions Temple where many improvements are dated during this period. So, except for the political and official sides, the influence of the Roman period in the Nabataean area is somewhat misleading .

Continuity is the most striking feature and the best evidence of the specific character of the Nabataean civilization. Likewise there is no reason to believe there was a decline in the part of Jordan which corresponds to the former Nabataean kingdom due to Petra no longer being the capital. This fact seemed to have no affect on the social and economical life in southern Jordan. Therefore, we can affirm that the early Nabataean world kept most of its genuine features until the Byzantine period.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



يأتي مشروع مكتبة الأسرة الأردنية ومهرجان القراءة للجميع، بهدف توفير طبعة شعبية زهيدة الثمن، تكون في متناول يد الأسرة الأردنية، لتأسيس مكتبة في كل بيت.

ويهدف هذا المشروع الى تعميم الثقافة والمعرفة، وربط الأجيال بالتراث الثقافي والحضاري للأمة، والتواصل مع الثقافات الإنسانية.

إن الكتاب الجيد هو سفر باتجاه الذات ومعرفتها ومعرفة الآخر، وهو ومضةٌ لإضاءة عصرنا هذا، من أجل إنجاز رسالتنا التنويرية، القائمة على مشروع الدولة الأردنية منذ انطلاقة الثورة العربية الكبرى ومشروعها النهضوي.

لقد تباينت إصدارات هذه السلسلة في موضوعاتها، ومضامينها، واتجاهاتها ورؤاها، آملين أن تقدم للقارىء زاداً معرفياً متكاملاً، وتلبّي رغبات وحاجات مختلف الشرائح الاجتماعية.